دكتور محمد سيد محمد

الإعلام والتنمية



دار المعارف

الإعلام والتنمية

تاليف
دكتور محمد سيد محمد
أستاذ الصحافة المساعد
كلية الاعلام ـ جامعة القاهرة

١٩٧٩



دار المعارف

الناشر : دار المعارف ـ ١١١٩ كورنيش النيل ـ القاهرة ـ ج٠ م٠ ع

بسم الله الرحمن الرحيم

محتـــوى الدراســـة

مقـــــدمة

تمهيـــــــد : ماذا نقصد بالاعلام والتنمية ؟

الفصل الأول : التنميــة الشاملة

الفصل الثـــانى : الاعلام . دراسة مقارنـة

الفصل الثـــالث : نظـريات التنميــة

الفصل الرابـــع : نظـريات الاعــلام

الفصل الخامس : أبعـــاد التنميــة

الفصل السادس : خطة الاعلام وخطة التنمية

الفصل الســابع : استراتيجية عربية للتنمية

خاتمــــــة : دور رجل الاعلام العربى فى التنمية

« فقــه الحياة فى رأيى أن يفعل الانسان دائما ما يفعله الطفل عنــدما
يقف على قـــدميه لأول مرة٠٠ أن يخطـــو خطـــوة الى الأمام » ٠

المـؤلف

مقدمة

ان الفهم التقليدى للبحث العلمى هو جمع لمادة البحث بصور مختلفة، وتبويبها وفقا للمنهج المقرر . ثم الوصول بصياغة هذه المادة الى أحكام مقرونة بالدلائل لاثبات أمر ما أو تغليبه على أمر آخر أو دحضه بالمقارنة والبرهان . ولكننى أرى أن هذا الفهم التقليدى أشبه بالاجراءات وأن روح البحث هى الكشف بمعنى الاستجلاء الشامل والاضافة الجديدة للمعرفة .

وتبدأ الصعوبة الأولى أمام الباحث الاعلامى بالتشكيك فى علمه ، ذلك أن علم الاعلام جديد عالميا ، والمكتبة الاعلامية عالميا متواضعة شديدة التواضع اذا قورنت مثلا بالمكتبة القانونية أو بما كتب فى علم الاجتماع ، ولكن ذلك لا ينفى أن الاعلام علم له حقوقه الخاصة ومناهجه الخاصة وتطبيقاته الخاصة .

ان الدراسات الانسانية تسعى الى هدف استراتيجى واحد هو خير الانسان وترقيته ، ولها أن تتشابك وأن تدخل فى علاقات تبادلية ، لذلك نرى علوما مختلفة تسهم فى تنمية علم الاعلام كما نجد العلوم المتصلة به تتبادل فيما بينها حقولا عديدة من حقول البحث والدراسة ، وتسلط هذه العلوم أضواءها من زوايا مختلفة على البحث الاعلامى محددة بالزوايا المختلفة ما يخص البحث الاعلامى وما يثريه ويوسع دائرته ويعمقه . من هذه العلوم الانسانية الوثيقة الصلة بالدراسات الاعلامية : الاقتصاد ، علم النفس ، الاجتماع ، الادارة وغير ذلك . وثمة علوم تطبيقية ترتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات الاعلامية وبوسائل الاعلام وهى فى سبيلها الى رابطة أكبر واوسع نتيجة لتكنولوجيا وسائل الاعلام . ولعل الكيمياء المتصلة بالطباعة والفيزياء المتصلة بالتصوير أقرب الأمثلة على ذلك . ان الترابط بين العلوم واقع لا يصح اغفاله ، ولكن الذى لا شك فيه هو أن علم الاعلام له

شخصيته المتفردة ، وتذوب فى داخله العلوم الأخرى ، وهذا ما تؤكده هـذه الدراسة كما أكدته دراسات عديدة سابقة ٠

اذا عبر الباحث الاعلامى الحاجز الأول ، وتأكد من قواعد علمه فانه يبدأ فى تقليب أوراقه بحثا عن المنهج السديد ، أما المنهج فهو وليد الواقع ، لأن الواقع بجوانبه المتعددة من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية وغير ذلك ، هو الذى يفرض علينا المنهج الذى نحلل به هـذا الواقع لنفهمه ٠ ومن فهمنا لواقع بشرى ما أى لمجتمع ما نستطيع أن نرى طـريق مستقبله ، وأن نحدد مسار حركة التاريخ ، وعندما نفهم واقع مجتمع ما فهما حقيقيا يمكننا كمثقفين وكباحثين أن نعمـل ، وبقدر دقتنا فى تحديد مسار حركة التاريخ ،وبقدر جهدنا فى تعـديل المسار ليتطابق مع مصلحة الأغلبية الساحقة ، وبقدر مواكبتنا لحركة التطور ودفعنا لعجلته دفعا رشيدا واعيا يمكن لأفكارنا ونظرياتنا أن تنجح ٠

ولقد دفعنى هذا البحث الى النظر فى المنهج نظرة أكثر عمقا ، ان كل شىء فيما عدا الله سبحانه وتعالى ، يخضع لأبعاد متعددة هى التى تبينه وتجعله أكثر وضوحا وجلاء ٠ وبقدر رؤيتنا لأوفى قدر من الأبعاد الرئيسية لموضـوع ما بقـدر قربنا من حقيقته ٠ ان الحاضر يعـانق الماضى بيـد ويعانق المستقبل بيـد أخرى ٠ ان التفكير جماع لأبعاد العقل والمخ والادراك والالهـام ٠ ان الأبعـاد التاريخية والفلسفية والاقتصادية والدينيـة والاجتماعية أبعاد ضرورية لفهم نظرية ما أو تحليل واقعة ما ، ولعل البعد الزمانى والبعـد المكانى أشهر الأبعاد ٠

لذلك ينبغى ألا يصبح المنهج قالبا جامدا ، وانما على الباحث أن يمزج ويركب أكثر من منهـج ليؤكد منهجه هو فى دراسته هـذه أو تلك وفـق مقتضيات الأمانة العلمية والاخلاص للحقيقة العلمية ٠ اننا نستطيع تعميق ادراكنا لنظـرية الأبعاد المتعددة بالقاء نظرة على العقـل الجماعى والعقل التاريخى للانسان ٠ فلا شك أن تنظيما ما يجمع بين تفكير البشر ، والا كيف نفسر اختراع اللغة والضوابط والقوانين التى تحكم اللغة ٠ كذلك لا نستطيع أن ننكر تأثير العقل التاريخى للانسـان ، والا كيف نفسر ونحن فى أواخـر القرن العشرين مناقشة فلاسفة قرون سابقة ، والجدل معهم الى حد العراك

هذا الى جانب التراكمات التى يبتكرها العقل يوما بعد يوم وتؤثر فى حياتنا المعاصرة وفى كل حيـاة قادمة ٠

ولقـد حاولت أن ألزم نفسى بهذا الفهم فى المنهج الذى اتبعته فى هذه الدراسة وهو المنهج الذى سـبق لى استخدامه فى بحوثى الجامعية والذى يقوم على محورين متلازمين أحدهما رأسى يتناول عناصر البحث كأعمـدة والثانى أفقى ينسج حول كل عمود مادته وفروعه متسقة مع العناصر الأخرى متحاورة معها ومتجادلة أى ليست متلاصقة بغير تفاعل ٠ ويعمد هذا المنهج الى تركيب المـادة والأفكار طابقا فوق طابق لتنتج فى النهاية ما يشبع نهم القارئ ، ويحس معـه بالرضا والاقتناع ، وكأنه قـرأ قصة أو شـاهد مسرحيه ، بغض النظر عن التشويق والعقدة ، لأن البحث العلمى هو تقـرير فى عموده الفقرى ، والمعلومة هى خلية بنيانه ، والتركيبية فى هذا المنهج الذى سبق لى السير عليه فى بحوثى الجامعية السابقة ، وكان لأساتذتى فضـل تسويته وتهذيبه ٠ التركيبية فى هذا المنهج لا تصرفنى عن التحليل ، وانمـا تعيننى على الربط والاستدلال ٠ وبذلك تقترب صـورة البحث من صورة الشجرة مجازا وشكلا ٠ ومن ثم لا تحبس كتاباتى بين جدران الجامعة وانما تنطلق الى الشارع القارئ والى جمهور المهتمين بالاعلام ٠

ماذا يعترض الباحث بعـد الامساك بقواعد العلم والاهتداء الى المنهج ؟ لا أظن ان هنـاك عائقا بعـد ٠ وانما يقاس الشوط الذى قطعه بعـد ذلك بقدراته الخاصة وبصبره وجهـده ، وهذا ما ينبغى أن يعفى الباحث نفسه منـه ويدعه لأساتذته وتلاميذه معـا ٠ ومهما أوتى الباحث من العلم فانما هو قليل ، وعليه أن يخطو خطوة جديدة بشرط أن تكون الى الأمام ٠

والله ولى التوفيـق ٠

المـؤلف

تمهيد

ماذا نقصد بالاعلام والتنمية ؟

ان ما نقصده بصورة مباشرة وأساسية هو دراسة الدور الذى يمكن أن تؤديه وسائل الاعلام فى تحويل المجتمعات من التخلف الى التقدم•وسوف نعتزم من البداية فى تناول هذه الدراسة أن نبتعد عن فنون الخطابة والحماسة ، وعن الأمنيات والأحلام القومية، وعن خيالات الرفاهية والترف• ولكننا عندما نتعرف على وسائل الاعلام بصورة سريعة ، ونألفها بوجه عام ، فاننا نجد أنفسنا أكثر انفعالا وحماسا ، وأوسع أملا فى تحقيق التقدم • ان هذه الوسائل التى يطلق عليها وسائل الاتصال بالجماهير ، أو وسائل الاتصال الجماهيرى ، أشبه بصندوق الساحر الذى يصنع منه الأعاجيب عندما يحسن استخدامه ، والفرق الهام بين صندوق الساحر ووسائل الاعلام ، هو اعتماد الساحر على براعته وخفة يده ، بينما يعتمد الاعلام على الدراسة الموضوعية والاحصائيات والمعرفة التسجيلية للواقع والتخطيط والمتابعة وما شابه ذلك من أصول العلم ، بالاضافة الى المهارة المهنية والذاتية التى تتطلبها فنون الممارسة فى العمل الاعلامى •

ولتحديد المشكلة ينبغى أن نطرح سؤالا جوهريا هو : لماذا التنمية ، وما هو دور الاعلام فى التنمية ؟ •

ان متطلبات العصر الحديث فى النصف الثانى من القرن العشرين جعلت من التنمية قضية انسانية ملحة • ولعل مجرد الاشارة الى الانفجار السكانى ، والى مشكلة الطاقة والغذاء ، والى الهوة السحيقة بين الدول الغنية والدول الفقيرة ، تكفى دليلا قاطعا على أن التنمية مشكلة انسانية معاصرة • ولقد حاول الرئيس المصرى الراحل جمال عبد الناصر أن يجيب على هذا السؤال الذى نحن بصدده الآن فى خطابه أمام ممثلى معظم المجتمع

الدولى فى الدورة الخامسة عشر للامم المتحدة بقوله(١) : «ان الشعوب الحديثة الاستقلال تؤمن أن حريتها الحقيقية هى فى ايجاد مستوى من المعيشة لائق بأبنائها ، ثم ان الشعوب الحديثة الاستقلال ـ ومن واجبى أن أقول ذلك هنا صراحة ـ تتعجل الطريق الى النمو الاقتصادى وتشعر أنها لم تعـد تملك الوقت لتضيعه بعد التخلف الطويل قياسا الى غيرها • ولقـد يكون هناك من يرى أن العجلة طريق الى الخطأ ، ولكننا اذا سلمنا بذلك نكون قد ارتكبنا خطأ أكبر هو نسيان طبيعـة الظروف التى نعيش فى ظلالها الآن والتى تجعل من الانتظار أمرا لا تحتمله الشعوب ، ولعل التقدم العلمى أول هذه الظروف التى نعيش فى ظلالها • ذلك أن أى فلاح فى أقصى الجنوب من وطننا فى أسوان الى أقصى الشمال من وطننا فى « القامشلى »(٢) مثلا يملك بلمسة أصبع أن يدير أحد أجهزة الراديو أو يجرى بعينيه على سطور جريدة فاذا هو يسمع ويرى عن مستوى المعيشة الكريم الذى وصل اليه المواطن الأمريكى العادى أو يسمع ويرى عن الأعمال الباهرة التى تقوم بها شعوب الاتحـاد السوفيتى ثم اذا هـذا المواطن يقارن بين حاله وبين ما وصل غيره اليـه ، ثم اذا الثورة تملك نفسه من غير حقـد على غيره نزوعا الى رفـع مستوى معيشته بينه وبين غيره من البشر الأحرار •

ولقـد يقال لشعوبنا ان الصبر ضرورة وأن شعوبا غيرنا قد تحملته ، وانما دعونى هنا اذكر بان طاقة اى جيل على الصبر تقاس بظروف هـذا الجيل لا بظروف غيره من الأجيال ، والذين كانوا يقدرون على الصبر مثـلا حتى يقطعوا المحيط فى قارب يدفعه الريح ، يختلفون تماما عن الذين يقدرون على قطع المحيط فى بضع ساعات بطائرة نفاثة •

وليست هـذه صورة من صور الكلام ، وانما هى صورة الحقيقة ذاتها فى هذا الزمان الذى نعيشه وأن شعوبنا لتشعر أنها قـد فاتها عصر البخار وفاتها عصر الكهرباء ويوشك ن يفوتها عصر الذرة بامكانياته الرائعة ، ومن

---

(١) خطاب الرئيس جمـال عبد الناصر فى الدورة الخـامسة عشر امام الجمعية العـامة للأمم المتحـدة فى ١٩٦٠/٩/٢٧ •

(٢) القامشلى قرية فى شمال سورية • علما بان سنة ١٩٦٠ كانت الجمهورية العربية المتحدة تضم اقليمى مصر وسورية •

هنا نرى تصميم الشعوب على تحقيق حريتها الاقتصادية ، ومن هنا نرى اندفاعها العنيف فى ميادين التطور الصناعى والزراعى وميادين المساواة (لعله كان يقصد العدالة) الاجتماعية » ٠

وقد اقترب الرئيس المصرى الراحل فى هذا الخطاب من المشكلة بشقيها الاعلام والتنمية ٠ وبين أن دور الاعلام لا يبدأ فقط عندما تبدأ التنمية وانما يبدأ قبلها عندما يجعل مجتمعا ناميا ما يحس بمرارة موقفه الحضارى بالنظر الى المجتمعات المتقدمة التى تملك الكثير من أسباب الترف والرخاء والتقدم ٠

وقد يلاحظ القارىء أو المستمع أو المشاهد العادى أو من يسمونه برجل الشارع أن موضوع التنمية أخذ يلح عليه فى هذا الربع الأخير من القرن العشرين من نوافذ اعلامية شتى ٠ وهو على حق فى ذلك لأسباب عديدة ، أولها أن المتغيرات الدولية طرحت المشكلة بطريقة مكثفة فى العقد الثامن من القرن العشرين ، وثانيها ان الأمة العربية طرف فى المتغيرات الدولية بسبب البترول وغيره ، وأنها بدأت تدرك الاتجاه الجديد نحو التضامن ولو بحد أدنى فى التنمية ، وثالثها أن المواطن المصرى الذى عانى ودفع من قوته الضرورى فى حروب وأزمات متلاحقة يبدأ فى ظل المد التاريخى بعد أكتوبر سنة ١٩٧٣ تواقا الى التنمية أكثر من قبل ٠ ثم يصبح أكثر الحاحا فى التنمية بعد توقيع معاهدة السلام عام ١٩٧٩ ٠

ولكن قضية التنمية ليست الشغل الشاغل لمن يطلق عليه رجل الشارع وحده ولكنها الشغل الشاغل أيضا لقيادات البلدان النامية بطبيعة الحال، حتى أن تعريفا حيويا فى عالمنا المعاصر مثل تعريف الثورة أصبح يضع فى الاعتبار اضافة قضية التنمية اليه(٣) ٠ بل ان تقييم الاستراتيجية الدولية للتنمية كان من أبرز القضايا التى تعرض لها مؤتمر القمة الرابع لرؤساء

---

(٣) فى حديث الرئيس الجزائرى هوارى بومدين الى لطفى الخولى (انظر الأهرام بتاريخ ١٨/١٠/١٩٧٤) يعرف الرئيس الجزائرى الثورة بانها التغيير الاجتماعى الشامل ، والتنمية الاقتصادية المستقلة المكثفة ، والنقلة الحضارية المصرية والانحياز للانسان العامل لا للانسان المستغل ٠

دول وحكومات البلدان غير المنحازة ، وقد أولى النص الأساسى الذى أصدره المؤتمر أهمية خاصة لتقييم الاستراتيجية الدولية للتنمية(٤) وذكر النص أن العالم النامى الذى يضم ٧٠٪ من عدد سكان العالم يعيش على ٣٠٪ فقط من الدخل العالمى ٠ كما أن هناك مليارين وستمائة مليون من سكان العالم النامى ٠ منهم ثمانمائة مليون أميون وحوالى مليار يعانون من سوء التغذية أو الجوع وحوالى تسعمائة مليون يقل بينهم الدخل اليومى للفرد عن ثلاثين سنتا (مقدرة بالدولار الأمريكى) ٠

كما ذكر التقييم أسباب فشل الاستراتيجية الدولية للتنمية متمثلة فى موقف حكومات بعض البلدان المتقدمة ، وكذلك تصرفات المؤسسات الأجنبية والشركات الاحتكارية الأخرى التى تستفيد من نهب ثروات البلدان النامية والتى لم تسهم فى خلق الظـــروف الاقتصادية الخارجيـــة التى تتمشى مع أهداف الاستراتيجية الدولية للتنمية ، بالاضافة الى الارتفـاع الذى يبلغ حـد التضخم لتكاليف الواردات ، والضـغوط التى تـرزح تحتهـا موازين المدفوعات نتيجة للتحويلات التى تفرضها الاستثمارات الخاصة الأجنبيـــة ، وكذا تسديد الديون الأصلية وأعباء الدين الخارجى وأرباحه بالاضافة الى الآثار الخطيرة لأزمة النقد الدولية ٠ ومتمثلة أيضا فى السباق نحو التسلح وغزو الفضاء الذى يبتلع مبالغ هائلة فى الوقت الذى تتناقص فيـــه حجم مساعدات التعاون الدولى المتعددة الأطراف بالقياس الى التزايد المطـــرد لاحتياجات البلدان النامية ٠

وقال التقرير أن هناك عديدا من المشروعات تهـدف الى افادة البلدان النامية بطريقة منظمة من نتائج البحوث العلمية والتقدم التكنولوجى ٠ بيـد أنـه لم يبدأ تطبيق هذه المشروعات بجدية فى الوقت الذى تستأثر فيه البلدان المتقدمة الغربية بعدد كبير من الكفاءات (الكوادر) العليا فى المجالات العلمية والفنية التى نزحت اليها من البلدان النامية ٠

وجاء فى ختام التقرير ما يمكن تسمينه نقدا ذاتيا للعالم النامى بأنه

---

(٤) مؤتمر القمة الرابع لرؤساء دول وحكومات البلدان غير المنحازة ٠ الجزائر ، ٩ سـبتمبر سنة ١٩٧٣ النصوص الأساسية ٠ تصريحات ، برنامج العمل من أجل التعاون الاقتصادى ٠

لن يتسن تحقيق الأهداف المتعلقة بالتقدم المرجو الا اذا وجد مفهوم سليم للتنمية بنطلق من تغيير الدعائم الداخلية اللازمة والخاصة بكل بلد ويشمل نمو القطاعات الأساسية فى مجموعها · مثل هذا الاجراء لا يمكن فصله عن اجراء آخر ذى طابع اجتماعى ينطوى على رفع مستويات العمالة الى الحد الأقصى واعادة توزيع الدخول · وايجاد حلول شاملة للمشكلات الحيوية ، وأهمها الصحة والتغذية والاسكان والتعليم · ويبدو جليا أن هذه الأهداف لا يمكن تطبيقها بغير اسهام واع ديمقراطى من جانب الجماهير · وهذه هى العوامل الأساسية فى أى جهد قومى يستهدف تحقيق تنميـــة ديناميكية وفعـــالة ومستقلة ·

نخلص من تقرير الدول غـــير المنحازة للاستراتيجية الدولية للتنمية بأنها مشكلة عالمية · ولكن أليست هى مشكلة مصرية محلية اذا نظرنا اليها من زاوية الرؤية التاريخية للمجتمع المصرى قبل ثورة يولية ١٩٥٢ ثم من الرؤية التاريخية لنكسة ١٩٦٧ ثم من الرؤية التاريخية للمـــد الجماهيرى بعـــد أكتوبر ١٩٧٣ ؟ ·

لقـــد قرأنا كثيرا عن تحليل القوى الاجتماعية فى مصر قبل ثورة ١٩٥٢ وقرأنا كثيرا عن العلاقات الاجتماعية السائدة آنذاك ، ولكننا نوجز وصف مجتمع ما قبل الثورة عند حديثنا عن التنمية بسطور قليلة أوردها الرئيس الســـادات فى خطـــابه يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٤ فى الذكرى الرابعـــة لوفـــاة عبد الناصر حيث يقول :

« كانت الصفة الثانية لهذا المجتمع الذى ورثناه هى ضآلة معدل النمو بل أكاد أقول انعدامه تماما ، فى نفس الوقت الذى يتزايد فيه السكان زيادة لا مثيل لها تقريبا فى العالم · فى عهد الثورة فقط زاد السكان فى مصر الى الضعف تماما ، الأمر الذى كان يهدد بانفجـــار اجتماعى وطبقى حاد ، لو لم تسبق الثورة الى وضع قوانينها وتحقيق منجزاتها · وكانت الصفة الثالثة لهذا المجتمع الذى ورثناه هى ظهور بدايات هـــذا الانفجار الاجتماعى الذى تمثل فى كثير من الأحداث العنيفة التى سبقت الثورة فى الريف وفى العاصمة على السواء · وكان الحل الأول ·· هو حشد الجهد القومى من أجل التنمية وكان الحل الثانى ·· هو اتخاذ اجراءات عاجلة كالاصلاح الزراعى لتغيـــير

خريطة السلطة السياسيه والاجتماعية فى البـــلاد ، ولاعادة توزيع الثروة توزيعا عادلا ، ثم قوانين التمصير ثم اقامة القطاع العام ثم قوانين العمـال من تحـــديد الأجور الى اشراك فى الأرباح ومجالس الادارة الى التأمينات الاجتماعية وغيرها » ٠

ولقد كان الحوار عقب النكسة عام ١٩٦٧ حول مفهوم الدولة العصرية تعبيرا عن ادراك الشعب المصرى وصفوته المثقفة على وجه الخصوص بأن التنمية هى العامل الحاسم فى احراز النصر ٠ ذلك الحوار الذى أطلق شرارته الكاتب المصرى أحمد بهاء الدين(٥) ٠ وذهب فيه الى القول بأن قضيتنا مع اسرائيل ليست قضية عسكرية وحسب ، وأنه قـد نشتبك مع اسرائيـل عسكريا عدة مرات ولكن الصراع العسكرى جانب فقط من الصورة الشـاملة للصراع ، وأن معركتنا مع اسرائيل معركة حضارية مع الغرب المتقدم القوى٠ وأن اقامه مجتمع عصرى سليم متحضر ٠ ودولة عصرية حديثة ٠ هى المعركة التى تحسم هذا الصراع فى مداه الطويـــل ٠ وقوله بأن من الأوهام التى انتشرت بيننا جميعا ونحن نسعى للحاق بالعصر الحديث وتحدياته أنــه يكفى أن نشترى « معدات » العصر الحديث ٠٠ من آلات ومصانع وأدوات لكى نصبح دولا حديثة ومجتمعات حديثة ٠ ومن المهم جدا أن نعرف الآن أن اقتناء هذه الأدوات ليس كل شىء ٠ ان هذا يذكره بخيمة فاخرة يمتلكها بدوى عربى مثر زارها منذ سنوات ٠ اذا دخلت الخيمة وجدت فيها كل أدوات العصر الحديث ٠ أكثر من ثلاجة وأكثر من جهـــاز تكييف وأنواع الراديو الترانزستور وأجهزة العرض السينمائية وكل ما يخطر على البال من معدات وأدوات أخرجتها مصانع أوروبا ٠ دخل هذا كله على حياة البدوى صـاحب الخيمة التى أصبحت خيمة فاخرة مصنوعة بدورها فى الخارج ٠ ولكن البدوى صاحب الخيمة نفسه كما هو لم يتغير عقلا ولا منطقا ولا أسلوب حياة ٠

ليست القدرة على اقتناء أدوات العصر الحديث المـادية المصنوعة اذن هى العصرية فهناك قبل ذلك سؤال : ماذا نقتنى وماذا لا نقتنى ؟ ثم هناك

---

(٥) احمد بهاء الدين ـ مطلوب دولة عصرية ـ مجلة المصور بتاريخ ١٩٦٧/٧/٢٨ ومجـلة المصور بتاريخ ١٩٦٧/٨/١١ وبتاريخ ١٩٦٧/٨/١٨ ٠

قبل ذلك : أن تتحول الأدوات فى الأيدى العربية الى دوات خالقة ، لا أدوات صماء ٠ العصرية اذن هي فى الانسان ، فى العادات والتقاليد والأخلاقيات ، فى العلاقات الاجتماعية وفى تنظيم العمل وفى دفع ضريبة التنظيم العصرى ٠ والتنظيم ليس معناه كما يفهم أحيانا من الكلمة حشد الناس فى صفوف وطوابير بل ان معناه توزيع المسئولية وتحديد الاختصاص واعطاء حق المبادرة فى دائرة هذا الاختصاص على أن يدور العمل كله بعد ذلك بانسجام تلقائى ٠

والتنظيم بهذا المعنى ليس بديلا عن الأسلوب الديمقراطى فى العمل ، فجزء من التنظيم الحى ان تنظم عملية التعبير عن الآراء وتلاقى الخبرات لاستخلاص أسلم الآراء من مزيجها كله دون ان يغفل هذا سرعة البت والحسم اللازمة فى المجتمع العصرى ٠

ان المواطن (الآن) ، فى حالة استعداد للتضحية من أجل تجاوز النكسة والانتصار عليها ٠ ولكن التضحية ليست فقط بجزء من المال ، أو بالاستشهاد والموت ٠ أحيانا تكون التضحية بالموت أسهل من التضحية بقبول شروط العصرية والعلمية ومتطلباتها ودفع ثمنها ٠ وهذا ما نحتاج اليه أيضا ٠ والتضحية بقبول منطق المجتمع العصرى والدولة العصرية ، قد يكون أصعب من التضحية بالنفس ، لأنها تضحية مستمرة بطيئة ــ يومية ، يدفعها المرء من تغير أفكاره وعاداته ومن وضعه الشخصى ، ومن امتيازاته التى يود الاحتفاظ بها ٠٠ الى آخره ٠ ان بقاء أوضاع تقوم على الطائفية أو على خلافات مع أقليات قومية كما فى بعض البلاد العربية مثلا ، ليس مما يناسب الدولة العصرية والمفاهيم العصرية ٠ ان ما نراه من تبعثر جماعات سياسية الى شراذم ، اذا قرأت برامجها وأفكارها لم نجد بينها خلافا ، انما الخلاف شخصى يزكيه الطموح الشخصى أو عدم الرغبة فى التفاهم والتنازل ، ليس وضعا عصريا يناسب حياة سياسية عصرية ، عليها أن تتخطى العقد والرواسب القبائلية لتتفرغ لما هو أهم ٠

ان ما يسود فى الحياة العربية من تقديم الشخصية على الموضوعية ، ومن الدور الكبير الذى تلعبه المعرفة والعلاقة الشخصية والألفة الفردية فى وضع الناس فى هذا المكان أو ذلك ، قبل الصفات الاجتماعية والموضوعية ومدى الالتزام بالقضية ليس جوا يناسب دولة عصرية ، فهو لا يضع الفرد

حيث يقدر وحيث يستحق ، وبالتالى لا يجعل البلاد العربية تستفيد من كفايتها الحقيقية ، فوق أنه ينمى صفات الزلفى والملق وحاجة كل فرد الى أن يحمى نفسه باتصـالاته لا بعمـله ، الأمر الذى ينطوى على انعكاسـات سلبية خطـيرة ٠

ولو تأملنا ، مثلا هذا الفاقد الهائل فى الخبراء ووفنيين فى شتى الفروع السياسية والاقتصادية والعلمية والعسكرية ممن أخرجتهم من بلادهم أو أعمالهم اراء نادوا بهـا أو موجات السياسة فى شتى البلاد العربية ٠ وكل منهم أنفقت عليـه بلاده آلاف الجنيهـات وعشرات السنين حتى يتكون ٠ لو تأملنا هذا العدد الهائل لتصورنا هول الخسارة ٠

ممـا سبق نرى أن التنمية مشكلة عالمية ٠ وأنها مشكلة عربية ، وأنها مشكلة مصرية أيضا ٠ أليست هى مشكلة عربية اذا نظـرنا الى جغرافية المنطقة والى تاريخ المنطقة والى مستقبل المنطقة المشترك ؟ ان الواقع العربى المتنافس من أموال بترولية هائمة على وجهها فى بنوك الغرب ومن نقص شديد لدى بعض العرب فى تمويل مشروعات التنمية ، ومن هجرة عربية فى الوقت الذى تعانى فيـه أقطار عربية من نقص الطاقة البشرية لتنفيـذ مشروعات التنميـة ٠٠ ان الواقع العربى المعاصر بعنـاصره وبتناقضاته وخصائصه يؤكد أن التنمية قضية عربية ٠

والسؤال الذى يفرض نفسه هو : هل هناك تعارض بين قولنا بأن التنمية مشكلة عالميـة ومشكلة مصرية ومشكلة عربية ؟ أم أنها تؤدى الى قضية واحـدة ٠

ولعـل أصدق اجابة توازى الاجابة على سؤالنا ، تلك التى عرضهـا الرئيس الجزائرى هوارى بومدين على الصحفى المصرى لطفى الخولى بقوله:

« ان جميع القضايا فى خضم الحياة مرتبطة بعضها ببعض وتتبادل التأثير دوما فيما بينها ، سواء أكانت قضايا محلية أو عربية أو دوليـة فكرية أو عملية ٠ العالم اليوم ـ بثورة العلم والتكنولوجيا وبالتقدم الهائل فى وسائل الاتصال ـ أصبح قرية لا يقع اليوم حادث فى العالم شرقا أو غربا فى أى مكان حتى ولو كان فى جـزيرة تاهيتى أو دويلة « لوكسمبرج » الا

ويدخل فى نفس اللحظة (لعله يقصد الوقت أو اليوم) الى بيوت الناس من خلال التليفزيون أو الاذاعة أو الصحف . الحواجز بين القارات وبين الدول سقطت بقوة تطور الحياة »[٦] .

ونلاحظ على ضوء هذا القول أن الاعلام طرف فى قانون علمى هو قانون ترابط عناصر الحياة لأن وسائل الاتصال الجماهيرية استطاعت أن تحقق اللحظة العالمية .

---

(٦) حوار الرئيس الجزائرى هوارى بومدين مع لطفى الخولى جريدة الأهرام بتاريخ ١٨/١٠/١٩٧٤ .

الفصل الأول

التنمية الشاملة

ما المدخل الذى سنسلكه لندرك المفهوم المعـاصر للتنميـة ؟

اذا أخذنا بالقول الحكيم بأن نأتى الأمور من أبوابها فلابد لنا من أن نسعى الى تعريف محدد للتنمية•وأن نجيب على سؤال محدد هو : ما المفهوم المعاصر بلتنمية ؟ فلم يعد هذا السؤال سؤالا أكاديميا يناقش فى الجامعـات ومراكز البحث العلمى وحسب • ولكنه أصبح سؤال الجماهير فى كافـــة بلدان العالم الثالث • وقد يبدو السؤال بسيطا غاية البساطة لأنه من السهل أن تشير نخطط التنمية وتجارب الشعوب فى التنمية ، ولكن من الصعب أن تضع تعريفا لها • وقد يبدو السؤال صعبا نظرا لترابط وشمول عنـــاصر التنمية فتبدو أحيانا وكانها تشمل كافة نواحى الحياة • وتصبح التنميـة أمام الناس مثل الفلسفة عندما كانت تسمى أم العلوم •

على أية حال لا بد لنـا أن نبدأ الأمر من بابه فنطرق تعريف التنمية أولا •

تعـريف التنميـــة :

يعجبنى البـــدء فى كتب التراث العـــربى بالمعنى اللغوى والمعـــنى الاصطلاحى للعلوم عنـــد تناولها • ان البحث فى أصـول الكلمات متعـة للمتخصص والقارىء ، لأنه بحث مثير ومشوق • وتتبع تطور الكلمةوالتغيير الذى طرأ على معناها لدى الأجيال أشـــبه بتتبع شخصية روائية تدفعها الأحداث الى تغيير معتقداتها ومواقفها تغييرا قـــد يكون جـذريا أو يشبه التحول الكبير ، أضرب لكم مثلا بكلمة ملتزم • كان الملتزم فى مصر أيام حكم محمد على هو ذلك المتسلط الفاحش الثراء والسلطة الذى يدفع للدولة مبلغا من المـال نظير قيامه بجباية الضرائب من السكان مستخدما القوة الجبرية فى تحصيل الضرائب ، ولكن الملتزم فى مطلع القرن العشرين كان فى عـــرف العامة هو القادر على الانفاق بغير عناء • فكانت الخاطبة عندما تزكى عريسا لدى أهل فتاة تصفه بأنه رجل ملتزم ، أى أنه لا يعانى عسرا ماديا ، وأن أموره المـالية طيبة • أما الملتزم فى عرف الجيل الذى تكون فكره السياسى والاجتماعى فى ظلال ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ فهو المناضل السياسى المـؤمن

بقضية العدل الاجتماعى ٠ اننى أدعوكم الى تتبع المعنى اللغوى للتنمية قبل أن نقف على المعنى الاصطلاحى لهـا ٠

لو بحثنا فى قواميس اللغة العربية(١) لوجدنا أن تنمية الشىء تعنى ارتفاعه من موضعه الى موضع آخر ٠ ونما المـال بمعنى زاد وكثر ٠ ولكن مدلول التنمية فى لغتنـا المعاصرة لا تكفيه هذه المعانى ، ونلاحظ أن كلمـة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من أكثر الكلمات تداولا فى لغـة السياسة والصحافة المعاصرة(*) وبخاصـة فى الدول النامية ، كحل لا بديل عنه فى مواجهة المتطلبات القومية فى ميدان الانتاج والخـدمات ٠ ولتحقيق ما تكون به الدولة متقـدمة بالمفهوم السـائد فى هـذا العصر ، وبالمعايير السياسية والفكرية والاجتماعية العالمية٠ان التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كمـا يبرزها الاعلام اليوم تعنى من الناحية الحضارية تغييـرا أساسيا فى كل أنماط الحياة السائدة ٠ وينبع هذا تغير نوعى وكمى فى صور العلاقات الاجتماعية فى كافة مجالات النشاط البشرى فى المجتمع ٠ وهذا يعنى

---

(١) فى المنجد ٠ (نمى ينمى ٠ نميا ٠ ونمياً ٠ ونماء ٠ وينميه) المـال وغيره : زاد وكثر ٠
ونمى الخضاب فى الشعر أو اليد : ازداد سوادا ٠ ونمت الابل : تباعدت تطلب الكلا فى القيظ ٠ ونما الصيد : غاب عنك بعد أن أصيب فمات بحيث لا تراه ٠

ونمى تنمية ، الشىء ٠ جعله نامياً ٠ ونمى الحديث الى فلان ٠ رفعه اليه وعزاه بلغه على جهة الافساد ، يقال فلان ينمى أحاديث الناس » ٠ (انمى انماء) الشىء : زاده فانمى هو أى زاد ٠ أنمى الحديث : أذاعه على وجه النميمة ٠ انمى الصيد : رماه فاصابه ثم ذهب عنه فمات وضدها (احمى) اذا رماه فقتله لساعته ومنه قولهم خذ ما أحميت ودع ما أنميت ٠

ـ أنمى الراحل الابل : باعدها ٠ أنماها الكلأ : سمنها ٠ أنمى الكرم : صارت فيه نوام أىقضبان عليها عناقيد ، انميت لفلان : تركته فى تليل الخطا حتى يبلغ به اقصاه فيصبح حيث لا يكون لصاحب الخطا عـذر مقبول ٠

(تنمى تنمية) الشىء : ارتفع من موضعه الى موضع آخر ٠ انتمى البازى : ارتفع من موضعه الى موضع آخر ٠ النامية ـ نامية الكرم : القضيب التى تكون عليه العناقيد ٠

(لويس معلوف ـ المنجد ـ الطبعة الثانية عشر ـ نيسان ١٩٥١ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ص ٩١٨ ـ ٩١٩) ٠

(*) يطلق البعض كلمة متنامية على البلدان الساعية الى النمو واضافة التاء الى الفعل تفيـد الطلب والسعى مثل تناوم وتغافل ٠ ويطلق البعض كلمة الدول الساعية الى النمو ولكن كل دولة متقدمة أو متخلفة ساعية الى النمو ٠

أن تنمية المجتمعات المتخلفة هو نقلها من حالة أو مستوى الى حالة أو مستوى أفضل ومن نمط تقليدى معين الى نمط متقدم كما ونوعا .

وقد أطلق علماء الخدمة الاجتماعية على تنمية المجتمع لفظ خدمة المجتمع ، واعتبروها احدى طرق الخدمة الاجتماعية .

وعرفت الأمم المتحدة تنمية المجتمع عدة تعريفات منها :

(أ) العملية المرسومة لتقدم المجتمع كله اجتماعيا واقتصاديا ، والمعتمدة بأكبر قدر ممكن على مبادرة المجتمع المحلى واشتراكه .

(ب) العمليات التى يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المجتمعات المحلية ولمساعدتها على الاندماج فى حياة الأمة والمساهمة فى تقدمها بأقصى قدر مستطاع .

(جـ) تدعيم المجهودات ذات الأهمية للمجتمع المحلى بالمجهودات الحكومية ، وذلك لتحسين الحالة الاقتصادية والاجتماعية والحضارية لهذا المجتمع ، على أن تكون خطط الاصلاح بهذه المجتمعات المحلية متمشية ومنسجمة مع خطط الاصلاح العامة للدولة .

كما وضع الأستاذ صلاح الفوال تعريفا للتنمية على الوجه التالى : التنمية هى محصلة الجهود العلمية المستخدمة لتنظيم الأنشطة المشتركة ، الحكومية والشعبية ، فى مختلف المستويات لتعبئة الموارد الموجودة أو التى يمكن ايجادها لمواجهة الحاجات الضرورية وفقا لخطة مرسومة وفى ضوء السياسة العامة للمجتمع .

وبرغم فضل هذه التعريفات جميعا فى السبق الا اننى أرى أنها قاصرة عن المصطلح الذى نقصده الآن لمعنى التنمية . واننى أضع أمامكم محاولة من جانبى لتعريف التنمية بأنها : « **زيادة محسوسة فى الانتاج والخدمات شاملة ومتكاملة . مرتبطة بحركة المجتمع تأثيرا وتأثرا ، مستخدمة الأساليب العلمية الحديثة فى التكنولوجيا والتنظيم والادارة** » .

يبقى لنا بعد ذلك أن نتصور التنمية كمثلث متساو الأضلاع يعبر كل

ضلع من أضلاعه عن أبعادها الثلاثة : الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٠ مع التأكيد على أن ما نقصده بالبعد الاجتماعى ليس بالمعنى المدرسى أو الأكاديمى للاجتماع والمجتمع ولكن بالمعنى الشمولى المعبر عن حركة الجماهير ٠

التنميـــة الاقتصـــادية :

شبيه بقولنا فى الانسان بأنه صانع التنمية وهدفها نقول أن التنمية الاقتصادية هى قطب الرحى فى التنمية الشاملة ٠ وأساس تعريفنا للتنميـة بأنها « زيادة محسوسة فى الانتاج والخـــدمات » يعكس أهميـة وضرورة الاقتصاد كعصب للتنمية الشاملة وعمودها الفقرى فى نفس الوقت ٠ والتنمية الاقتصادية على حـد تعبير الدكتور عمرو محيى الدين هى ثورة العالم الثالث ضـد الفقر والبؤس والتخلف بصفة عامة ٠ ولقد ظفرت المكتبة الاقتصـادية خلال النصف الثانى من القرن العشرين بسيل من الكتابات الاقتصادية حول التنمية ، وكأن أساتذة الاقتصاد قد اكتشفوا فجأة حقلا جديدا يصولون فيه ويجولون ٠ ولكن حقيقة الأمر أن بروز العالم الثالث ومشكلاته الاقتصادية التى لا تعيش بعيدا عن ظروفه الاجتماعية والثقافية جعل الموضوع ساخنا ٠ ولقد طرح المفكرون الاقتصاديون الغربيون حلولا للمشاكل الاقتصادية التى تواجهها التنمية فى العالم الثالث ، ولكنهم كانوا مقيدين فى حلولهم وأفكارهم بالاطار النظرى التقليدى للفكر الاقتصادى الرأسمالى ٠ هذا الفكر التقليدى أثبت عجزه وعدم نفعه للعالم الثالث برغم تناسقه المنطقى وتجريده وعلى الجانب الآخر طرحت الماركسية بتطبيقاتها السوفيتية والصينية حلا شاملا وذاتيا للانتقال من التخلف الى التقدم ٠ ولكن الاختلاف الشديد فى الظروف تاريخيا وجغرافيا ودوليا بين تجربة السوفيت وتجربة الصين من جانب وبين تجارب الدول الحديثة الاستقلال من جانب آخر لا يبيح التطابق أو التشابه وانما يبيح مجرد الاستفادة بمـا يتوافق مع طبيعة الاقتصـــاد النامى فى بلدان العالم الثالث والظروف الموضوعية لهذه البلدان ٠

ومن هنـــا يبرز دور أساتذة الاقتصاد من أبنـــاء العالم الثالث الذين يستطيعون الفكاك من التراث الدراسى التقليدى ٠ ويخلقون الاطار الفكرى الملائم لواقعهم الاجتماعى ٠ وهذا هو الجدل الرائع للجديد وهو ينبع من قلب القديم ، وما تبشر به كتابات العناصر غير الواجفة من أساتذة الاقتصـاد ،

وهم يصنعون اطارا فكريا لمشاكل التنمية الاقتصادية يرتبط بالعالم الثالث ويعكس ظروفه وطموحه ٠

ولقد كانت الأسئلة المثارة ـ على سبيل المثال ـ فى انجلترا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر(٢) هى : ما هو السبب وراء ارتفاع الأسعار ؟ كيف تؤثر القيود على التجارة على مستوى الأسعار ؟ كيف تؤثر حركة الأسعار على نصيب الفئات من الناتج القومى ؟ كيف يؤثر توزيع الناتج على عمليتى نمو وتطور الاقتصاد القومى ؟ وما هى العلاقة بين نمو الثروة ونمو السكان ؟ هذه هى بعض الاسئلة التى ظهرت فى انجلترا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، حين كانت تمر بما هو معروف اليوم تاريخيا باسم « الثورة الصناعية » ولقد أثمرت محاولة الاجابة على هذه الأسئلة بناء فكريا هو الاقتصاد الكلاسيكى البريطانى British Classical Economy ويكفى فى هذا المجال أن نحاول الربط بين آراء « آدم سميث » فى تقسيم العمل وسعة الأسواق ونظرية « ريكاردو » فى القيمة وتوزيع الناتج القومى ، ثم نربط الاثنين بنظرية « مالتس » فى السكان ، وتكون النتيجة بناء فكريا متكاملا للنمو الاقتصادى ٠

واذا نظرنا الى واقعنا العربى فى الربع الأخير من القرن العشرين نجد أن اسئلة مختلفة مثارة منها : كيف ألبى بمواردى القليلة احتياجاتى المتزايدة ؟ أى نظرية من الفكر الاقتصادى أنفع لواقعى ؟ كيف نوائم بين الأجر وبين أسعار السوق ؟ هل الوحدة الاقتصادية العربية أو التكامل الاقتصادى أو السوق العربية المشتركة هى البداية أم هى المحصلة ؟ بأى الصناعات أبدأ ؟ هل القروض تدفع عجلة التنمية دفعا حقيقياً أم زائفاً ؟ هل أفتح باب الهجرة للعمال والعقول العرب أم أضيق فتح الباب ؟ كيف نتوسع فى سياسة الانفتاح دون أن نغرق فى التضخم والاستهلاك ؟ كيف أوازن بين الخدمات والانتاج والمواليد ؟ ماذا للقطاع العام وماذا للقطاع الخاص ؟ ما هو الاستثمار الأمثل لعائدات وفوائض البترول والمال العربى ؟ ٠

من هذه الأسئلة ومحاولة الباحثين الاقتصاديين الرد عليها يتشكل

---

(٢) د/عمرو محيى الدين ـ التخلف والتنمية ـ دار النهضة العربية ١٩٧٦ ٠ ص ٢٢ ٠

مفهوم التنمية الاقتصادية واطاره العلمى والتطبيقى ·· علماً بأن لأساتذة الاقتصاد العرب اجاباتهم القيمة فى هذا السبيل ، وعلماً بأن تجارب التنمية العربية أظهرت رصيداً من النجاح والفشل يمكن تقييمه والافادة منه ، ومن دوران وديناميكية معالجة هذه الأسئلة وغيرها تتجسد التنمية الاقتصاية حقيقة حية ·

التنميـــة الاجتمـــاعية :

ان التنمية الاجتماعية لا تقف فى رأيى عند مفهومها القديم فى خدمة البيئة ، كاقامة معسكر للشباب فى قرية لردم بركة ، أو تشجير طريق على ترعة ، وانما البعد الاجتماعى للتنمية يشمل تحليل القوى الاجتماعية السائدة فى المجتمع ، وطبيعة السلطة ، ونظرية الحكم ، ومدى مشاركة الجماهير فى صنع القرار · ان الجانب السياسى برمته جزء من البعد الاجتماعى للتنمية · ثم الجانب الموروث فى عادات المجتمع وتقاليده والحوار بين قديمه وجديده ، ووضع المرأة فى المجتمع·ثم الشخصية القومية وأبعادها كل ذلك يمثل لنا معنى التنمية الاجتماعية ·

ولنضرب مثلين يسهمان فى اجلاء البعد الاجتماعى للتنمية ، المثل الأول يبين تأثير البيئة الاجتماعية المتخلفة على الانسان كصانع للتنمية · يقول مالك بن نبى فى تأثير البيئة الاجتماعية على موقف الفرد وما يمكن أن نراه كعائق لنمو الفرد كعنصر متحرك من عناصر البناء(٣):« ان الحياة الاجتماعية فى البلدان المتخلفة مغلفة بلفائف من انعدام الفاعلية موصومة بنقائص من كل نوع · وتبدو هذه اللافاعلية من تلقاء ذاتها لنظر المرء فى صورة انعكاس لثقافة معينة ، وهى فضلا عن ذلك تبدو فى مظهر مزدوج هو المظهر النفسى الفردى والمظهر الاجتماعى الجماعى · فمن الملاحظ أن طالب الطب(المسلم) « يقصد فى البلدان النامية » الذى يذهب لتلقى علومه فى احدى العواصم الأوربية يحصل على نفس الدبلوم الذى يحصل عليه زميله الانجليزى مثلا بل انه كثيرا ما يتفوق عليه اذا ما كان أكثر استعدادا وذكاء ، لكنه لا يحصل

---

(٣) مالك بن نبى ـ مشكلة الثقافة ـ ترجمة عبد الصبور شاهين ـ دار الفكر ـ بيروت الطبعة الثانية ١٩٥٩ ص ٥٥ ، ٥٦ ·

غالبا على فاعليته ، أعنى طريقة سلوكه وتصرفه أمام مشكلات الحياة الاجتماعية » ٠

والمثل الثانى يوضح لنا ارتباط الحرية فى المجتمع بالتنمية ، وبمعنى أخص ضرورة حرية الصحافة لاحراز التقدم ٠ فالسؤال الذى يطرح نفسه فى البلدان النامية هو ما مدى تعبير الصحف بوجه خاص عن الرأى العام من جانب ، ومدى قدرة هذه الصحف وقدرة محرريها على كشف الفساد الاجتماعى من جانب آخر ، وما قدر الحرية الممنوحة لها فى النقد ؟ وما هى ضمانات هذه الحرية ؟ ضمانات من ملكية الصحف ومن نقابة الصحفيين ومن المؤسسات والأحزاب والتنظيمات الدستورية والقانونية فى المجتمع ٠ ضمانات للصحيفة كمؤسسة اجتماعية وضمانات للمحرر كمهنى يزاول عمله ٠

ان القانون الذى يقيد حرية الصحافة يعوق التنمية فى المجتمع ٠ لأنه يحرم الرأى العام من المعرفة ومن تصحيح أخطاء المخططين أو سلبيات وحدات الخدمات أو عبث وحدات الانتاج ٠

ويستشهد الدكتور أحمد بدر(٤) بقول « كارل ماركس » عام ١٨٤٣ عن الحرية والرقابة : « تسمع الحكومة صوتها فقط وهى تعرف أنها تسمع صوتها فقط ، ومع ذلك فهى تتصرف على اعتبار أنها تسمع صوت الشعب وتطلب من الناس أن يتقبلوا ذلك على انه حقيقة ٠ وهكذا يقع الناس فى الشك والحيرة ، أو يكونون سلبيين ويعزفون عن المشاركة فى الحياة السياسية ويهتمون فقط بشئونهم الخاصة ٠ واذا كان على الناس أن ينظروا الى الكتابات الحرة على أنها كتابات غير قانونية فسيتعودون على اعتبار ما هو غير قانونى على أنه حر٠ فالحرية غير مشروعة ٠ وما هو مشروع لا يعبر عن الحرية ونتيجة لذلك فان الرقابة تقتل الروح المتمدينة »٠

---

(٤) د٠ أحمد بدر ـ الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ـ دار القلم بالكويت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٤؛ ص ٣٥٩ ٠

التنميـــة الثقـــافية :

ان أول ما تهدف اليه التنمية الثقافية هو بناء الانسان بناء معنويا ، ومن هذا الهدف تبرز الأهداف الثانوية ، ويبرز فى نفس الوقت دور الاعلام فى تحقيق هذه الأهداف · وتتوافق معظم أهداف وزارات الثقافة ووزارات الاعلام فى البلدان النامية مع مفهوم التنمية الثقافية · ولكن الصعوبة تبـدأ مع التطبيق ومع التخطيط الثقـــافى والاعلامى · وذلك لأن العمـل اليومى يستوعب فى كثير من الأحيان طاقات أجهـــزة الثقافة والاعلام فيتوه منهـا للطريق الذى رسمه التخطيط أو يتعثر تنفيذ أمهات الأعمال الثقافية بسبب تركيز الجهد على مانشتات الصحف ونشرات الأخبار فى الاذاعة والتليفزيون وما حول ذلك ·

يروى يوسف السباعى(٥) تجربته كوزير للثقافة فى مصر (١٩٧٤) بأن الأهداف الأساسية لسياسة وزارته كانت واضحة وسهلة ، فالى جانب بناء الانسان كانت الأهداف هى : اثراء الوجدان العربى بالقيم الروحيـــة والتقاليد الأصيلة ، محو الأمية الثقافية وبناء المواطن المستنير الذى يبـــدع ويبتكـر ويبنى الدولة العصرية ، اشـــاعة التفـــاؤل والاشراق ، ازالة كل الضغوط النفسية والاجتماعية وتحقيق جو ديمقراطى حر تزدهر فيـــه كل طاقات الفكر الخلاق والابداع الفنى الرفيع ·

يقول الوزير أنه عند بدء التنفيذ بدأت الفجوة واضحة بـــين الأمل والعمل ، بين الحلم والواقع · كيف نبنى الانسان العربى الحـــر المتفائل المبدع المفكر الخلاق ؟ وبأى وسيلة نصل الى هذا الهدف ؟ ما هو الكتاب الذى يجب أن نقدمه لعقله ؟ واللوحة التى ننمى من خلالها ملكاته واللحن والتمثال والفيلم والمسرحية وبقية الزاد الثقافى الذى يشبع حاجاته الروحية والمعنوية، التى لا تقل أهمية ــ ان لم تزد ــ عن مطالبه المـادية الأساسية ؟ ولكن أشهد أن المناخ الرائع الذى أشاعه النصر العظيم فى ٦ أكتوبر ، ملأ نفوسنا بالثقة والاصرار ، وبدأنا نتغلب عـلى العقبات والمشـــاكل ، وبدأت صورة الأمـل والعمل والحلم والواقع تأخذ شكلا جديدا ·

---

(٥) يوسف السباعى ــ العبـــور الثقـــافى ــ مجـلة الثقـــافة ــ اكتوبر ١٩٧٥

لاشك فى أن هـــذه الأهداف تصلح جزءا أساسيا فى مجال التنميـــة الثقافية ، ولا شك أن عناصر هذه الأهداف يمكن النظر اليهـا كجزء أساسى لورقة عمل فى مجال الثقافة الىجانب عناصر أخرى أهمها الثقافة الجماهيرية. ففى مجال التنمية الثقافية يـــبرز دور الثقافة الجماهيرية لأن هـــذا الجهد الثقافى(٦) يمكننا من قياس درجة التقدم فى مجال خلق معرفة ديمقراطية لها دورها فى خلق الشخصية الوطنية المستقلة ٠ تلك الشخصية المتميزة بقيمها الخاصة وبثقافتها الخاصة ٠ وهذا الجهد المبذول فى مجال التنمية الثقافيـــة يحتـــاج الى توسيع دائرته وأن يطـــرق باستمرار مجالات أرحب بسبب الاحتياج المتزايد للانسان من منهل الثقافة ٠

وبعد أن ألمنا بمفهوم التنمية الشاملة يمكننا أن نزيد معرفتنا بهـــا بالمامنا بالوجه الآخر : التخلف ٠ ما هو مفهوم التخلف ؟ ٠

معـــنى التخلف :

يتساءل « تشيلسوفورتادو » فى كتابه النمو والتخلف : ماهو التخلف؟ ويجيب بأنه « حالة اقتصاد مزدوج يتعايش فيه قطاعان أحدهما قطاع سابق للرأسمالية ، اكتفائى بنسبة كبـــيرة ، والآخر قطاع متكامل مـع الاقتصاد العالمى الحديث فنيا وتجاريا ٠ وتعـــرف درجة التخلف بالأهمية النسبية لهذين القطاعين أكثر من تعريفها بمستوى دخل الفرد أو معدل نموه » ٠

وتوصف الدول المتخلفـــة بكلمة الدول النامية وهى التسمية الأكثر شيوعا لأنها تحترم مشاعر الشعوب ، كما توصف فى بعض الأحيان بالدول الأقل تقدما أو بالدول المتأخرة أو الفقيرة وتقابل التسمية فى الفرنسية كلمة Sous-Développement وكلمة Under developed فى الانجليزية ، كما توصف مجتمعات هذه الدول فى أحيان أخرى بالمجتمعات الانتقالية ٠

ومن البديهى أنه ليس هناك حدود للنمو والتقدم الا حـدود العبقرية

---

(٦) Bissekri, Fayçal - Interaction du Développement Economique et de Développement des Mass media en Algéri - Thèse pour le Doctorat de 3ème cycle en sciences de l'information - Université Paris II - 1976 - P - 208.

البشرية ذاتها · والذى لا شك فيه هو أن الدول جميعا المتقدمة والمتخلفة تسعى دائما لمزيد من التنمية·ولقد حاول الباحثون وضع معايير يسترشدون بها للتفرقة بين الدول النامية وتلك المتقدمة ، ولكن هذه المعايير كانت مقاييس مادية وعامة(٧) فهى تعبر عن متوسطات لمجموعات من الشعوب ولا تمثل الواقع بتفاصيله التى تعكس أحوال البشر كآدميين وليست كمتوسطات وهمية ·

وعلى سبيل المثال كم من دولة تدخل فى نطاق الدول المتقدمة بمقاييس الدخل القومى ، ولكن يعيش فيها ملايين الفقراء الذين يزيدون فقرا عن زملائهم فى الدول التى تدخل فى نطاق الدول المتخلفة بمقاييس الدخل القومى أيضا ؟ ان القشرة الخارجية لا تعبر تعبيرا صادقا عن الجوهر فى كثير من الأحيان ، فقد أعلن راديو لندن فى أول فبراير عام ١٩٧٥ فى تقرير « لميكل ليفر » مراسل الاذاعة البريطانية فى تايلاند بأنه اطلع على تقرير اقشعر له بدنه فى تايلاند ، يقول ان ٥٥ ألف طفل ماتوا من قلة الطعام فى تايلاند · وعلق على التخلف الذى شاهدههناك بأن الفرق شديد بين صور الدعاية السياحية وحقيقة الشعب المتخلف فى تايلاند ·

وتكاد تجمع أفكار المتحدثين فى موضوع التنمية بأن العدالة الاجتماعية ضرورية فى تحقيق تقدم البلدان المتخلفة · وأنه ينبغى تقييم مدى التقدم والنمو بالتغيير الجوهرى فى تطور المجتمع ، ذلك التغيير الذى يؤدى الى تحقيق التقدم الاجتماعى ، وليس من الأيسر(٨) تعريف الدولة المتقدمة بأنها تلك الدولة التى وصلت الى مرحلة من التقدم تمكنها من النمو الذاتى بمعدلات مناسبة دون حاجة الى معونة خارجية · والمشكلة هنا ليست مشكلة الأضداد ، فالفرق واضح بين الدول التى فى أعلى درجات سلم النمو وتلك التى فى أدنى الدرجات ، ولكن المشكلة تتعلق بالدول التى تقع بين النقطتين وهى الدول التى تأمل فى التعرف على قريناتها من الدول النامية ،

---

(٧) د· حامد السايح ـ معالم على طريق التنمية فى السبعينات ـ محاضرة بمعهد الدراسات المصرية ٦٩/٧٠ ·

(٨) المرجع السابق ومع ملاحظة ان البلدان الغنية تسعى للحصول على قروض لمزيد من التنمية ·

متأكدة من وحدة الهدف معهـــا حتى تضمن مساندتها فى مطالبها العادلة فى سبيل النمـو ٠

ويرى « والتر الكان »(٩) أن كلمة التنمية كلمة مبهمة ، وأنه ليس هناك تعريف بسيط لها ٠ ولكنه يرى أن خصائص البلدان النامية واضحة ، وأنه برغم الاختلاف الكبير بين البلدان المتخلفـــة بعضها عن بعض ٠ الا أن الأمر الوحيد المشترك بينها جميعا هو تعريفها بأنها البلدان التى تعانى غالبيـة شعوبها مستوى معيشـة منخفضا نسبيا ٠ وأن هـــذا المستوى المنخفض للمعيشة يكمن وراء معظم خصائص تلك البلدان ٠

ومن الطبيعى أن يعيش معظم سكان البلدان المتخلفة فى بيئات ريفيـة أكثر من معيشتهم فى المدن ٠ وينفق ذوو الدخول المنخفضة نسبة كبـيرة من دخولهم على الطعام ، ولمـاكانت البلدان الفقيرة لا تستطيع استيراد الطعام بسهولة ، فان أكبر الجهد الانتاجى لابد وأن يكرس لانتاج الطعام وتجهيزه وتوزيعه ٠ ولا ينبغى الاستنتاج من ذلك ــ على نحو ما يحدث غالبا ــ ان معظم سكان تلك البلدان يشتغلون بالزراعة ٠ حقا ان التخصص المهنى احدى خصائص الاقتصاد النـــامى ، حيث تصبح درجـة التخصص المهنى فى أى اقتصاد وظيفة لمدى السوق ٠ وتدل الدخول المنخفضة على أسواق صغيرة ٠ ومن ثم على درجة منخفضة من التخصص ٠ وبتعبـير عملى فان ذلك يعنى أنه بينما يعيش معظم سكان الريف فى المزارع ، وهى فى العادة مزارع أسرية صغيرة تتراوح بين خمسة وعشرة « أكـر » (الاكـر مقياس انجليزى لمسطح الأرض أصغر من فدان) فان جـــزءا كبيرا من نشاطهم يجـــرى فى التجارة البسيطة وحمل المحاصيل للسوق وبناء البيوت واصلاحها أو حياكة الملابس وأنشطة أخرى لا يقرنها المرء عادة بالزراعة ٠

ان الدول ذات الدخل المنخفض بحكم تعريفها هى الأقل نموا ٠ وهو التعبير الدارج الذى استخدمته الأمم المتحدة لتصفها به ٠ ولكن ذلك لا يدل على أنها غير نامية ٠ فالتنمية كلمة مبهمة بطبيعة الحال ويصعب الا مساك

---

(٩) Walter Elkan - Development Economics, Penguin - London, 1973, P. 13 - 27.

بهـا ، ولا يبدو لها تعريف جامع مانع ، ويبـــدو ذلك جليا عندما يبدأ المرء المحـــاولة ٠

ويحاول بعض الباحثين التفرقة بين الدول المتقدمة والدول الناميـــة بمقياس نصيب الفرد من الدخل القومى وهو المقياس الذى أخذت بـــه الأمم المتحدة فى تعريفها للبلدان النامية بأنها تلك التى يقل دخل الفرد فيها منسوبا للدخل القومى عن ثلاثمائة (٣٠٠) دولار أمريكى فى السنة ٠ ويرى آخـرون أن نسبة الصادرات الصناعية للدولة الى الصادرات الكلية لها هى التى يمكن قياس درجة تقدمها أو تخلفها بهـــا ، بمعنى أن الدولة التى تزيد نســـبة صادراتها المصنعة فى جملة صادراتها أقرب الى التقدم ، والدولة التى تزيـــد صادراتها من المواد الخام فى جملة صادراتها أقرب الى التخلف٠ وقسم بعض الباحثين مراحل النمو أو التحول والتغيير فى البناء الاجتماعى نحو التقـدم والنمو بمراحل أولها المجتمع التقليدى ثم المجتمع المعد للنمو ثم مجتمع النضج ثم مجتمع الاستهلاك الكبير ٠

وترى الدكتورة جيهـان رشتى(١٠) أن الصعوبة التى يواجهها الباحث وهو يحاول تحديد خصائص المجتمعات المختلفة تتلخص فى صعوبة الفصل بين خصائص تلك المجتمعات ٠ وتلاحظ أن الباحث يلجأ الى الاستقطاب أى شرح الخصائص السائدة فى مختلف المجتمعات على أنها خصائص مطلقـــة وهذه النظرة لا ترى أن هناك بين الأبيض والأسود مناطق رمادية ٠

وتحـــذر الدكتورة جيهان من الاستقطاب ، لأن أى نظـام سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى سواء كان تقليديا أو انتقاليا أو حديثا ـ قد يجمع بين الخصائص التقليدية والحديثة ٠ فاذا تصورنا مجالا يبدأ من واحد وينتهى بعشرة نستطيع أن نضع المجتمع التقليدى عند رقم ٣ مثلا والمجتمع الانتقالى بين رقمى ٥ ، ٧ ٠ والمجتمع الحديث عند الرقمين الثامن والتاسع ، باعتبـار أن المجتمع كلما اقترب من رقم ١٠ كان مجتمعا حديثا و متقدما وكلما اقترب من رقم ١ كان متخلفا وتقليـديا ٠ ولكن لا نستطيع أن نجـــزم بوجـــود

---

(١٠) د٠ جيهان رشتى ؛ نظم الاتصال ـ الاعـلام فى الدول النامية ـ الطبعة الأولى دار الفكر العـربى ١٩٧٢ ص ٧ ، ٨ ، ٩ ٠

مجتمع حديث ١٠٠٪ يقع فى آخر الطرف الأيسر ووجود مجتمع متخلف ١٠٠٪ يقع فى أول الطرف الأيمن لأن الصفات الحضارية والتقليدية تتواجد فى كافة المجتمعات ، وانما تختلف الدرجة وتتفاوت النسبة ٠

ويفرق الدكتور الفاروق يونس بين الخصائص العامة للدولة النامية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٠ فهناك خصائص اقتصادية عامة حيث تشتغل الغالبية الكبرى من السكان بالزراعة وحيث تصل نسبة المشتغلين بالزراعة أحيانا الى ٩٠٪ من مجموع السكان ، وان تراوحت أحيانا أخرى بين ٧٠٪ و ٩٠٪ من عدد سكان الدولة ، وحيث تنتشر ظاهرة التضخم السكانى المطلق فى الزراعة بمعنى أنه يمكن تخفيض عدد العاملين حاليا فى الزراعة دون أن يترتب على ذلك أى مساس بحجم الانتاج الكلى لقطاع الزراعة الى جانب انتشار ظاهرة البطالة المقنعة فى الريف ، وبشكل خطير فى بعض الأحيان ، مع قلة فى فرص العمل خارج قطاع الزراعة ٠ والى جانب قلة المدخرات أو انعدامها تقريبا بالنسبة للطبقات الشعبية ٠

كذلك من بين الخصائص الاقتصادية للبلدان النامية أننا نجد الانتاج الزراعى فى معظمه من الحبوب والمواد الخام مع نسبة منخفضة من الانتاج فى المواد الغذائية المحتوية على نسبة عالية من البروتين ٠ واتجاه الشطر الأكبر من النفقات الاستهلاكية للأفراد والأسر نحو الطعام وما على شاكلته من ضرورات الحياة ٠ ويتألف الجانب الأكبر من صادرات الدولة من المواد الأولية والمواد الخام ٠

ثم هناك خصائص سكانية (ديموجرافية) عامة أولها ارتفاع معدل المواليد بصفة عامة حيث يصل هذا المعدل فى كثير من الدول النامية الى أكثر من أربعين لكل ألف من السكان ٠ وثانيها – ارتفاع معدل الوفيات عامة ومعدل وفيات الأطفال بصفة خاصة ، وانخفاض متوسط عمر الفرد عن نظيره فى الدول المتقدمة ٠ وثالثها – انتشار أمراض سوء التغذية للنقص الظاهر فى المواد الغذائية الأساسية ٠ ورابعها – انخفاض المستوى الصحى نتيجة لانتشار الوسائل البدائية فى العلاج بين أغلب السكان ، ونتيجة لقلة المرافق الصحية العامة ٠ وخامسها – ازدحام البيئات الريفية عادة بالسكان بشكل لا يتناسب مع مواردها الاقتصادية ٠

ثم هناك خصائص ثقافيـــة وسياسية عامة تنحصر فى ارتفاع نسبة الأمية بين الناس ، والأخذ بأساليب عتيقـة فى التعليم ، وانتشار ظاهـــرة عمالة الأطفال على نطاق واسع وعلى الأخص بين الطبقات الشعبية ، وضعف الطبقة المتوسطة فى المجتمع وعـــدم توفر عوامل نموها · وانخفاض المركز الاجتماعى للمرأة فى المجتمــع وخضوع السلوك الفردى وعلى الأخص بـــين الطبقات الشعبية لتقاليد متوارثة أكثر منها لقيم جديدة اقتضتها طبيعـــة التطور والتغيير فى سبيل التنمية ·

وفى خصائص التخلف نجــد الدكتور عمرو محيى الدين(١١) لا يعترف بمتوسط دخـــل الفرد كتعريف للتخلف ، وانما يضعه كمؤشر فقط للتخلف ضمن مؤشرات عـــديدة أخرى · ويرى أن الدول المتخلفـــة هى الدول التى تسودها أساليب الانتاج المتخلفة ، وأسلوب الانتاج يتكون من قوى الانتاج المستخدمة (بشقيها المــادى والبشرى) وعلاقات الانتاج التى تعمل هـــذه القوى فى اطارها · وتخلف أسلوب الانتاج يعنى تخلف قوى الانتاج وعلاقات الانتاج فى نفس الوقت ، ويقسم خصائص التخلف الى نوعين من الخصائص: اما النوع الأول فهو الخصائص المــادية أو الاقتصادية وتشـمل الاختلالات الهيكلية ، أما النوع الثانى فهو الخصائص غير المــادية ويمكن أن يطلق عليها تخلف البنيان الاجتماعى ، أو ماقد يطلق عليه البعض تخلف الاطار الحضارى أو الثقافى · أما الاختلالات الهيكلية فتــأخذ مظاهر متعددة : أولها اختــــلال العلاقة بين الموارد المــادية والموارد البشرية · وهـــذه يمكن ارجاعهــا الى خاصيتين أساسيتين وهمـــا الانفجار السكانى من ناحيــة ، وانخفاض أو ضعف مستوى التراكم الرأسمالى من ناحية أخرى ، ممــا يؤدى الى هـــذا المظهر الأول من مظاهر الاختلالات الهيكلية · أما المظهر الثانى من مظاهـــر الاختلال الهيكلى فهو اختلال الهيكل الانتاجى وهو نتيجة طبيعية للمظهـــر الأول للاختلال وهو الانفجار السكانى وانخفاض مستوى التراكم الرأسمالى · أما المظهر الثالث فهو شيوع البطالة المقنعــة ، وهى نتيجة لتفاعل مظاهـــر الاختلالات الهيكلية الثلاث السابق الاشارة اليهـــا · فالانفجار الســكانى حينما يأخذ مكانه فى هيكل انتاجى منحــــرف مع انخفاض مستوى التراكم

---

(١١) د· عمرو محيى الدين ؛ التخلف والتنمية ، دار النهضة العربية ١٩٧٦ ص ٥٣ ·

الرأسمالى (الاستثمار) فى نفس الوقت ، فان هذا لابد وأن يفرز البطـــالة المقنعة كمظهر أساسى لهـــذا الاختلال • وبالتالى فالبطالة المقنعـة تعكس طبيعة الهيكل الاقتصادى السائد ومدى اختلاله • أما المظهر الرابع منمظاهر الاختلالات الهيكلية فهو اختلال هيكل الصادرات (أو القطاع الخارجى) فى الدول المتخلفة • وهذا المظهر الأخير من مظاهر الاختلال انما يعود الى ظروف تاريخية معينة وهى دخول الدول المتخلفة كجزء من السوق الرأسمالى العالمى فى القرن التاسع عشر وما تبع ذلك من نمط التخصص وتقسيم العمل فى اطار هذه السوق بينالدول التى مارست الثورة الصناعية وتلك التى لم تمارسها•

هـــذا عن الخصائص الاقتصادية أو المـادية ، أما النوع الآخـــر من الخصائص فهو الخصائص غير المـادية ، وهى تخلف البنيان الاجتماعى بما يشمله من النظم والعلاقات الاجتماعية والنظم السياسية والقيم الســائدة والسلوك والعادات والتقاليد والاتجاهات • والتخلف فى هـذا الصدد يعنى معنى محددا وهو أن هـــذه الهياكل الاجتماعية والثقافية تمثل عائقا للنمو والتقـــــدم •

والتخلف كما يراه « ولبور شرام »(١٢) ليس وصفا مهنيا • انما يعنى أن النمو الاقتصادى (والتغيرات الاجتماعية التى ينبغى أن تصحب النمـو الاقتصادى) لم يجتز بعد نقطة معينـــة •

ولعل أقرب الأمثلة توضيحا للمعنى الانسانى للتخلف المثل الذى ضربه «شرام» فى كتابه المشار اليه بأسرتين رمز للأولى باسم أسرة «ايفيه» وجعل موطنها غربأفريقيا الوسطى•تتكون الأسرة منالزوج والزوجة وهما فىمنتصف العمر • لهما ولد فى الثالثة عشرة من عمره وابنة فى الثانية من عمرها • همـا الباقيان من خمسة أطفال أنجبتهم الأسرة الصغيرة • ومع هؤلاء جميعاً يعيش الجد المسن العاجز عن الكسب • ويرسم المؤلف ملامح الأسرة بالدفء العاطفى والقناعة الى جانب الذكاء الفطرى • ويجعلك تحس بأن العائلة لا يحركهـا طموح لتحسين حالتها أو الارتقاء برغم مواهب أفرادها • ولكنك ستدرك أنهم يتناولون من الطعام نصف ما يتناوله الأوربى فى القيمة الغذائية ، فضلا عن

---

(١٢) ولبور شرام : ترجمة محمد فتحى ، أجهـزة الاعلام والتنمية الوطنيـة ـ الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ١٩٧٠ صفحة ٢٣ •

النوع بطبيعة الحـــال ٠ وستدرك أنهم فى أغلب الوقت مرضى بالأمراض المتوطنة وفوق ذلك فليس أمام رب الأسرة مجال لاختيار مهنته فليست فى القرية صناعة يمكن أن يحصل فيها على عمل ٠ وهو أمى وبرغم ذلك يتميز الرجل بصفاء الذهن وحدة الذكاء ٠ كما تتميز الزوجة بالمهارة فى نسج براويز فنية باهرة الألوان ، وفى عمل سلال من الكروم ٠ وابن الثالثة عشرة يمتاز بذاكرة قوية ، ولكنه نسى القراءة والكتابة التى أمضى ثلاثة أعوام فى المدرسة الابتدائية يحاول أن يلم بها ، وقد عاقه المرض وبعد المدرسة عن سكناه عدة كيلو مترات عن التعليم ٠ ويصل « شرام » بنا فى ختام حديثه عن هذه الأسرة بأن هذه العائلة تمثل مورداً لم يستخدم استخداما كاملا ٠ وهذا الذى يصل اليه « شرام » يوضح لنا معنى التخلف ، وهذه الأسرة الرمزية نستطيع أن نجدها فى ريفنا العربى وفى بلدان العالم الثالث ٠ كما نجد الأسرة الثانية التى رمز اليها « شرام » باسم عائلة « بوفانى » وجعل سكناها فى بلد قـديم من جنوب آسيا ٠ وهى بذلك تحظى بتراث قديم من الدين والفلسفة والشعر ٠ وهى تشبه العائلة الأولى فى مستوى معيشتها ٠ ومظهر هذه العائلة يدل على أنهم أقوى بنيانا وأحسن صحة غير أنها عائلة اعتادت الأوبئة التى تكتسح البلاد ٠ وهذه العائلة الآسيوية تبلغ أربعة عشر نفـراً ، وتعيش العـــائلة مجتمعة فى بيوت كل بيت مكون من حجرة واحدة يضمهـا جميعـاً « دوار » يفصله عن بقية القرية حائط منخفض ٠ والعائلة فى الحقيقة ثلاث أسر ٠ رب العائلة وزوجه فى حجرة بزاوية « الدوار » وفى حجرتين متلا صقتين يقيم ولدا رب العائلة مع زوجتيهما وأولادهما ٠ فالعـادة أن يحضر الأولاد زوجـاتهم ليعشن معهم فى « الدوار » ٠ تعيش العائلة على الزراعة ، ويجتمع الآدميون والحيوانات فى ساحة الدوار ٠ وعندما يتطلب الأمر قراراً عائليا ، يذهبون الى رب العائلة ، فيفكر ويتأمل ويســتغرق فى التفكير والتأمل ٠ وما يقوله فى النهاية لا يقبل النقاش ، ولو أن الأولاد أحيانا يهزون رؤوسهم فى خيبة أمل ، ولو اختلف معه أحـد من أولاده فليس أمامه الا الامتثال أو المغادرة ، وقـد فعلها بعضهم وذهب الى المدينة ٠

بدأ التوتر فى العائلة عندما بدأ التغيير يأخـذ طريقه للقرية ٠ بعثت الحكومة خبراء التنمية الى القرية لزيادة انتاج الأرز ٠ ويسأل رب العائلة : ولمـاذا نزيد انتاجنا من الأرز ؟ فيرد الأبناء : لنزيد أموالنا ٠ ويقول الشيخ :

المـال هم ٠ ويقول الأبناء : بالمـال يمكن أن نرسل الأولاد الى المدرسـة ٠ فيسأل الشيخ : نرسلهم ليتركونا ؟

ويصل بنا « شرام » فى النهاية الى القول بأنه لو أن رب العائلة كان أصغر سنا أو لو أن النظام كان يسمح للشباب بأن يكون له صوت أكبـر فى الوصول الى قرارات لتغير الحـال ٠

هذا الذى يذكره « شرام » يوضح لنا معنى التخلف ويوضح لنا عوائق التنمية ٠ ان أبطال قصتى « ايفيه » و « بوفانى » تذكرنا بعثمان بيومى بطل قصة نجيب محفوظ « حضرة المحترم » ٠ ذلك الفتى الذى أراد أبوه أن يجعل منه « سواق كارو » مثله ، ولكن شيخ الكتاب قال له : يا عم بيومى توكل على الله وادخل الولد المدرسة الابتدائية ٠ فذهل الرجل وتساءل : ألم يحفظ من القرآن ما يقيم به الصلاة ؟ فقال الشيخ : الولد ذكى وعاقل ، وربما رأيته يوماً من رجال الحكومة ٠٠ وقهقه عم بيومى غير مصدق فقال الشيخ : عليك بمدارس الأوقاف فربما قبل بالمجان ٠٠٠

وتردد عم بيومى زمنا ثم تمت المعجزة ونجح عثمان فى المدرسة نجاحا مذهلا حتى حصل على الابتدائية ٠ تميز عن أقرانه الحفاة من أبناء الحارة ورأى بعينيه الحادتين أول شرارة مقدسة تنطلق من فؤاده النابض ، وأيقن أن الله يبارك خطاه ويفتح له أبواب اللانهاية ٠ والتحق بالمدرسة الثانوية بالمجان كذلك ، فحقق من النجاح ما لم يصدقه أحـد فى حـارة الحسينى ، ومرض عم بيومى مرض الوفاة ٠ وابنه فى السنة الثانية ، فندم الرجل على ما فعله بابنه وقال له : ها أنا أتركك تلميذاً لا حول له ، فمن يسوق الكارو ومن يحفظ البيت ؟ وفاضت روح الرجل وهو حزين٠وضاعفت الأم من نشاطها مؤمنة أن يجعل الله من ابنها كبيرا من الأكابر ، أليس الله بقادر على كل شىء ، ولولا وفاة الأم بغير توقع لأكمل عثمان تعليمهفى المدارس العليا ، وقـد اشتدت لذلك حسرته ، وضاعف من حدتها نسياع طموحه وأحلامه اللاهثـة المقدسة ٠ ومقدسة عنده أيضا ذكرى والديه ٠ وفى كل موسم يزور قبرهمـا وهو من قبور الصدقة ضائع بين القبور فى العراء ٠ وهو اليوم وحيد مقطوع من شجرة ــ قتل أخوه الأكبر ــ وكان شرطيا ــ فى مظاهرة ، وماتت أخته فى مستشفى الحميات ، وأخ آخـر مات فى السجن ، انه يتذكر أسرته فيشقى

بالتذكر ويرثى لوالديه ، ماذا كان من شأن أبيه ؟ كان المرض والكبر قد أقعده ، فكافت نزهته أن يفترش « فروة » أمام البيت • لا يكاد يرى أو يسمع • يتأمل عجزه ، يتأوه هاتفا: اللهم لطفك ورحمتك • كان فى زمانه من رجال الحارة الأشداء ، عاش حياة طويلة معتمدا على عضلات ذراعيه وساقيه ، يعمل بلا انقطاع ويعانى على المدى شظف العيش والفقر ، قوة مهدرة تتغذى على لا شيء ويقهقه فى الملمات بلا سبب ولا معنى • ووجد ذات مساء ميتا حيث يجلس على الفروة • فلم يدر أحد كيف حضره الموت ولا كيف تلقاه هو ، أما أمه فكانت ميتتها أدعى للدهشة ، كانت تغسل فانطوت على نفسها حتى تقوست وراحت تصرخ من شدة الألم ، وجاءت سيارة الاسعاف فحملتها الى القصر العينى ، وتقرر اجراء جراحة لها فى الأعور ماتت فى أثنائها ••• هذه الأسرة ضحية فريدة للمعاناة ، كما يرى نجيب محفوظ • أو بمعنى آخر كانت ضحية للتخلف • انها واحدة من ملايين الأسر فى العالم الثالث •

ونستطيع أن نتصور نموذجا للفرق بين التخلف والتقدم بزيارة مجزر للماشية فى بلد صناعى متقدم ، وذبح ماشيتنا فى المجازر العادية فى بلداننا النامية فضلا عن ذبائح القرى ، ان أقصى ما نستطيع الحصول عليه هو اللحوم • وفى البلد المتقدمة تعتبر اللحوم من الناحية الاقتصادية منتجا ثانويا •• ففى هذه البلدان المتقدمة يستخرج من الدم المستخلصات التى تستخدم فى الطب والصناعات الأخرى ، ولعل من أهمها « الجاماجلوبيولين » التى تصنع منها أدوية لعلاج بعض الحالات المرضية المستعصية • وتؤخذ الغدد من الحيوان المذبوح للاستفادة بها ولعل من أهمها الغدة التى فوق الكلية « أدرينال جلاند » التى تؤخذ بعد ذبح الحيوان مباشرة وتوضع فى وعاء درجة حرارته ٧٠° تحت الصفر تقريبا ليستخلص منها « الكورتيزون » ومن النخاع يستخلص فيتامين « د » • هذا الى جانب انتاج اللحوم مجزأة مخلاة من العظام فى تعبئة بديعة وفق حاجة الاستهلاك ورغبة المستهلك • هذا الى جانب صناعة الصوف وصناعة الجلود ومسحوق العظام الذى يستخدم علائق للطيور وغيرها•كم هو العائد من الذبيحة فى البلدان المتقدمة! وكم هو الفاقد منها عندما يسيل دمها فوق تراب القرية فى البلدان النامية ! والزراعة وتربية الدواجن فى أشد الحاجة الى كل قطرة دم سواء للسماد أو لاضافتها لغذاء الدواجن •

الفصل الثاني

الإعلام: دراسة مقارنة

فى بلادنا وفى معظم بلدان العـــالم تجذب كلمة الاعلام أنظار النــاس وأسماعهم ، لأنهـــا ترتبط بما يؤثر فى حياتهم ، ولأنها تثـــير غريزة حب الاستطلاع فيهم • ومن هنـــا تبدأ مخاطر البحث فى الاعلام • من أى باب يدخل الباحث ؟ وفى أى طريق يسير ؟ والى أية غاية يريد أن يصـل ؟ واذا كان البعض يرى فى البحث الاعلامى مغريات الشيوع فان ذلك يفـرض على الباحث الاعلامى أن يحدد بدقة ماذا يقصد ببحثه ، حتى لا يتشتت أو يصبح كلامه كالمـاء فى الغربال • ومن هنا نسأل أنفسنا سؤالا جاء حينـــه وهو ما مدخلنا الى الاعـلام ؟ •

انه مدخل التنقية والاستجلاء لمفهوم الاعلام وتعريفه والمقارنة لوسائله وتأثـــيرها •

لقد شاعت كلمة الاتصال ، وشاع الاتصال بالجماهير • والاتصـــال الجماهيرى كتعبير عن الاعلام • وأصل الكلمة اللاتينية communis تعنى الشىء المشترك • والفعل اللاتينى communicare معناه يذيع أو يشيع • فالاتصال أمر عام أعم من الاعلام وأقدم • ففى داخل العائلة الحيوانية وعند الطيور والأسماك يوجد الاتصال بينها وبين أقرانها ، وبينها وبين بعضها البعض • ومن ملاحظة الانسان العادى للخيل والكلاب وحركة النحل والنمل يمكن أن ندرك ذلك • وما يكشفه العلم أوسع وأرحب • وما يصدقه المؤمن بأن كل ما فى هذا الكون يسبح لله سبحانه وتعالى ، وأن كلا قد علم صلاته وتسبيحه يجعل دائرة الاتصال تعم الكون بأكمله • فأى اتصال نريد ؟ •

اننا نريد أن نبحث فى الاتصال الانسانى :

الانسان يتصل بذاته ويتصل بغيره • والاتصال الذاتى هو ما يحدث داخل عقل الفرد ويتضمن أفكاره وتجاربه ومدركاته • وفى هذه الحالة يصبح المرسل هو المتلقى ذاته • ويفسر لنا نمو الطفل الاتصـــال الذاتى وأهميتــه وتطوره • يولد الطفل وليس لديه معان ، ولكن سرعان ما يضفى على العالم معنى ونظاما يجعل الحياة مفهومة لديه(١) •

---

(١) د• جيهان رشتى : الأسس العلمية لنظريات الاعـــلام ، دار الفكر العـربى سنة ١٩٧٥ ص ٨٢ ، ٨٣ •

ان الانسان يحاول أن يتصل بغير الانســان من حيوانات وطيور بل وعوالم أخـــرى فى الفضاء ٠ وللانسان اتصالات فى أحلامه ٠ بــل ان بعض المسجونين يقول ان الأحـــلام تكثر فى السجن كتعويض عن الاتصال الذى يفقدونه فى حياتهم العادية فأى اتصال انسانى نريد ؟ ٠

اننا نبحث فى اتصال الانسان بأخيه الانسان اتصال وعى وادراك ٠ وهكذا نقترب من بوابة المدخل وهو الاتصال المباشر والاتصال الجماهيرى ٠

ما الفرق بين الاتصال المباشر والاتصال الجماهيرى ؟

الاتصال المباشر هو اتصال شخص أو هيئة بصديق أو بعدد محدود من أفراد أسرته أو عـــدد من زملائه فى العمل وما شابه ذلك أما الاتصـــال الجماهيرى فهو اتصال شخص أو هيئة بالجماهير الغفيرة سواء كانت جماهير نوعية أو عامة أو مرتبطة باقليم معين أو منطقة بذاتها أو بالعالم أجمــع ٠ وفى الاتصال الجماهيرى يبرز دور الوسيلة المستخدمة فى الاتصال حتى يصل الأمر ببعض أساتذة الاتصـــال بأن ينسب اليها كل الفضــــل فى العملية الاتصالية فيرى أن الاتصال هو الوسيلة ومن البديهى أن بروز دور الوسيلة فى الاتصال الجماهيرى يرجع الى طبيعة هذا النوع من الاتصال حيث يعجز الفرد بحواسه الطبيعية عن الوصول برسالته الى جماهير واسعة عريضة ٠ واذا كان للاتصال الجماهيرى وسائله وهى الراديو والتليفزيون والصحيفة وغير ذلك مما سنفصله بعد قليل ، فان للاتصال الشخصى وسائله أيضــا وهى المقهى والتليفون والزيارات العائلية والجلسات الخاصــــة والنوادى الخاصة والخطابات وما شابه ذلك ٠

ـ هل الاتصال الشخصى نقيض للاتصال الجماهيرى وهل هنـــاك تعارض لهدفيهما ؟ ٠

ـ ليس هناك تناقض ولا تعارض بين الاتصال الجماهيرى والاتصال الشخصى لا فى الأسلوب ولا فى الوسائل ٠ فقناة التليفزيون وسيلة اتصال جماهيرى والتليفون وسيلة اتصال شخصى ٠ بل ان التكامل والتعاون بين الاتصال الجماهيرى والاتصال الشخصى يساعد فى بلوغ الأهداف ٠ ولعــل دور القيــادات النقابية والحزبية فى الاتصال المبـــاشر الى جانب الصحف والنشرات والمطبوعات التى تعـد ضمن وسائل الاتصال الجمـــاهيرى يؤكد

التكامل والتعاون بين نوعى الاتصال ٠ ولكن ينبغى ألا نضع هذين النوعين من الاتصال وجها لوجه ، أو نعتبرهما وجهين لعملة واحدة ، أو نزنهمابميزان واحد ، لأن الفـــرق فى التأثير بينهما وفى استخدام الوسائل فرق هائـل ٠ والاتصال الجماهيرى هو أساس حديثنا ، وهو أساس حديث الناس ، ومن الحديث عنه يتعرض الباحث لفرعية من فرعياته ولورقة فى شجرته الباسقة وهى ورقة الاتصال الشخصى ٠

وفى رأيى أن تعبيـــر الاتصـــال الجمـــاهيرى فى الانجليـــزية (Mass Communication) هــو نفس تعبـــير الاعـــلام (L'information) فى الفرنسية ٠ واستخدامنا لكلا التعبيرين بمعنى واحد فى اللغة العربية لا غبار عليه ٠ وعلى ذلك فان تعبير الاعلام وهو الاكثر شيوعا فى لغتنا المعاصرة هو بديل ومعادل لتعبير الاتصال الجمــاهيرى ٠

تتلخص عمليـــة الاتصال الجماهيرى أو العملية الاعلامية فى السؤال المركب المعروف من يقول ماذا وبأية وسيلة والى من وبأى تأثير ؟ ٠ وهـــذا السؤال المركب يبين لنا طبيعة الاتصال الجماهيرى فى كونه عمليـــة مستمرة ومركبة ويحلل لنا العناصر الرئيسية الستة فى عملية الاتصال وهى :

١ ـ المصـــدر Sourse

٢ ـ الرســـالة Message

٣ ـ الوســـيلة Medium

٤ ـ المســـتقبل Receiver

٥ ـ التـــأثير Effects

٦ ـ رد الفعـــل Feed back

لا نستطيع القول بأى العناصر أقوى أو أنفع ، أو لا بد من توافرها ، فكل عنصر منهـــا يشبه الحلقة فى السلسلة لابـــد من وجودها لتتم عملية الاتصال الجماهيرى ٠ وقد يكون **المصــدر** فردا أو مؤسسة أو فريق عمـــل أو تنظيما سياسيا أو نقابيا ٠ ويذهب بعض الباحثين الى التمييز بـــين مصدر رسمى يقوم بالعمل الاعلامى كوظيفة أو مصدر رزق ٠ وبين مصــدر

غير رسمى يقوم بالعمل الاعلامى بطريقة عفوية · ولكن هذا التمييز فى رأيى بغير معنى ولا فائدة منه للبحث الاعلامى · **والرسالة** جملة المعلومات والأفكار والمعانى والتصورات التى يريد المصـــدر نقلها الى المستقبل ولأن المعـانى نسبية ، وتتسم بشىء من الذاتية · لذلك فاننا نؤكد ما أورده بعض أساتذة الاعلام بأن المعانى فى الناس وليست فى الرسالة · وفى أثناء تدفق الرســالة خلال شبكات عديدة من الاتصال تتعرض الرسالة لمن يسميهم بعض علمــاء الاتصال بحراس البوابات ، فيقومون بنقلها كما هى أحيانا وبحذفها أحيانا أخرى ، أو يغيرون فيها ، وقد تتعرض الرسالة الى أخطاء واضافات لم تكن فيها ·· أما **الوســيلة** وقد يطلق عليها أحيانا اسم القناة فانها تقوم بنقـل الرموز التى تحويها الرسالة الى المستقبل أى الجمهور ، ولأن عملية الاتصال الجماهيرى تتضمن فى جوهرها توجيه الاتصال فى نفس الوقت الى مجموعات واسعة وغير متجانسة من البشر وبشكل جماهيرى · لذلك فان أهم ما يميز وسيلة الاعلام (صحيفة أو راديو أو تليفزيون أو سينما أو كتاب ·· الخ) هو سهولة الحصول عليهـــا أو سهولة التعرض لهـــا · ويعتبر **المستقبل** والوصول اليه هو هدف عملية الاعلام برمتها ، وهو لب القصيد فى أطـراف العمل الاعلامى · وعلى المستقبل تجرى الدراسات والبحوث لمعرفة تأثـــير العملية الاعلامية فى معلوماته واتجاهاته وسلوكه · ولا شـــك أن دراســة المستقبل والمـام رجـــل الاعلام بظـــروفه وأحواله التعليمية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك يساعد كثيرا فى التخطيط الاعلامى وفى اختيار الرسائل والوسائل التى تحقق أهداف العمل الاعلامى · وعند الحديث عن **التأثير** فان الاتصال الجماهيرى أقل احكاما فيه من الاتصال الشخصى،وان كان للاتصال الجماهيرى برغم ذلك التفوق فى الاتساع والشمول وأحيانا فى عمق التأثير · وفى الاتصال الشخصى يقف المصدر والمستقبل وجها لوجه · ويتميزالاتصال الشخصى بأنه اتصال يتم خلال طريق ذى اتجاهين ، وله رد فعل سريــع ممــا يحدث التقارب ويزيل عوائق الاتصال · ولكن ذلك لا يقلل من أهميــة تأثير الاتصال الجماهيرى عندما يكون فعالا وناجحا · وختام عملية الاتصال الجماهيرى هو **رد الفعـل** وهو دليل استجابة المستقبل للرسالة وهو فى نفس الوقت رسالة ثانيـــة من المستقبل للمصدر · ورد الفعل يسمى ايجابيا اذا تحقق التأثير المقصود ويسمى سلبيا اذا لم يتحقق التأثير ، ومن ثم يبحث المصدر فى تعديل رسالته اذا أراد أن يحقق التأثير المطلوب ·

هـذا هو مفهوم الاتصال الجماهيرى(*) الذى اتفقنا على استخدام لفظ الاعلام للتعبير عنه • فما هو الاعلام ؟ وما هى وسائله ؟ •

الاعلام بالمعنى البسيط الدارج هو الاخبار ويرى الكثيرون أن الاعلام والصحافة شيء واحد • ففى رأيهم أن كلمة الصحافة لا تقتصر على المواد المطبوعة ، ولكنها تشمل جميع وسائل الاعلام • وهم يقسمون الصحافة الى ثلاثة أنواع : صحافة مطبوعة ، وصحافة مسموعة ، وصحافة مرئية •

ولكن ما هو تعريف الاعلام ؟ انني أرى ما رآه أستاذنا الدكتور عبد اللطيف حمزة(٢) بأن أوضح تعريف للاعلام هو التعريف الذى وضعه العالم الألمانى « أوتوجروت » بأن الاعلام هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت• والمقصود بموضوعية الاعلام أنه ليس تعبيرا ذاتيا من رجل الاعلام ، فدوره فى المجال الاعلامى يختلف عن دور الأديب أو الفنان ، وانما يعتمد التعبير الموضوعى على الحقائق والأرقام والاحصائيات • وينبغى أن تكون الحقائق التى يبنى عليها الاعلام السليم معبرة تعبيرا صادقا عن عقلية الجماهير وميولها واتجاهاتها ، واذا كان الأدب أو الفن يجد متسعا وترحيبا فى وسائل الاعلام ، واذا كانت هذه الوسائل تتزين بالفنون الجميلة وأساليبها عندما تقدم للقراء والمشاهدين والمستمعين فان ذلك لا يغير من مفهوم الاعلام بأنه تعبير موضوعى لعقلية الجماهير وميولها ، وانما يؤكد العلاقة الوثيقة بين العلم والفن فى حقول الدراسات الانسانية وتطبيقاتها • ويفجر فى نفس الوقت القضية المزمنة وهى : ماالفرق بين الاعلام والدعاية والتربية والثقافة؟ وهى قضية تخدم بطرحها كل هذه الموضوعات •

لقد اتفقنا مع « أوتوجروت » فى تعريفه للاعلام ، أما الدعاية(٣) فهى علم

(*) يختلف هذا المفهوم عن مفهوم الاتصال من الناحية الهندسية الذى يعنى نقل المعلومات اى الرسالة من المرسل الى المستقبل بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة كتحويل الصوت او الصورة الى طاقة كهرومغناطيسية يلتقطها جهاز الاستقبال فيحولها الى صوت وصورة •

(٢) د / عبد اللطيف حمزة : الاعلام له تاريخه ومذاهبه ، الطبعة الأولى دار الفكر العربى ١٩٦٥ ص ٢٣ •

(٣) محمد حسنين هيكل ـ بصراحة ، الحسابات الاسرائيلية ، جريدة الأهرام ، العدد ٢٩٧٤٣ بتاريخ ١٩٦٨/٥/١٧ •

صنع التأثير بصرف النظر عن الحقيقة ، وهل هى موجودة بتمامها وكمالها فى المادة التى يراد احداث التأثير بواسطتها أو أن الحقيقة فى هذه المادة جزئية أو منعدمة تماما · والدعاية هى صنع الانطباعات المقصودة ·

أما التربية أو التعليم فان هدفها الأول كما يراه المرحوم عبد اللطيف حمزة(٤) هو نقل تراث الأمة الاجتماعى من جيل الى آخر · وهذا التراث الاجتماعى فى ذاته ليس موضع خلاف بين المربين أو المعلمين فى معظم الأحيان(٥) والهدف الثانى للتربية هو العمل على تكوين شخصية المواطن من حيث الخلق والذوق ونحو ذلك ·

واذا وقفنا أمام مفهوم الثقافة بوجه عام(٦) لتحديد مصطلح عربى

---

(٤) د / عبد اللطيف حمزة : الاعلام له تاريخه ومذاهبه ، الطبعة الأولى دار الفكر العربى ١٩٦٥ ص ٢٣ ·

(٥) لا بد من أن نذكر أن التراث وهو جزء من التاريخ يختلف المفكرون فى تفسيره اختلافاً شديداً وفقا لفلسفة كل منهم ، كما أن تقييم التراث موضع خلاف شديد أيضاً ·

(٦) فى مختار الصحاح ثقف الرجل من باب ظرف صار حاذقا خفيفاً فهو ثقف مثل ضخم ومنه المثاقفة · وفى مختار الصحاح أيضا أن الثقاف ما تسوى به الرماح وتثقيفها تسويتها ، وفى لسان العرب ثقف الرجل صار حاذقاً فطنا ·

من ذلك نرى أن كلمة ثقافة فى اللغة العربية مجاز مأخوذ من تثقيف الرمح أى تسويته · ومن الشعر العربى القديم قول ابن دريد : والشيخ ان قومته من زيغة لم يقف التثقيف منه ما انحنى · والتثقيف هنا بمعنى التهذيب والتقويم الخلقى ·

وفى اللغة الانجليزية نجد أن معنى الثقافة فى الكلمة culture معنى مجازى انتقلت اليه الكلمة من المعنى الحسى الأصلى ، وهو معنى الزراعة أو التربية (المادية) ولهذا تدخل كلمة culture فى تركيب كلمة الزراعة فى اللغة الانجليزية Agriculture

(د / شكرى محمد عياد ــ ملاحظات نحو تعريف الثقافة ــ تأليف ت· س· اليوت · وزارة الثقافة والارشاد القومى · المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ــ مطبعة مصر ص ٢٣) ·

ويشرح القاموس الفرنسى « لاروس » Larousse كلمة ثقافة culture بأنها مجموع المعارف المكتسبة من تعلم ومعرفة ·

ويرى الدكتور / عبد الحميد يونس ان الثقافة هى المجال الاجتماعى لجميع الأفراد فى قومية من القوميات أو فى وطن من الأوطان · (عبد الحميد يونس ــ فن الاذاعة ــ اثر الاذاعة فى المجتمع ــ مركز التربية الأساسية فى العالم العربى بسرس الليان ــ ج· ع· م ــ دار المعارف ١٩٥٨ ص ١١ ·

=

معاصر لمعنى الثقـــافة ، فاننا نجد أن مفهوم الثقافة يتـــداخل مع مفاهيم الحضارة والدين والعلم والتربية وغير ذلك ٠

ويختلف تفسير الأنظمة السياسية لمعنى الثقافة وارتباطها أو انعزالها الطبقى ، ولكل جانب من الجوانب المتعلقـــة بالثقافة الدراسة التى تكشفه وتستقصيه ٠ وهى فى مجموعها لا تعنينا فى هذا المجال الا أن نستخلص من مجرد الوقوف أمامها مصطلحا عربيا لكلمة الثقافة وهو فى رأيى :

« الثقافة تعبير عن الفكر الانسانى ، وتنمية لهذا الفكر بمختلف الوسائل المتاحة فى المجتمع ! » ٠

ان للفروق بين الاعلام والدعاية والثقافة والتربية واضحة ، ولكل منها سماتها الخاصة وجداولها التى تنفرد بهـــا وان اشتركت فى بعض الغايات والأهداف وتداخلت فى بعض الوسائل ٠

واذا نظرنا الى وسائل الاعلام المختلفة فاننا نستطيع أن نحصر أهمها فيمـــا يـلى :

١ ـ الصحف ٠

٢ ـ الراديو والتليفزيون ٠

٣ ـ السينما والمسرح ٠

٤ ـ وكالات الأنبـاء ٠

٥ ـ وكالات الأعمدة الصحفية ٠

٦ ـ الـــكتاب ٠

= ويرى محمود أمين العالم أن الثقافة كتعبير فكرى أو أدبى أو فنى او كطريقة خاصـة للحياة ، انما هى فى الحقيقة انعكاس للعمل الاجتماعى الذى يبذله شعب من الشعوب بكافة فئاته وطوائفه ، ومظهر لـما يتضمنه هـذا العمل الاجتماعى من علاقات متشابكة ، وجهود مبذولة ، واتجاهات ، فالأساس الذى تقوم عليه الثقافة اذن ليس شيئاً جامداً ، أو عقيدة محـددة ، وانما هى عملية لها عناصرها المتفاعلة واتجاهاتها المتطورة ٠

(محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس : الثقافة المصرية ، دار الفكـــر الجـــديد ـ ١٩٥٥ ـ ص ١٨) ٠

٧ ـ النشرة ٠

٨ ـ الخطبة والمناظرة ٠

٩ ـ النـــدوة ٠

١٠ـ المؤتمر الصحفى أو الأدبى أو العلمى ٠

١١ـ السوق أو المعرض ٠

ويضيف البعض الرحلات وأماكن السياحة ، كمـا يمكن أن نضيف شرائط « الكاسيت » والتسجيل والاسطوانات ولا شك أن لكل وسيلة من هذه الوسائل خصائص ومميزات تنفرد بها أو تشترك مع غيرها من الوسائل ٠ ومن خصائص كل وسيلة والظـروف المحيطـة بها يتبين مدى تاثيرهـا فى الجماهير ٠ لذلك سميت وسائل الاتصال الجماهيرى ، وسمى الاعلام علم الاتصـــال بالجمـاهير ٠

وقبل أن نتحدث عن أهم وسائل الاعلام بشىء من التفصيل لا بد أن نؤكد أن الاعلام ظاهرة قديمة صاحبت الانسان الأول ، وعبرت عن غريزة حب الاستطلاع الانسانى ٠

لقد عرفت المجتمعات الانسانية الاعلام واحتاجت اليه منذ كانت تعيش فى قبائل بدائية تسكن الكهوف ٠ كانت القبائل البدائية التى تسكن الكهوف اتقاء للبرد والحيوانات المتوحشة والأخطار الأخرى تمارس الاعلام فى صور عديدة ، منها صورة الرجل الحاد البصر أو المرأة القوية الملاحظة ، حيث يقف للمراقبة والابلاغ عن الأخطار أو فرص تتعلق بحياة القبيلة ٠ فيعلم رجـل الاعلام القديم عن تحرك قبيلة معادية أو قطيع من الحيوانات ٠ وذلك لتتخذ القبيلة استعدادها للحرب أو الصيد ٠

ولقـد لعبت دور العبادة وأماكن التجمع دورا رئيسيا فى الاعلام ، فكان الفراعنة فى مصر القديمة يلجأون الى معابدهم ، فيضعون عند مداخلها الألواح الحجرية مدونا عليها ما يريدون ابلاغه للجمهور ٠ وفى أثينا وروما القديمتين كانت الحمامات وحلبات الرياضة الى جانب ساحات المعابد تقوم بنفس الدور ٠ وفى مصر الاسلامية أدى المسجد دورا متكاملا فى الاعلام ٠

وبتقدم العصور لم يستطع الانسان الاستغناء عن الاعلام ، بل زادت حاجته اليه وأصبح ما كان يقوم به الرجل الحاد البصر أو المـــرأة القـوية الملاحظة تقوم به مؤسسات ضخمة تضم آلاف الفنيين والمتخصصين · وبدلا من الصوت العادى أو البوق أو قرع الطبول أصبحت الآلة فى عملية الاعــلام تبصر وتسمع وتسجل ، ويصل صوتها للعالم بأسره ·

وينبغى أن ندرك أن الوظائف الاعلامية لم تتغير على مدى القرون فيما بين القبيلة ساكنة الكهف وحضارتنا العصرية حيث يمشى الانسان على القمر · وما حــدث هو بروز مستحدثات وهياكل لتكبير هــذه الوظــائف الاعلامية ومد نطاقهــا ·

وتبدو قصة وسائل الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية زمنيا من مواليد الساعة الأخيرة فى يوم الحضارة · ففى عام ١٨٣٢ أخترع التلغراف ، ثم بدأ عصر اللاسلكى عام ١٨٧٣ باكتشاف الموجات الكهرومغناطيسية ، وتأسست شركة ماركونى عام ١٨٩٦ حيث أصبح الاتصال اللاسلكى حقيقة علميــة وحقيقة تجارية فى نفس الوقت · وكان اختراع كاميرا السينما عام ١٨٩٤ ، وخرج أول فيلم سينمائى مدته أربع دقائق الى الوجود عام ١٨٩٥ صامتا حتى نطقت الأفلام عام ١٩٢٨ بعد أن تطورت السينما تطورا هاما فيما بين هذين التاريخين.ثم قفزت بعد ذلك كما نعلم جميعاقفزات واسعة.وفى عام١٩٠٦ بدأ الصوت الآدمى يذيع الرسائل الصوتية على الموجات · وفى أواخر العقــد الثانى من القرن العشرين بدأ انتشار الراديو · وفى عـــام ١٩٢٣ أخترعت الطريقة الالكترونية لاختبار الصور المرسلة لاسلكيا وبدأ عصر التليفزيون علميا وأخذ ينتشر تجاريا منذ عام ١٩٣٦ · وقــد أطلق أول قمر صناعى فى العالم فى أكتوبر عام ١٩٥٧ وهو القمر السوفيتى « سبوتنيك » ولم تمض عشرون عاما حتى كان مشروع القمر الصناعى العربى للاتصالات قد بدأ شوطا حاسما فى التنفيذ ، وبالطبع لقد سبقنا الأمريكيون والأوربيون وغيرهم فى استخدام الأقمار الصناعية للاتصالات ·

ولنقف قليلا أمام كل وسيلة من تلك الوسائل وقفة مقارنة واستجلاء ·

الصـــــحف :

من أكثر الأقوال شيوعاً عن الصحافة أنها مهنة البحث عن المتاعب ٠ ولكننى لا أذهب مع القائلين بأن الصحافة هى مهنة البحث عن المتاعب ٠ فان هذا التعريف وان بدا رومانسيا طريفا الا أنه بغير معنى دقيق محدد ٠ واننى أستطيع أن أضع محاولة لتعريف الصحافة بأنها مهنة البحث عن الحقائق ونشرها بطريقة رشيدة تنفع المجتمع وتنميه ٠

ولقد تطورت صناعة الصحـافة فى القـرن العشرين نتيجـة لعـوامل رئيسية هى .

١ ـ التقـــدم العلمى فى هـذا القـــرن ٠

٢ ـ انتشار تطبيق المبادىء الاشتراكية المـاركسية فى عدد من دول العالم ٠

٣ ـ وضـوح ظاهرة الاحتكارات الرأسمالية ٠

٤ ـ انتصار الشعوب المناضلة فى سبيل تحرير أراضيهـا والتخلص من سيطرة الاستعمار ٠

ويتسم هذا التطور فى صناعة الصحافة بسمتين أساسيتين : الأولى تنصب على الشكل ، ويتجلى ذلك فى اختفاء الفرد المـالك للصحيفة الى حـد كبير فى كثير من دول العالم الرأسمالى المتقدم ٠ وتبعية الصحف فى ملكيتها الى شركات مساهمة ، ثم تطور الأمر الى الاحتكار ، ودخول عدة صحف فى شركة واحدة أو مساهمة عدة شركات فى عدة صحف ٠ وذلك تبعاً لنظريتهم القائلة بأن الحلقة الضعيفة فى السلسلة تعوضها حلقة قوية ، وان ذلك يجنب الهزات الاقتصادية ٠ كذلك تطور الشكل فى صناعة الصحـــافة بضخامة الآلات والأجهزة والمعدات وأنواع المواد الخام من ورق وألوان وغير ذلك ٠

أما السمة الثانية ٠٠ فتنصب على المضمون ٠ ومن البديهى أن الصحافة وهى مرآة المجتمع لا بد أن تعكس معتقدات المجتمع وأفكاره ووجهة نظـره والمؤثرات الاقتصادية والسياسية والنفسية التى يتأثر بها المجتمـع ، فمن الضرورى أن يتبع سيطرة الاحتكارات الرأسمالية على الصحف احتـكار الأفكار ذاتها واحتكار الاعلام والمعرفة ٠ وأن تدافع الصحـافة الاشتراكية

المــاركسية عن سيادة الطبقة العاملة ومبــادىء الاشتراكية ، وأن تخوض صحافة البلدان النامية معركة حامية الوطيس ضد الاستعمار ٠

والظاهرة الجديدة بالاهتمام فى المجتمع الرأسمالى المتقدم هى سيطرة الشركات الاحتكارية من صناعات أخرى ـ كصناعة الأسلحة ـ على الصحافة ، بما يعود بالضرر على شعوبها وعلى العالم بأسره ٠ ويذهب جواهر لال نهرو الزعيم الهندى الأسبق وأحد أقطاب دعوة السلام فى القرن العشرين فى كتابه لمحات من تاريخ العالم الى أن شركات الأسلحة قاومت فكرة نزع الســـلاح بالصحافة ٠ وذكر أن احدى لجان عصبة الأمم التى انتدبت خصيصاً للتحقيق فى مسألة المصانع الخاصة للأسلحة أكدت أن هذه المصانع قد أبدت نشــاطاً كبيراً فى بث روح الفزع من الحرب ، كما أثبتت أن هــذه المصانع تعمل على نشر تقارير خاطئة عن المصروفات الحربية والبحرية لبلاد عديدة بقصد اغراء بلاد أخرى بزيادة نفقاتها على التسليح ٠٠ وأن هـــذه الشركات اشترت الصحف للتأثير فى الرأى العام بما يخدم مصالحها ٠

وقد ذكر الكاتب البريطانى الشهير « هارولد لاسكى » فى كتابه « محنة الديمقراطية » أن احدى شركات الأسلحـــة الفرنسية اشترت جريدتين فى فرنسا لتحقيق مصالحها الخاصة ، وعلق لاسلكى على ذلك بقوله :

« ان القدرة على توجيه الأخبار وجهة معينة هى نفسها القدرة على منع الجمهور من أن تصله المــادة التى يمكنه على أساسها أن يبنى أحكاماً متزنة٠ وأن كل من يقارن الطريقة التى عالجت بها الصحافة البريطانية موضوع نزع السلاح خلال الفترة من مؤتمر جنيف عــام ١٩٣٢ بالأهميــة الكبرى التى أضفتها تلك الصحافة على تتبع أخبار السلوك الجنسى لأحد رجال الدين الانجليز فى الفترة نفسها لن يجد أقل صعوبة فى اكتشاف الطريقة التى يتكون بها الرأى العام فى احدى الدول الديمقراطية الرسمالية » ٠

ولطالمــا يثار سؤال حول الصحافة هل هى حرفة أم فن أم صناعة ؟

يجيب الدكتور خليل صابات(٧) بأنها كل ذلك فى آن واحد وبنسب

---

(٧) د / خليل صابات ـ الصحافة رســالة واســتعداد وفن وعلم ـ الطبعـــة الثــانية دار المعــارف ص ١٨ ٠

مختلفة حسب استعداد المحررين وميلهم ، وكذلك حسب الظروف التى يعملون فيها • ويرى « ويكهام ستيد » أن الصحافة أكثر قليلا من الحرفة وأنها تختلف عن الصناعة فهى بين الفن والمرفق العام •

ان الحوار حول فنية الصحافة وحرفيتها واعتبارها صناعة يعكس التصور العام لمعنى الصحافة بأنها الاعلام ، الى جانب ما يعكسه من اهتمام خاص بالجريدة والمجلة • ان هذا السؤال بين حرفية الصحافة وفنيتها وكونها صناعة يمكن أن يدور حول معظم وسائل الاعلام ، ويسير فى نفس دوائر النقاش • ولا بأس فى ذلك فالصحف من جرائد ومجلات هى التى أعطت لحضارتنا الحديثة معنى الاعلام المعاصر • والصحف من جرائد ومجلات هى الأم التى نشأ من أبنائها من فاقها فى بعض الوجوه ، ومن اختلف عنها فى الملامح والسمات اختلافاً جوهرياً ، كالاذاعة التى اعتمدت على الكلمة المسموعة بدلا من الكلمة المكتوبة ، أو السينما التى اعتمدت على الصورة أساساً ثم الحوار بعد ذلك ، ولكن يشد كل وسيلة من وسائل الاعلام مهما اختلفت ملامحها وسماتها خيط يربطها بالأم الجريدة والمجلة •

ان هذا الخيط الوثيق الذى يربط مختلف وسائل الاعلام بالصحف خيط ذو ضفيرتين الأولى تحمل الشكل والثانية تحمل المضمون • لقد أخذت معظم وسائل الاعلام أشكال التحرير الصحفى والاعلان الصحفى والاخراج الصحفى وفصلتها على نفسها • كما أخذت الخبر وما يتشقق عنه من تقرير صحفى بأنواعه التى تشمل التحقيق والريبورتاج والحديث والماجريات وصنعت منه الكثير من محتواها •

قد يرى البعض أن الخبر هو الذى يربط معظم وسائل الاعلام بعضها ببعض ، ولكن ذلك يدخل فى باب النظرة الجزئية وعدم رؤية الجزء فى اطار الكل • ان الصحف كوسيلة اعلام أم وهى تعتمد على الخبر وما يتشقق عنه من فنون التحرير لا تقف روابطها بوسائل الاعلام الأخرى عند حد المضمون وانما تتجاوزها الى الشكل • كما أن استخدام الصحف للفنون الجميلة واستعانتها بها يشكل موردا شربت منه وسائل الاعلام الأخرى دون أن يبعدها ذلك عن ساحة الاعلام ويدخل بها فى ساحة الفن الصرف •

لقد سبقت الصحف معظم وسائل الاعلام أو بمعنى أدق سبقت وسائل

الاعلام التكنولوجية (اذاعة وتليفزيون وسينما) ولكنها لم تتخلف نتيجة ظهورهم وبروزهم على أشكال العمالقة ، بل انها ظلت فى مسيرتها الطويلة تضيف فى كل يوم قارئاً جديداً وسطراً جديداً وفناً جديداً يجعلها أم العمالقة ، ويضيف الى سطوتها السابقة لوجودهم سطوة أكبر وأقوى ٠ ومن جانب آخر ضمت تحت جناحيها اهتمامات متزايدة للراديو والتليفزيون والسينما والمسرح والكتاب وغير ذلك مما أكد أنها وسيلة الاعلام الأم ٠ فعلى صفحاتها تعيش وتزدهر وتنقد كافة وسائل الاعلام ٠

ان الصحف أعطت وأخذت وأثرت وتأثرت وسنجد ذلك بدرجات متفاوتة مع مختلف وسائل الاعلام وفى مختلف وسائل الاعلام ٠

الراديو والتليفزيون :

كانت الصحف من جرائد ومجلات على اختلاف ألوانها ومواقيت صدورها وسيلة الاعلام الأولى فى القرن التاسع عشر ، ولكن القرن العشرين شهد منافسة جديدة للصحف تتمثل فى الاذاعة « الراديو » ثم « التليفزيون » وأصبح الكثيرون يطلقون على «الراديو» تسمية الصحافة المسموعة وعلى «التليفزيون» الصحافة المرئية أو الشاشة الصغيرة نسبة الى شاشة السينما ٠ والواقع أن العلاقة وثيقة بين الصحافة المكتوبة وبين وسائل الاعلام الأخرى ، ولكنها أشد ما تكون ارتباطا بالراديو والتليفزيون ٠ وبرغم أن العالم لم يعرف الاذاعة الا فى أواخر العقد الثانى من القرن العشرين وأوائل العقد الثالث الا أن المذياع وبخاصة بعد انتشار « الراديو الترانزستور » الذى يعمل بالبطاريات الجافة ، أصبح جزءا لا يتجزأ من حياة الانسان فى أى مكان ٠

وتحظى الاذاعة باعتبارها وسيلة اعلامية بميزات عديدة أهمها سعة الانتشار وقوة التأثير فى البلدان النامية ، وذلك لعدة أسباب يمكن ايجازها فيما يلى :

١ ـ قلة التعليم أو ندرته فى بعض الأماكن مما يجعل الكلمة المسموعة أسهل بل ربما تصبح الوسيلة الاعلامية الوحيدة الممكنة عندما ينعدم عدد القارئين الكاتبين فى قرية ما ٠

٢ ـ كثرة أوقات الفراغ وعدم تنظيمها أو الاستفادة منها وبخاصة فى

المجتمعات الزراعية مما يدفع الى الملل فلا يجد المستمع أمامه غير « الراديو » بدير مفاتيحه ليدفع عن نفسه السأم والملل ٠

٣ ـ انخفاض المستوى المادى فلا تجد الأسرة فائضاً تذهب به الى السينما أو المسرح كل أسبوع ٠

٤ ـ قلة الثقافة بحيث لا يصبح الكتاب هو المنافس القوى للاذاعة ٠

٥ ـ انتشار ظاهرة الاستماع الجماعى فى البلدان النامية مما يتيح فرصة لرد الفعل الجماعى فيتضاعف التأثير ٠ وعلى ضوء هذه الحقائق يمكننا أن ندرك تأثير الاذاعة وأهميتها فى البلدان النامية ٠

هذا بالاضافة الى خصائص الاذاعة الاعلامية حيث نجد المذياع فى معظم البيوت ، بل اننا نجده فى المدن الصغيرة لا يكاد يخلو منه مقهى حيث يجتمع الناس لسماعه ، كما أن للراديو ميزة التنقل مع المسافر وله ميزة الانتشار فى السيارة وفى القطار والباخرة ٠ وهذا بالاضافة الى حيوية الكلمة المسموعة التى تتمثل فى الصوت الانسانى وحيوية الموسيقى ٠ والاستماع الى الراديو لا يتطلب جهداً فليست هناك قراءة أو استعمال للنظر فى المتابعة وقلب الصفحات كما يحدث فى مطالعة الصحيفة ٠ وتتميز الكلمة المذاعة بالسرعة ، فاذا تصورنا حدثا وقع الآن ، وأذيع بعد نصف ساعة فانه يصبح قبل مضى ساعة على وقوعه موضوع مناقشة وتعليق من الناس ٠

ونستطيع أن نلمس أثر الاذاعة فى البلدان النامية على وجه الخصوص من وصف أحد خبراء الأمم المتحدة لتجربة دخول « الراديو » لأول مرة قرية معزولة من قرى الشرق الأوسط فيقول :

« شاهدت ذات مرة وأنا فى قرية معزولة من قرى الشرق الأوسط جهاز « راديو » يراه القرويون لأول مرة ، وقد أدير فى بيت العمدة ٠ لقد أوضح ذلك الجهاز على الفور أن المعرفة قوة ٠ لقد أضفى على صاحبه مكانة ومنزلة ٠ كان أول من يعرف الأخبار ٠ لقد أصبح ذلك الجهاز الصغير للقرويين بساطا سحريا يحملهم الى ما وراء الآفاق التى يعرفونها » ٠

ويروى هذا الخبير ما أثر فيه وما يدل على تأثير الاستماع الجماعى

للراديو فيقول : « ولكن الذى ترك فى نفسى أثراً لا ينسى عن تأثير الراديو هو مشهد جماعة من الفلاحين وهم يستمعون لأول مرة قائدا من قادتهم فى المذياع يدعوهم الى المشاركة فى حكم بلادهم • هؤلاء الفلاحون لا يعرفون من حكومتهم أعلى من محصل الضرائب والخفير ، فتخيل دهشتهم وعدم تصديقهم وما ارتسم على وجوههم من حيرة وأمل فى صورة لا يمكن أن تنسى » •

وبرغم ذلك فان الاذاعة باعتبارها وسيلة اعـــلام لا تخلو من بعض العيوب ، فالبرنامج الذى لا يشد المستمع اليه عديم الفـــائدة • كذلك من العيوب الخارجة عن ارادة الاذاعيين ولكنها موجودة فى الوسيلة ذاتها حدوث أى تداخل صوتى خارجى يفسد الاستماع • فاذا دق جرس التليفون أو جرس الباب فجأة ، أو اذا صاح طفل فى البيت أو مرت سيارة مزعجة أو مرقت طائرة منخفضة •• كل ذلك وغيره من شأنه أن يفوت على المستمع فرصة متابعة البرامج فى سهولة ويسر • وهناك عيب فى طبيعة الوسيلة ذاتها هى أن الراديو يلزم المستمع بتحديد وقته ويجبره على هذا التحديد ، وكثيراً ما تفوت فرصة سماع برنامج معين لأن الشخص مشغول فى عمله أو فى أمر هام ، ومن الصعب أن يسمعه مرة ثانية ، وذلك لأن الاذاعة بطبيعتها وسيلة زمانيـــة تتعلق بالوقت وصفحاتها وسطورها هى الساعات والدقائق •

وعندما نتحدث عن التليفزيون وهو ألصق وسائل الاعلام ، «بالراديو» حتى أن الحديث عن أحدهما يكاد يعنى الحديث عن كليهما معا ، فاننا نلحظ أنه يجمع بين الوسيلة السمعية والوسيلة البصرية فى وقت واحد • وعن طريق التليفزيون نستطيع أن نرى الحدث لحظة ميلاده ووقت حدوثه • نستطيع أن نشهد افتتاح الدورة البرلـــانية أو مباراة كرة قدم وغير ذلك فى الوقت الذى تقع فيه هذه الأحداث . هذا بالاضافة الى جاذبية التليفزيون الملون الذى ينتشر يوما بعد يوم فى كثير من بلدان العالم • ويستطيع التليفزيون بصفة عامـــة أن يجمع بين الصورة الفنية والصوت المعبر والموسيقى التصويرية فى وقت واحد كما تفعل السينما • ولا شك أن حشد الصورة والصوت والموسيقى له تأثير بالغ على الجمهور وبخاصة عندما يقدم له وهو فى بيتـــه وفى جلسته المريحة دون أن يكلف نفسه مشقة الذهاب اليه كما يحدث فى المسرح والسينما.

وملكية الاذاعات فى غالبية دول العالم تابعة للدولة نظـرا لخطـورة

وأهمية هذه الوسيلة الاعلامية فى العصر الحديث • ولكن ذلك لا يمنع من أن بعض الدول الرأسمالية والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص تقوم فيها ملكية الاذاعات على أساس شركات تجارية تمولها الاعلانات•وكذلك الشأن بالنسبة للتليفزيون • وليست كل البلدان الرأسمالية تدار فيها الاذاعات على هذا النحو ففى بريطانيا مثلا تتبع الاذاعة فى ملكيتها هيئة خاصة وهى من محطات الاذاعة المتقدمة ولها شهرة عالمية • أما فى البلدان الاشتراكية فلا مجال بطبيعة الحال لأن تكون الاذاعة مملوكة للأفراد أو الشركات • وان كانت بعض المحطات فى البلدان الاشتراكية تذيع الاعلانات فانه ينطبق عليها فى هذا المجال ما ينطبق على الاعلانات فى صحف البلاد الاشتراكية •

وتتفق كل الاذاعات التى تملكها الحكومات على أن أهداف الاذاعة هى الاعلام والتوجيه والتسلية • فمن واجب الراديو أن يقدم للمستمعين برامج ومواد اذاعية تشمل الأخبار ، ومواد أو برامج تفسر الأخبار ، وترفع مستواهم الثقافى ، ومواد أو برامج ترفه عنهم وتسليهم • والحدود ليست فاصلة بطبيعة الحال بين الأهداف الثلاثة ، وانما يمكن أن يكمل الهدف هدفا آخر اذا أحسن التنسيق بين هذه الأهداف • هذا بالنسبة للاذاعات التى تتولى الدول أمورها • أما الاذاعات التجارية فانها تعتمد فى ميزانيتها على أموال المعلنين كما هى الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية • فانها لا تتقيد بهذه الأهداف الثلاثة ، ولكن الاذاعات التجارية يحكمها ذوق الجمهور وشروط الحكومة التى ترخص لها بالعمل تجاريا وتمنحها موجة من موجات الأثير • وفيما يختص بذوق الجمهور المستمع فانه تبين أن جمهور المستمعين ينصرفون عن هذه المحطات الى محطات أخرى عندما يحين موعد نشرة الأخبار فى المحطات الأخرى ، لذلك تضطر الاذاعات التجارية الى تقديم الخدمة الاعلامية لا حبا فى الاعلام وليس من باب خدمة المجتمع ولكن فى سبيل الاحتفاظ بالمستمع وحتى لا تفقد محطة الاذاعة قيمتها لدى المعلنين الذين يقدرون قيمة المحطة بعدد المستمعين اليها • هذا الى جانب أن الحكومة عندما تمنح ترخيصاً لمحطة تجارية تشترط عليها فى عقد الترخيص أن تقدم يومياً عدداً معيناً من نشرات الأخبار محدد الدقائق ، وبالاضافة الى ذلك تلجأ المحطات التجارية الى وسائل جذب عديدة للمستمعين مثل أحاديث كبار الأدباء والصحفيين والكتاب •

والتسلية أو الترفيه ليس عيباً أو شيئاً مخجلا •• لأنه من واجب

الاذاعيين أن يبذلوا جهداً فى تخفيف أعباء الحياة عن الشعب العامل · ومن شأن هذا الترفيه أن يجدد النشاط ويروح عن النفس ويشيع السعادة بين المستمعين · ولكن ينبغى أن يكون الترفيه مشروطاً بعدم الاسفاف أو الابتذال أو التشهير بفئات معينة من المجتمع أو الترويج لكل ما هو غير انسانى وغير نبيل ·· وفى التسلية والترفيه الباب مفتوح على مصراعيه للدعابات والطرائف وكافة المواد الاذاعية المسلية · وكثيراً ما تكون مواد الترفيه المذاعة ذات مغزى تثقيفى أو تربوى فقد كان « برنارد شو » على سبيل المثال كثير النكات ولكنها فى معظمها كانت تهدف الرقى بمجتمعه · وكان « بنجامين فرانكلين » أحد زعماء الحرية فى أمريكا ينشر فى الصحف تقويماً يطلق عليه تقويم ريتشارد المسكين يحوى النوادر والأمثال وحكماً مسلية وهادفة فى نفس الوقت ·

وفى النهاية فاننا نرى أنه سواء كانت محطة الاذاعة رسمية أو بمعنى أشمل تحت رعاية الدولة · أو محطة تجارية ، فانها جميعاً لا بد أن تقدم لجمهور المستمعين : الاعلام والتثقيف والترفيه · ثم تكون المقارنة بين حجم وأولوية هذه الأهداف الثلاثة بين اذاعة وأخرى ·

وكالات الأنبـــــاء :

تناقلت المجتمعات البدائية الأخبار بطرق المنادين والرواة والرسل وغير ذلك · ثم انتقلت طرق نقل الأخبار بين البشر من المرحـــلة الصـــوتية الى الكتابة ، فظهرت الرسائل والكتيبات الصغيرة التى تحمل الأخبـــار · وباختراع الطباعة وانتشار الصحف أصبحت مهنة جمع الأخبار من المهن التى تحتاج الى جهود متضافرة · ومع اتجاه الصحف الى العناية بالخبر لم يعد فى مقدور الصحيفة بمفردها أن تغطى حاجتها المتزايدة من الأخبار · ومن ثم نشأت الحاجة الى مؤسسات تجمع الأخبار وتبيعها للصـــحف وللمهتمين بالأخبار · وهكذا ظهرت وكالات الأنباء · وفيما بين عامى ١٨٣٥ و ١٨٥٠ تكونت الوكالات الرئيسية للأنبـــاء ·

وترجع بداية تاريخ وكالات الأنباء(٨) الى عام ١٨٢٥ حين جاب شاب

---

(٨) د· مختار التهامى · الاعلام والتحول الاشتراكى ، الطبعة الأولى · دار المعارف بمصر ١٩٦٦ ص ٣١ ، ٣٢ ·

فرنسى من أصل مجرى يدعى « هافاس » عواصم أوروبا لكى يتعاقد مع مراسلين يمدون مكتب الأنباء الذى أنشأه فى باريس بأخبار تلك العواصم ٠ وكانت الأخبار ترد الى المكتب المذكور ـ فى أول الأمر ـ اما بالبريد أو بواسطة أناس مخصوصين ، حيث تترجم وتعاد صياغتها ثم توزع على المشتركين من رجال السلك الدبلوماسى وكبار رجال المال والتجارة ٠ ومن طريف ما يذكر أن الصحف فى ذلك الوقت قابلت عرض هافاس بمدها بالأنباء بالرفض التام لأن المقال كان ما يزال صاحب السيادة فى الجريدة ٠ ولكن الوضع سرعان ما تغير مع ظهور بوادر الصحافة الشعبية عام ١٨٣٦ حين أنشأ « أميل دى جيراردان » صحيفة « لابرس » وظهر بوضوح اتجاه القراء الى الاستزادة من الأخبار وكان هافاس قد توقع هذا التحول واستعد له بشراء مؤسسة صغيرة مشابهة لمؤسسته حققت له مزيداً من المساهمين ومن مصادر الأنباء ، وباندماج المؤسستين معاً أنشأ عام ١٨٣٥ وكالة هافاس ٠ ومنذ ذلك الوقت زاد هافاس فى عدد مراسليه وحسن أساليب حصوله على الأنباء باستخدام « السيمافور » ، وهو نوع بدائى من التلغراف كان شائعاً فى فرنسا فى ذلك العصر ٠ وفى عام ١٨٤٠ أقدم هافاس على استخدام الحمام الزاجل لنقل الأنباء من عاصمة الى أخرى ضماناً لسرعة وصولها ٠ والحقيقة أن عامل السرعة كان من أهم العوامل التى دفعت الصحف أخيراً الى الاشتراك فى وكالة هافاس ٠ وفى عام ١٨٤٨ أخذ هافاس فى اقامة روابط منتظمة بين باريس ولندن وبروكسل ثم مدها بعد عامين لتشمل باريس وروما وفيينا ومدريد ومدن ألمانيا الرئيسية ٠

هكذا كان تاريخ نشأة أول وكالة أنباء عرفها العالم وكانت حافزاً لانشاء وكالات أخرى مماثلة مثل وكالة ولف الألمانية عام ١٨٤٩ ووكالة رويتر الانجليزية عام ١٨٥١ ٠

ولا شك أن اختراع التلغراف الكهربائى فى حوالى منتصف القرن التاسع عشر ومد الكابلات الكهربائية تحت البحر عام ١٨٥٨ بين أمريكا الشمالية وأوروبا ، وبين انجلترا والهند واليابان قد ساعدت مساعدة فعالة على تطور وكالات الأنباء وعلى تقدم الصحافة ، حتى ليؤكد البعض أن هذا الاختراع يأتى فى الأهمية بعد اختراع المطبعة مباشرة بالنسبة لتطور الصحافة ٠

ولقد أصبح انشاء وكالة أنباء وطنية فى الدول الحديثة الاستقلال مظهراً من مظاهر استقلالها · لذلك نجد أن سعى دول العالم الثالث الى انشاء وكالات أنباء وطنية يأتى فى قائمة المهام الأولى التى تحرص عليها هذه الدول · ولقد ساعد على ذلك الاهتمام اعتماد الحكومات على الاعلام كسند للحكم يباشر مهامه اليومية · ولكن هذه الوكالات المحلية أو الوطنية وان تفاوتت قدراتها تظل محدودة التأثير اذا قورنت بوكالات الأنباء العالمية · وقد تنمو وتزدهر وكالة محلية فتصبح ذات أهمية خاصة ولكنها تبقى مع ذلك وكالة محدودة التأثير اذا قورنت بالوكالات العالمية ، وتمثل أنباء الشرق الأوسط هذا النموذج للوكالات المحلية المتطورة ·

وسنضرب بوكالة الأنباء الفرنسية مثلا للوكالات الدولية كما نضرب بأنباء الشرق الأوسط مثلا للوكالات المحلية المتطورة ·

وكالة الأنباء الفرنسية « أجنس فرانس برس » :

امتداداً لنشاط الوكالة التى أسسها « شارل هافاس » عام ١٨٣٥ ومما بقى من حطام هذه الوكالة عقب الحرب العالمية الثانية نشأت وكالة الأنباء الفرنسية التى تعد واحدة من أكبر وكالات الأنباء العالمية · وهى مؤسسة ذات كيان مستقل ، ولا نستطيع أن نقول أنها مؤسسة تجارية بالمعنى الكامل لمفهوم المؤسسة التجارية ويحرص قانونها الصادر فى يناير ١٩٥٧ على أن تكون هيئة مستقلة ، وأنها تبتعد تحت أى ظرف من الظروف عن أية مؤثرات أو اعتبارات يمكن أن تفسد دقة المعلومات والأخبار التى تنشرها ·

وليس للوكالة علاقة بالحكومة الفرنسية ، وانما يمكن القول بأن علاقتها بالدولة ، وهى علاقة غير مباشرة · ويتكون مجلس ادارة الوكالة من خمسة عشر عضوا · ينتخب الناشرون الفرنسيون (أصحاب الصحف) ثمانية منهم ، وثلاثة أعضاء يمثلون الراديو والتليفزيون ، وتختار الحكومة ثلاثة أعضاء وعضو عن الخزانة ، ويتم انتخاب هؤلاء كل عام · وحيث أن الناشرين لديهم الأغلبية ، لذلك من الصعب أن يوجد رئيس مجلس ادارة لا يوافقون عليه ·

وتعد وكالة الأنباء الفرنسية وكالة دولية ووطنية فى نفس الوقت على

عكس الحال فى بريطانيا حيث تعد « رويتر » هى الوكالة الدولية « والبرس أسوسيشن » Press Association هى الوكالة الوطنية أو المحلية • أما الوكالة الفرنسية فلها وجهان وجه وطنى والآخر دولى • وعدد الذين يعملون بمرتب شهرى فى هذه الوكالة وفق احصائيات عام ١٩٧٧ يبلغ ٢٠٥٠ موظف منهم ٧٨٠ صحفيا فرنسيا وأجنبيا فى باريس وفى خارج فرنسا و ١٧٠ يعملون فى المحافظات الفرنسية يضمهم ١٣ مكتب أساسى وخمس مكاتب فرعية • الى جانب ألفين يعملون بالمكافأة غير الثابتة • أما ميزانية الوكالة عام ١٩٧٧ فقد بلغت ٢٣٠ مليون فرنك فرنسى •

وتذيع الوكالة نشراتها بخمس لغات :

- الانجليزية : وتخدم شمال أوروبا وأفريقيا وأمريكا وكندا •
- الأسبانية : وتخدم أمريكا اللاتينية وأسبانيا •
- الألمانية : وتخدم ألمانيا الشرقية والغربية وجنوب سويسرا والنمسا •
- البرتغالية : وتخدم البرتغال والبرازيل •
- العربية : وتخدم البلدان العربية والاسلامية •

وتستفيد ٦٠ وكالة أنباء أجنبية من خدمات وكالة الأنباء الفرنسية• وليس للوكالة الفرنسية علاقة مع رويتر ، ولكن الوكالة الفرنسية تبيع خدماتها فى لندن بطريقة مباشرة • أما فى الولايات المتحدة فبالرغم من أن للوكالة الفرنسية ثلاث مكاتب رئيسية الا ن هناك اتفاق بينها وبين الأسوشيتدبرس لتبادل الخدمات فى النطاق الجغرافى • وللوكالة الفرنسية علاقة تبادل مع تاس ومع وكالة أنباء الصين • أما ألبانيا فهى الدولة الوحيدة بين الدول الاشتراكية التى ترفض خدمات وكالة الأنباء الفرنسية •

وبالنسبة لوكالات الأنباء العربية فان هناك علاقة تبادل بين كل منها وبين وكالة الأنباء الفرنسية • الا أن هناك علاقة خاصة تربط الوكالة الفرنسية بوكالة أنباء الشرق الأوسط بدأت منذ عام ١٩٦٨ حينما رأت الوكالة الفرنسية أن تقدم خدماتها باللغة العربية للبلدان العربية والاسلامية

وتم الترتيب مع وكالة أنبـــاء الشرق الأوسط بتوظيف عـدد من المترجمين الصحفيين فى القاهرة٠ وأصبحت وكالة أنباء الشرق الأوسط تقوم بالتنسيق وتتولى نقل الخدمة الصحفية للوكالة الفرنسية ٠ كما حصلت وكالة أنبـاء الشرق الأوسط على مساعدة فنيــة من الوكالة الفرنسية وتشارك الوكالتان فى النفقات ، وما زال التعاون مستمرا ٠

وفى مقر الوكالة بباريس يوجد عقل الكترونى ٠ وتبث الوكالة مليون كلمة يوميا ، ولها ١٢٠ الف كيلو متر من الكابلات ، وتستخدم فى ارســالها البرقيات والتليفون والتليفون الكاتب واللاسلكى والقمر الصناعى ٠

وتخدم الوكالة ١٢٠٠٠ جريدة ومجلة فى مختلف بلدان العالم ومئــات من محطات الراديو والتليفزيون ٠

وبرغم أن كل وكالة من وكالات الأنباء العالميــــة تنتشر فى كافة أرجاء المعمورة الا أن مجالا للتفوق يـــبرز فى مناطق جغرافية لكل وكالة ، أشـبه بالمجـــال المغناطيسى ٠ ففى أمريـــكا الشماليـــة تتفوق اليونيتـدبرس والأسوشـيتدبرس ٠ وفى دول « الكومنولث » البريطانى تتفــوق رويتر ٠ وفى البلدان الناطقة بالفرنسية «الفرانكفون» تتفوق وكالة الأنباء الفرنسية٠ أما وكالة تاس فمن الطبيعى أن تتفوق فى الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية ٠

وكالة أنبـــاء الشرق الأوسط :

تحققت أول محاولة لانشاء وكالة مصرية للأنباء عام ١٩٥٠ عنـــدما أنشأ الدكتور حسنى خليفة وكالة الأنباء المصرية التى كانت تصـــدر نشرة صباحية باللغة الانجليزية تلخص الأخبـــار والآراء التى تنشرها الصحف المصرية ٠ وكانت خدمات هذه الوكالة موجهة لخدمة السفارات والهيئـــات الأجنبية التى تريد أن تعرف الكثير عما تنشره الصحافة المصرية فى المقـــام الأول ٠ كما أصدرت هذه الوكالة نشرة أسبوعية لنفس الغرض ، اذ أنهـــا كانت تحتوى على عرض أسبوعى باللغـــة الانجليزية للأخبار والتحقيقات والمقالات ، فضلا عن تحليل الاتجاهات لتلك الصحف ٠ ثم وسعت الوكالة مجال نشاطها الى السودان ، فكانت تنشر فى الخـــرطوم نشرتين يوميتين تتضمنان أنباء مصر ، ومن ناحية أخرى كانت تصدر فى القاهرة نشرة أخرى

عن أخبار السودان ، وكانت هـذه الوكالة تتلقى اعانة ماليـة من الحكومة تسـاعدها على تأدية واجباتها ، ولكنها نشرت أخبارا غـير دقيقة تتعلق بالسودان فسحبت الحكومة المصرية رخصتها فى أكتوبر عام ١٩٥٤ ٠

وكانت هنـاك محاولة أخرى لانشاء وكالة أنبـاء مصرية قام بهـا عبد المنعم الصاوى عام ١٩٥٣ عندما أسس « مكتب مصر للصحافة » وكان يوزع الأخبار بالعربية والانجليزية ثلاث مرات فى الأسبوع ٠ وكانت خدمات هذه الوكالة شبيهة بوكالة الأنباء المصرية ٠

وبتطور الأوضاع السياسية فى مصر باستقرار ثورة ٢٣ يوليو برزت الحاجة الى وكالة أنباء قوية فتأسست فى ينـاير ١٩٥٦ وكالة أنباء الشرق الأوسط شركة مساهمة رأس مالها عشرون ألف جنيه وساهمت فى انشائها صحف الأهرام ودار أخبار اليوم ودار الهلال ودار التحرير ٠ وكان مجلس ادارتها يتكون من أعضاء يمثلون هذه الصحف ٠ وفى ٤ ابريل ١٩٦٢ تنازل عنها أصحابها دون مقابل وأصبحت احـدى شركات المؤسسـة العـامة للأنبـاء وتأليف والنشـر ٠

وأصدرت المؤسسة قرارا باستمرار الوكالة فى العمل كشركة مساهمة متمتعة بجنسية الجمهورية العربية المتحدة ٠ ونص القـرار على أن غـرض الشركة هو نشر الأخبار فى البلاد المختلفة عن طريق مكاتبها فى مختلف البلاد العربية والاجنبية بواسطة الأجهزة المركبة فى مركزها الرئيسى وفى مكاتبها فى الخارج لارسال واستقبال الأخبار الصحفية ٠ وكذلك تنوير الرأى العام فى الجمهورية العربية المتحدة بالأنباء الداخلية والخارجية وتعريفه بمختلف التيارات العالمية ومحاربة الأخبار المدسوسة والمغرضة ضد ج٠ ع٠ م والعالم العربى ، كما تقوم بطبع واصدار الأفلام عن الأحداث العالمية وتوزيعهـا بواسطة مكاتبها الى الخارج ٠

وكانت الدولة ترعى الوكالة منذ انشائها وتمنحها اعانة مالية محـدودة لسد العجز فى ميزانيتها تقدر بحوالى ٣٢ الف جنيه ٠ وظل هذا الوضع حتى عام ١٩٦٢ عندما اصبحت الوكالة احدى شركات القطاع العـام ، فمنحتها الدولة اعانة تأسيس واعانة للتوسع وصلت الى نصف مليون جنيه،فتمكنت

من شراء كميـــات كبيرة من الأجهزة والمعـــدات الحديثة وأجهزة الاستقبال والارسال ، وماكينات التيكرز وقطع الغيار ، وزودت بها المركز الرئيسى ، وتوسعت فى انشاء المكاتب الخارجية وتعزيز القائم منها • وبعـــد أن كانت المكاتب قاصرة فقط على بعض البلاد العربية ، عقـــدت اتفاقيات مع بعض البلاد الأجنبية ، وفى سنة ١٩٦٧ صدر قرار بتصفية الوكالة لانشاء وكالة جديدة باسم الصحافة العربية المتحدة مع التخلص من جميع العاملين فيهـا بنقلهم الى وظائف فى الوزارات • ولكن الدور الذى قامت به الوكالة خـــلال حـرب ١٩٦٧ أوقف اجـراءات التصفية ثم أعيـد تنظيم الوكالة فى ١٩٧١ وأصبحت احدى المؤسسات التابعة لاتحاد الاذاعة والتليفزيون •

* ● *

تسعى كل دولة نامية أن تكون لها وكالة أنبائها الوطنية ، ولكن تبقى مشكلة أبنـــاء البلدان النامية فى معرفة أخبار العالم • ان وكالاتهم المحليـة لا تستطيع أن تنتشر فى كافة بلدان العالم • لذلك لابد لهم من أن يعـرفوا أخبار العالم من وكالات الأنباء العالمية • وهذه هى مشكلتهم • لأن وكالات الأنباء العالمية مهما حاولت الحياد والموضوعية انما هى تعبر عن مصـــالح وسياسة وثقافة وحضارة مختلفة •

والواقع أن عدم حيدة وكالة الأنباء العالمية قد دفع كثيرا من المفكرين الى المطالبة بانشاء وكالة أنباء عالمية تابعة للأمم المتحدة •

والأمر الذى لا شك فيه(٩) ان اضطلاع الأمم المتحـــدة بانشاء وكالة عالمية للأنباء أو أكثر من وكالة سيكون بمثابة تدعيم عظيم الشأن لمبـادىء ميثاق الأمم المتحدة ، وللسلام العالمى • وخطوة أساسية لتأمين حرية ضمير الصحفى العامل فى ميدان نقل الأنباء وجمعها على نطاق دولى والتعليق عليها، على أن تضفى الأمم المتحـــدة على العاملين فى هذه الوكالة الدوليـــة نفس الحصانة الدبلوماسية التى تضفيها على سائر موظفيها الدبلوماسيين •

---

(٩) د / مختار التهامى ـ الصحافة والسلام العالمى ـ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ـ نشر الرسائل الجامعية ـ ١٩٦٤ ص ٣١٢ ، ٣١٣ •

وليس من شك فى أن تحقيق قيام وكالة للأنباء تابعة للامم المتحدة ، وخاصة اذا تفرعت عن تلك الوكالة عدة وكالات اخبارية متخصصة للعلوم والفنون والآداب ، من شأنه حتما زيادة التآلف بين شعوب العالم نتيجة لزيادة معرفة تلك الشعوب معرفة وثيقة بعضها بحياة البعض الآخر ، ومشكلاته الحقيقية ، أو تقدمه فى نواحى العلوم والفنون والآداب ، والرقى الاجتماعى والانسانى عامة ، وهذه المعرفة الشاملة ستكون بلا شك عاملا هاما فى توطيد دعائم التعاون والسلام العالمى وحل المشكلات العالمية فى جو من الثقة والتفاهم ، الأمر الذى يحول دونه حاليا العداء الشديد القائم بين وكالات الأنباء فى الشرق والغرب وانغماسها فى معركة الحرب الباردة أو بمعنى آخر فى معركة التمهيد لفناء العالم ولأن وكالات الأنباء تنقل الأخبار من جميع أنحاء العالم وتوزعها الى معظم أنحاء العالم فيقرؤها الناس فى الصحف أو يسمعونها فى الاذاعات ، أصبحت الأخبار العالمية كثيرة التداول ، وأصبح القارىء والمستمع والشاهد يهتم بها ويتأثر بها • وبذلك خلقت أو ساعدت وكالات الأنباء فى عالمية الخبر وفى ظهور السمة العالمية لمعظم وسائل الاعلام •

المسرح والسينما :

يعد المسرح من أقدم وسائل الاتصال ، وتمثل طقوس الرقص عند الانسان البدائى بذرة المسرح ونواته ، ولقد عرفت الحضارات القديمة هذه الوسيلة من وسائل الاتصال والفن • وكان للفراعنة مسرحهم ، ولكنه كان مسرحا دينيا قاصرا على الكهنة ورجال الدين • وعندما يذكر تاريخ المسرح فانه يرتبط مباشرة بالحضارة الاغريقية ، فقد اهتم الاغريق بالمسرح وخاصة فى المناسبات الدينية والوطنية • ومن خلال المأساة والملهاة كنوعين متميزين من المسرحيات ، تناولوا موضوعات دينية واجتماعية وأدبية تهدف الى توعية المشاهدين وتعليمهم ونقد صور الحياة الاجتماعية السائدة •

ويفسر بعض النقاد بروز المسرح الاغريقى وتطوره بطبيعة الديانة الاغريقية التى تصور الآلهة فى صور بشرية يمكن أن تقف على المسرح وتتحدث وأن تمارس فضائل الانسان ونواقصه ، والى طبيعة العقلية الاغريقية وولعها بالحوار والمناقشة والنقد •

ويعكس اهتمام النقاد والفلاسفة الاغريقيين بالمسرحية وأسسها الفنية اهتمام الاغريق عامة بهــذا الفن الذى أدى المسرح من خــلاله دورا رئيسيا فى الاعــلام ٠

والمسرح ليس تراثا عربيا قــديما ، ولكنه نتــاج للنهضة العربية الحديثة ٠ وبرغم ازدهار حركة الترجمة فى الحضارة العربية عن الاغريق ، وبرغم أن العرب قـد نقلوا ـ منــذ الدولة الأموية ـ عن الاغريق الكثير من علومهم وفنونهم الا أن المسرح لم ينـل اهتمامهم ٠ ويرجع معظم النقــاد عزوف الحضارة العربية عن المسرح الى طبيعة الشعر العربى كشعر غنــائى لا يصلح للتمثيل ، والى ارتباط المسرح اليونانى بالأطر الدينية الوثنية التى تتعارض مع عقيدة الاسلام محور الحضارة العربية ٠ وعندما تعمق اتصــال العرب بأوربا فى القــرن التاسع عشر انتقلت المسرحية مع الأفكار الجـديدة التى حملها الأدباء العرب نتيجة لهذا الاتصال ٠ وقدم مارون النقاش منشىء المسرح العربى ترجمة لمسرحية البخيل لموليير ، ثم بعض قصص ألف ليــلة وليلة ، ومن خلال الاقتباس ازدهر المسرح العربى حتى وقف على قــدميه وظهرت المسرحية العربية المتكاملة فى القرن العشرين ٠ ومن الجدير بالذكر أن التليفزيون ـ وبخاصة فى مصر ـ استطاع من خلال عرضه للمسرحيات أن يقـدم المسرحية لملايــين المشاهدين الذين لم يكونوا لــيروا المسرح على الاطلاق ٠ واستطاع بذلك أن يوسع من جمهور المسرحية وان ظــل جمهور المسرح ضيقا نسبيا ٠ كما أن الراديو ـ وبخاصة المحطات الثقافية ـ بتقديمه مسرحيات من التراث العالمى باخراج اذاعى ونقد فنى وأدبى أسهم فى انعاش المسرحية كوسيلة اعــلام ٠

وبرغم آلاف السنين التى تفصل بين ميلاد المسرح وبين ميلاد السينما الا أنهما توأمان فى بعض الوجوه ، وان اختلفا فى بعض الوجوه ، فالسينما فن جماهيرى ، وللسينما تأثير على قاعدة الهرم الاجتماعى فى كافة المجتمعات ٠ ورواد المسرح من الطبقات الأكثر ثقافة وقدرة اقتصادية فى كافة المجتمعات ٠ وحظ السينما فى الاستفادة من التكنولوجيا أوفر كثيرا من حظ المسرح ٠ اننا عنــدما نقارن استفادة المسرح بالأضواء والمسرح الدائرى وما شــابه ذلك باستفادة السينما بالسينما سكوب وبالأفلام الملونة والأفلام المجسمة صورة وصوتا وغير ذلك ٠٠ عندما نقارن لا نتردد فى القول بأن حظ السينما أوفى

وأكبر ، وهو ما جعـــل تأثيرها يصل الى ملايين عـــديدة من البشر فى كافة الأقطار . ان قصة تطور السينما تتميز بالقفزات المتلاحقة . لقد قدم الاخوان « لويس » و « أوجست لوميير » أول عرض للصور المتحركة فى العالم فى احدى مقاهى باريس فى ٢٨ ديسمبر ١٨٩٥ ، ثم ظهر أول فيلم يبلغ طوله ألف قدم عام ١٩٠٥ ثم ظهر فيلم « كوفاديس » الايطالى عام ١٩١٢ ، ثم نشط الانتاج السينمائى فى الولايات المتحدة عنه فى أوروبا بسبب ظروف الحرب العالميـة الثانيـــة(١٠) .. وحمل عام ١٩٢٧ تقـــدما جديدا أو قفـزة جديدة فى الفن السينمائى بظهور السينما الناطقة ، وتلاحقت بعد ذلك القفزات متمثلة فى الفيلم الملون والصوت المجسم وغير ذلك . ثم كان لانتشار التليفزيون أكبر الأثر فى نقل الفيلم السينمائى الى بيوت الناس وأنديتهم . كما أن طبـــع الأفلام الستة عشر مليمتر والثمانية مليمترات جعل امكانية عرض الأفـلام فى البيوت والطائرات والقرى والأندية واسعة هـــذا الى جانب زيادة عـدد النسخ المطبوعة من الفيلم الواحد ممـا جعل سعة انتشاره فى عدد وفـير من دور العرض فى بلدان متعددة ومدن متعددة .

ولقد أطلق أحـد النقاد الأوربيين على السينما الفن السابع حيث جاء ترتيبها فى رأيه بعد العمارة والموسيقى والرسم والنحت والشعر والرقص . وهناك اختلاف كبير فى وجهات النظر لتحديد مهمة السينما المعاصرة ، وذلك لأن مفهوم السينما ووظيفتها يختلفان اختـــلافا كبيرا تبعا لاختلاف النظم الاجتماعية والثقافية السائدة . والسينما هى الصناعة الرابعة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تكونت رابطة السينما الامريكية فى العقد الثالث من القرن العشرين كتكتل من المنتجين لحمايتهم ـ كما يزعمون ـ من الهـــزات الاقتصـــادية .

وقـد لعبت السينما الأمريكية دورا هاما فى خلق اتجاه مؤيد لدخول الأمريكيين الحرب العالمية الثانية مع الحلفاء كما لعبت دورا فى محاولة توجيه الرأى العام فى صالح السياسة الأمريكية فى حرب فيتنام . وعندما حاول

---

(١٠) د. مختار التهامى ـ الاعلام والتحول الاشتراكى ـ الطبعـــة الأولى ـ دار المعـــارف بالقاهرة ـ ١٩٦٦ ص ٦٢ ، ٦٣ .

بعض المخرجين أن ينقدوا أفلامهم السياسية الأمريكية اصطدموا مباشرة بسطوة الرأسمالية الأمريكية ووضعت بعض أسمائهم فى القوائم السوداء مما دفعهم الى الهجرة .

وتنقسم الأفلام السينمائية الى أفلام روائية وهى لب صناعة السينما وجوهرها ، والى أفلام تسجيلية وجرائد سينمائية وهى الأفلام التى تعتمد على الأخبار أو الأحداث الهامة بمعنى أدق ،والى أفلام الرسوم المتحركة ، والى أفلام الاعلانات والدعاية كالاعلان عن سلع أو خدمات والدعاية السياحية وما شابه ذلك .

وأشهر تصنيفات الأفلام كما تصنفها احدى الصحف الباريسية المتخصصة هى :

مغامرات	Aventures
كوميديا	Comedies
كوميديا دراميـة	Comedies Dramatiques
كوميديا موسيقية	Comedies Musicales
رسوم متحـركة	Dessins Animes
أفلام قصيرة	Courts Metrages
أفلام وثائقيـة	Documentaires
دراما	Drames
نفسية	Psychologiques
الاثارة الجنسية	Erotiques
الجاسوسية	Espionnage
أفلام خيالية وعجائب	Fantastique
أفلام موسيقية	Films Musicaux
افلام سياسية	Films Politiques

أفـلام استعراضية	Grands Spectacles
حـــــروب	Guerre
بوليســـية	Policiers
رعب	Horreur
رعاة البقـــر	Westerns

والحدود ليست فاصلة بين أنواع الأفلام المختلفة · فالعلاقة مثلا بين الفيلم التسجيلى والفيلم الروائى أعمق مما يراه البعض بتخصيص الفيــلم التسجيلى لقول الحقيقة وتخصيص الفيلم الروائى لسرد القصة ·

لقد كان تعريف(١١) السينمائيين القدامى للفيلم التسجيلى هو التفسير الابداعى للحقيقة والحقيقة فى الفيلم التسجيلى لا تعالج على أنها خلفيـــة للعمل السينمائى ولكنها موضوع الفيلم ذاته وكان تركيز الفيلم التسجيلى على انجاز تشكيل مماثل للبيئة الواقعية والقوى التى تتحرك خلال التاريخ والثقافة فى مجتمع من المجتمعات · وعنـــدما جاء الفيلم الروائى بتشويقه الدرامى استعار الفيلم التسجيلى التشويق الدرامى بدون حبكة وبدون خط مسلسل لقصة وانما لتسجيل الحقيقة ، وقد أعانه تطور أساليب « تكنيك » سينما الواقع أو السينما المباشرة ·

وقد يكون تعريف الفيلم التسجيلى بأنه التفسير الابداعى للحقيقـة · هذا التعريف قد يبدو مضللا· لأن السؤال الذى يطرح نفسه من هذا التعريف هو : ما هى الحقيقة ؟ ·

ان العلاقات الانسانية الدقيقة والمعقدة التى عالجتها وتعالجها الأفلام الروائية هى على وجه التأكيد جزء من الحقيقة بقدر ما تكون كذلك الأوجــه الأخرى التى عالجتها وتعالجها الأفلام التسجيلية · ان الخرافات والحواديت

---

(١١) James E. Combs and Michael, W. Mansfield. Drama in Life. The use of Communication in Society - Hastinge House Publishers. New York, 1976 — P. 370.

وقصص الجان لها جذورها فى تربة الحقيقة ٠ وأبطال من أمثـــال كريشنا وعلاء الدين وسندريلا وجاك القاتل العملاق كل هؤلاء لهم أنماطهم الأساسية فى الحياة الواقعية ٠٠ ومن ثم فانه يمكن القول على نحو ما بأن الخـرافات والحواديت وقصص الجان والقصص الشعبى هى كذلك تفسيرات ابداعيـــة للحقيقـــة ٠

ان العلاقة التى تبـــدو وثيقة بين الفيلم الروائى والفيلم التسجيلى تدور مع الأنواع الأخرى من الافــلام بصلات أوثق وبروابط أعمق ٠ ويقف الباحث الاعلامى أمام الأفلام الروائية والجرائد السينمائية وقفة متأنيــة لأنها صلب العمل السينمائى ولصلتها الوثيقة بالصحافة بمعناها الواسع٠

ولاشك أن العلاقة بين السينما والشباب(١٢) هى أول العناصر عنـد قياس تأثيرها على المجتمـــع ، ويرتبط ذلك بتقليد النجوم وأسلوبهم ، فى الحب والحديث وملابسهم وزينتهم وطريقة حياتهم كما تبرزها الأفـــلام وكما تبرزها المجلات ٠ ويجنح الشباب الى تقمص شخصيات أبطال الأفلام فى كثير من الأحيان ٠ وينبغى أن تنتشر افلام الأطفال ويتسع مداها حتى لا تصبح القاعدة المتفشية أن يشاهد الأطفال الأفلام التى صنعت أصـــلا للـــكبار ٠

ان السينما تمثل للشباب المبكر من أبناء الدول النامية سكان البنادر ومدن الأقاليم زادا أسبوعيا من الترفيه والتسلية وتمضية وقت الفـــراغ ينتظرونه بشغف بالغ فى دار العرض الوحيدة أو أكثر من دار عرض فى المدن الكبيرة ٠ ومن هنا يبز مدى التأثير الذى تصنعه السينما فى عقول الشـــباب وســلوكهم ٠

تستطيع السينما أن تخرب عقول الشباب ونفوسهم بخلق عالم حالم

---

(١٢) تثبت الدراسات الاحصائية أن الشباب يمثلون أغلبية مشاهدى الافلام السينمائية ، ولا شك أن ملاحظة هذه الظاهرة حتى لغير المتخصصين تؤكد ذلك وتبلغ نسبة المراهقين منرواد السينما نسبة عالية فان ٤٠٪ فى العالم من اجمالى رواد السينما تقل اعمارهم عن ٢١ ســنة ٠

مشحون بالمغامرات والحب والأبهة(١٣) والنجاح يهيىء للمشاهد جوا من الاسترخاء يكون بمثابة المخدر الذى يساعده على الهروب من واقع الحياة ، ويصرفه نهائيا عن خطة التنمية ويبدد طاقاته ويدمرها ٠ ان استغلال الفيلم للاهتمامات الجنسية واثارتها واشاعة أحلام اليقظة والخيال المريض وضربة الحظ وألوان التعصب الذميم لا يدمر عقول الشباب ونفوسهم فقط وانما يقضى على المجتمع بأسره ٠

ما هو الطريق اذن لاسهام السينما فى التنمية ؟ أو بمعنى أكثر شمولا ما هو الطريق السليم الى السينما ؟ ٠

ان معالجة الواقع وربطه باتجاه التطور المطلوب هو المحور الذى ينبغى أن تسلكه السينما فى البلدان النامية لتبنى شخصية الانسان الجديد المتحفز للتقدم والذى يواجه تحديات العصر وسدود التخلف وينتصر عليها ٠ وأن تجسد كراهية كل ما هو سيىء ورخيص وسلبى فى حركة المجتمع نحو التقدم ٠ كل ذلك من خلال الحياة العادية للناس ومن خلال الواقعية بصدقها وبساطتها ٠

ان المقارنة بين « الفيلم » الممتاز وبين « الفيلم » الساقط وأثرهما على المتفرج كالفرق بين الوجبة الشهية والطعام الفاسد المتعفن ٠ « ان أثر الصورة فى الفيلم الممتاز يحفر فى النفس حفرا ، تكاد الأصابع تمتد من الشاشة الى قلب المشاهد وتحركه ٠ ولكن السينما لا تفعل هذا فى الأفلام الهابطة ٠ انها حتى لا تجلس فوق جلد المتفرج انما يحس بها الانسان كنوع من « الهاموش » المؤذى الذى يتجمع حول أضواء الكاميرا ويود الانسان أن يتناول فى الحال علبة (بايروسول) ليزيله(١٤) ٠

وفى مقدور الفيلم الجيد(١٥) أن يجمع بين الحقيقة والخيال ، والواقع

---

(١٣) د٠ مختار التهامى ـ الاعلام والتحول الاشتراكى ـ الطبعة الأولى ـ دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٦ ص ٦٩ ٠

(١٤) يوسف ادريس ـ من مفكرة ـ جريدة الأهرام ١٩٧٦/٥/٢٨ ٠

(١٥) د٠ مختار التهامى ـ الاعلام والتحول الاشتراكى ـ الطبعة الأولى ـ دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٦ ص ٦٢ ٠

والمستقبل ، مما يفتح أمام المشاهدين مغاليق الحياة ٠٠ ولو أخـذنا بالقول أن الخيال أصـــل الواقع ، وهو الطريق الى الطموح ، لتأكد لنـا عمليا أن السينما حقيقـــة من الأسس القوية فى زيادة المعـارف ورسم الطريق الى النجاح وتحقيق الآمال ـ ألم تذهب السينما بخيالها الى القمر قبل أن يتحقق ذلك بوقت طويـــل ٠٠ ؟ !

ولعل الأخطاء التى تؤخذ على السينما الامريكية من جانب والاخطاء التى أخذت على السينما السوفيتية فى بعض مراحلها من جانب آخر يمكن أن تجنبنا فى العالم الثالث تكرار مثل هـــذه الأخطاء وأن تقدم لنا فى نفس الوقت دليـــلا يبعدنا فى العمل السينمائى عن مسالك الزلل ٠٠ وتتلخص الاتهامات الموجهة للسينما الأمريكية فيما يلى(١٦) :

١ ـ انها تباعد بين الجماهير وبين التفكير المنطقى المنظم ٠

٢ ـ انها تغرق الجمهور فى عالم هروبى وتبعد الناس عن مناقشـــة مشكلاتهم الحيوية ٠

٣ ـ انها تشوه الحقائق التاريخية ، بل لقـــد وصل بها الأمر عام ١٩٣٠ الى انتاج سلسلة من الأفلام تمجد الامبراطورية البريطانية وتناصر الاســتعمار ٠

٤ ـ انها تساعد على الترويج للقيم التعصبية والتفرقة بـين الناس والشعوب وتمجد أسطورة الرجل الأبيض ورسالته ٠

٥ ـ أنها تمجد استخدام القوة والعنف على أسس طبيعية وتمهـــد للحرب كنهاية طبيعية حتمية ٠

٦ ـ أنها تروج نظرية احتقار العمل الجماهيرى والجماعى ٠ وتظهـر التكتلات الجماهيرية بمظهر القطيع المسلوب الارادة المنساق كالحيوانات ٠

وتتلخص أخطاء السينما السوفيتية بالدعاية الفجة فى بعض الأحيان

---

(١٦) د٠ مختار التهامى ـ الاعلام والتحول الاشتراكى ـ الطبعـــة الأولى ـ دار المعـــارف بالقاهرة ١٩٦٦ ص ٧٦ ، ٧٧ ٠

وبتأثرها بعبادة الفرد فى عهـــد ستالين اذ حلت شخصية ستالين فى بعض الفترات محل الشخصيات الشعبية الأصيلة التى يعنى بها عادة الفيـــلم السوفيتى ٠

والحـــديث عن مدى الأثر الذى تؤديه السينما لا يمكن أن يخضـــع للحصر ٠ وما زالت حكاية الشاب الجزائرى أحمد الذى كان يعمل «جرسونا» فى مقهى شعبى بساحة بور سعيد فى العاصمة الجزائرية عام ١٩٧١ تشـــد مشاعرى ٠ كان أحمد أيام حـــرب التحرير صبيا يقدم للثورة تضحيات متواضعة ، ويغيظ جنود الاستعمار بمشاهدة الأفلام المصرية ٠ ومن الأفلام المصرية تعلم اللغة العربية ٠ وما زال حديث المناضل العراقى حميـــد يملأ سمعى منذ عام ١٩٧٤ ، فى رحلة القطار من بغداد للبصرة ٠ قال ان شباب أسرته كان يشاهد عبد الوهاب فى الفيلم فى العقـــد الرابع من هـــذا القرن فيحفظ ألحانه ويرتدى كل منهم حـــلة تشبه حلته ويضع المنـــديل بنفس طريقته ٠ كان الوطن العـــربى مقسما ومجزءا وكان « الفيلم » يخلق الذوق العربى العام ويوحد المشاعر والوجدان وحتى نمط السلوك والزى ٠

واذا كان من واجب الاعـــلام فى أى مجتمع أن يقـــدم للمجتمع الدولى الشخصية الوطنية فان الفيلم يقوم بهذا كله وبصورة أكثر شمولا وأوقع أثرا لأنه يستخدم عناصر الدراما ولا يقتصر على عناصر الخبر ٠

الـــكتاب :

يحظى الكتاب بشىء كثير من الاحترام كوسيلة من وسائل الاتصال٠ وهو بخصائصه الذاتية يجمع بين فضائل وسيلة الاتصال الجماهيرى بحكم الأعداد المطبوعة منه وبين فضائل الاتصال المباشر لأن القارىء لابد وأن يخلو له ويعد نفسه ويتهيأ للقراءة ٠ ولأن الكتاب يمتاز بالعمق والدراسة ، فهو وســـيلة مفضلة للباحثين عن المضمون الجاد ٠ ويرتبط انتشار الـــكتاب بالمستوى التعليمى فى المجتمع ، فـــكلما ارتفع مستوى التعليم زاد توزيـــع الكتب ، وكلما انخفض مستوى التعليم تقـــل قراءة الكتب ٠ والمدينة هى بيئة الكتاب فهو يقـــل أو يكاد ينعدم فى القرية ، غير أن وسائل الاعـــلام الأخرى تقـــلل تدفق توزيع الكتاب فى العواصم الكبرى بمغرياتها وبتبديد طاقات التطلع للمعرفة لدى الراشدين من الشباب ٠ ٠ ولأن جمهور وسائل

الاعلام متداخل ، فان الظروف التى تمنع بعض الوسائل من الاستحواز على جمهورها تتيح الفرصة لوسائل أخرى من الاستحواز على نفس الجمهور ٠ لقد ساعدت فى مصر ظروف الحرب العالمية الثانية فى زيادة توزيع الكتب ، لأن وقت البقاء فى البيوت أضحى أطول ، ولأن المسارح ودور السينما والنوادى فى ظل الغارات الجوية تفقد معظم روادها ٠

وتقول احصائيات(١٧) عديدة أن الاتحاد السوفيتى أكبر دولة منتجة للكتب ٠ فربع انتاج الكتب فى العالم يطبعه السوفيت ٠ وهناك ثلاثة دور نشر كبيرة تنشر كتبا بلغات أجنبية تبلغ حوالى ٥٦ لغة منها اللغة العربية٠ وفى الاتحاد السوفيتى ٣٦٠ ألف مكتبة للاطلاع يزورها سنويا ما يزيد عن ١٨٠ مليون قارىء ٠ ولديهم ٢٠٠ دار نشر كبرى تصدر ثلاثة آلاف نسخة فى الدقيقة الواحدة وأربعة ملايين نسخة فى اليوم الواحد ٠

ولقد أطلق على الشعب السوفيتى بأنه شعب قارىء للكتب ٠ وقد عزى بعض المحللين الغربيين(١٨) عادة قراءة الكتب لدى الشعب السوفيتى الى خلو وسائل الاعلام الجماهيرى من أسباب التسلية بل وعدم وجود هذه الوسائل نفسها ٠ فالمجلات والصحف والراديو والتليفزيون ليست على نطاق واسع ، والموجود منها ذو طابع سياسى ٠٠ واذا كان ذلك كذلك فى الماضى ٠ فالمجتمع السوفيتى الآن يجتاز ثورة فى وسائل الاعلام الجماهيرى٠ لابالنسبة لتوفير هذه الوسائل الاعلامية كالمجلات والراديو الترانزستور أجهزة التليفزيون فحسب ٠٠ بل وببذل جهد ضخم فى جعل محتويات هذه الوسائل خفيفة ومسلية ٠

ويرد بعض الباحثين ذلك التطور الى تاثير الاتصال الدولى على الاتحاد السوفيتى ، ويتساءل هؤلاء الباحثون ٠ اذا كان البعض يعلل انتفاضات بعض الشباب الى مرحلة المراهقة و صراع الأجيال ، فكيف يفسر لنا هؤلاء اهتمام الشباب السوفيتى بالموسيقى الغربية ، ولماذا يهتم الفنانون

---

(١٧) معرض الكتاب الدولى بالقاهرة عام ١٩٧٥ ٠

(١٨) د / أحمد بدر ٠ الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ٠ دار القلم ١٩٧٤ ص ٢٩١ ٠

السوفييت بطبع اللوحات التجريدية . وهناك من يرى تشابها بين أشكال الثورة الفردية فى كل من الاتحاد السوفييتى والغرب ، بسبب وسائل الاتصال أى أن وسائل الاتصال الدولية الكافية فى رأى هؤلاء . تجعلنا جميعا جزءا من حضارة واحدة يؤثر فيها كل منا على الآخر ويتأثر به .

وليست هناك علاقة ثابتة بين ارتفاع المستوى الاقتصادى وزيادة توزيع الكتب ، فقد تزهد المجتمعات المترفه فى الكتاب وتلجأ الى وسائل أكثر ترفيها . وقد تكون هناك سمات خاصة للثقافة الوطنية فى مجتمع من المجتمعات تجعل للكتاب أو لنوع من الكتب وضعا أكثر انتشارا ، فمن الشائع بين المثقفين العرب أن العراق من أكثر العرب قراءة للشعر ، وأن المصريين من أكثر العرب قراءة للقصة الطويلة . واذا تأملنا تحليلا أمريكيا لازدهار الكتاب فى أوروبا عنه فى أمريكا .. فاننا نجد عمقا تاريخيا لهذه الظاهرة .. ماذا يقول التحليل الأمريكى (١٩) ؟ .

« ومما يلفت نظر الأجانب المولعين بالملاحظة . أن الأمريكيين ليسوا قراء كتب . وهناك شىء من الصدق فى تعميمهم هذا ، فبينما تجد أن الأوربيين قراء كتب ، فان الأمريكيين يتميزون بقراءة الدوريات . ولعل مما له مغزاه أن أقل من ١٢ صحيفة من الصحف اليومية البالغ عددها ١٧٦١ فى الولايات المتحدة الامريكية ـ تصدر ملاحق منتظمة لاستعراض الكتب » .

وقد أشار هلموت ليمان هاويت ـ وهو مؤرخ لنشر الكتب ـ أن الكتب فى أمريكا تعتمد على الصحافة الدورية القوية . وعلى النقيض من ذلك لا يوجد هذا الاعتماد فى أوروبا ، حيث للكتب تقاليدها الخاصة بها ، وهى أقدم وأكثر أصالة من تقاليد الدوريات . وقد اكتشف أن سر الاختلاف بين الاتجاهات التى يتخذها الأوربيون والأمريكيون نحو الكتب يكمن فى الاختلاف بين الأغراض التى استخدمت الطباعة من أجلها أصلا فى القارتين . فيقول ان الطباعة فى أوروبا ، قد بدأت فى مجتمعات استقرت طويلا باعتبارها وسيلة

---

(١٩) وليام ل. ريفرز وآخران ـ ترجمة د. ابراهيم امام ـ وسائل الاعلام والمجتمع الحديث ـ دار المعرفة بالقاهرة (مؤسسة فرانكلين) ـ القاهرة ١٩٧٥ ـ ص ٧٠ ، ٧١ .

سهلة وزهيدة الثمن لنشر التراث الأدبى المتراكم من كنوز المخطوطات فى العالم القديم وعالم القرون الوسطى ٠ أما فى أمريكا ، فقد أصبحت الطباعة قوة هامة للتعمير وللتوسع غرباً ، ويضيف : « لقد غزت المطبعة الأوربية الفكر أساساً ، أما المطبعة الأمريكية فقد غزت العمل أساساً ٠ وفى أوروبا كان معنى الطباعة منذ البداية هو الكتب ، أما فى أمريكا فقد كان معنى الطباعة منذ البداية تقريباً هو الصحف » ٠

ومع ذلك ، فقد تحول قراء الكتب من طبقة محددة الى جمهور شعبى عريض بنفس الطريقة التى حدثت للصحف والمجلات ٠ وفى انجلترا تحول الجمهور القارىء للكتب من الطبقة العليا الى الطبقة الوسطى فى القرن الثامن عشر ٠ ففى منتصف هذا القرن ، لم يعد المفكرون والأدباء يكتبون لدائرة معارفهم الصغيرة ٠ ولكن بدلا من ذلك كان الروائيون من الطبقة الوسطى ، أمثال ريتشارد سون وفيدلنج ، يكتبون لجمهور الطبقة الوسطى ، وكان الكثير من أفرادها يقرأون الشعر لأنهم يسمون بأنفسهم من خلال استمتاعهم بالشعر ٠ وفى أواخر القرن ، كان التعليم ومعه قراءة الكتب ، قد تغلغلا بين الطبقة العاملة ٠ وكان الجمهور القارىء الجديد لا يزال صغيراً بالقياس الى جماهير القراء الضخمة بعد ذلك الوقت ، ومع ذلك فقد كان كبيراً بالقياس الى المراحل السابقة ٠ ويبدو أن هذا التحول فى الجمهور قد صاحبه ميل أشد للقراءة من أجل المتعة والاسترواح اكثر مما مضى ، وهو اتجاه أسهم فى تطور القصة الطويلة والولع الشديد بقراءة الرواية الذى عم انجلترا نحو نهاية القرن الثامن عشر ٠

وحتى نهاية القرن التاسع عشر ، كانت أغلبية ما يقرؤه الأمريكيون وافدة من انجلترا ، ويعنى بذلك الكلمات لا الكتب فلم تكن الكتب المنشورة فى انجلترا تتمتع بحماية حق المؤلف فى هذه البلاد ، وقد وجد الناشرون الأمريكيون أنه من الأربح لهم أن يعيدوا طبع الكتب الانجليزية دون أن يدفعوا شيئا للمؤلفين ، بدلا من المغامرة بالتعاقد مع كتاب أمريكيين ٠ وكان من نتائج ذلك زيادة عدد الكتب زهيدة الثمن الموجهة للجماهير فى هذه البلاد عنه فى بريطانيا ٠ وحتى بعد منتصف القرن التاسع عشر ، عندما أصبحت الكتب المعاد طبعها رخيصة الثمن فى انجلترا ، استطاع الناشرون الأمريكيون اصدار نفس تلك الكتب فى نيويورك بأسعار أرخص ٠

الخطبـــة :

لا شك أن الخطبة هي أقدم وسائل الاتصال ، وهي بعد القصيدة أقدم الفنون الأدبية أيضا · وكانت الخطابة عند « أرسطو » تعبيراً عن الاعـلام ، كما نطلق لفظ الصحافة على مختلف وسائل الاتصال الجماهيري ، فقد عرف الفيلسوف القديم دراسة البلاغة بأنها البحث عن جميع وســـائل الاقناع المتوفرة · وقسم دراستها الى الشخص المتحدث ثم الحديث ثم المستمع ، وكأنما أراد أن يقترب من السؤال المشهور الذى نمسك بمفاتيحه عند حديثنا عن وسائل الاتصال فى قولنا : من يقول ماذا ولمن وبأى وسيلة وبأى تأثير ؟· وقد عرفها العرب منذ الجاهلية وكان لها عندهم شأن عظيم ولعـل أسـواق العرب أكبر دليل على ذلك · وهى وسيلة اتصال ترتبط بالجماهير ارتباطاً مباشراً · وتزدهر فى المواقف والظروف التى تثير مشاعر الجمـاهير وتلهب عواطفهم · ولا شك أنها من أبرز وسائل الاتصال ارتباطاً بالثورات السياسية والاجتماعية والثقافية · وموضوع الخطابة ــ كما يقول ابن خلدون ــ هـو الأقوال المقنعة النافعة فى استمالة الجمهور الى رأى أو صدهم عنـه · هذا الى جانب الخطابة الدينية التى تزدهر عندما يتوفر لخطبائها قـــدر من الذكاء الاجتماعى والثقافة العامة فتربط قواعد الدين بحيـــاة النـــاس اليوميـــة وشئون معيشتهم ·

ويرى النقاد أنه ينبغى أن تكون مادة الخطبة واضحة المعانى ، سليمة الأفكار يسهل فهمها على عامة الجمهور حتى يتفاعل معها · وينبغى أن تكون عباراتها قصيرة الفواصل ، قوية التأثير · كما يؤكد النقـاد على شخصية الخطيب وأثرها فى نجاح الخطبة ، فالخطيب الحاضر البديهة ، السليم النطق ، القوى الشخصية ، يعتمد على قـوة شخصية أكثـر من اعتمـاده على قـوة كلماته وعباراته ·

ولا شك أن المناظرة والندوة والمؤتمر والملتقى صور من صور الخطب ، والأصل فى الندوات(٢٠) أو (المـآدب الفكرية) أنها اجتماعات صغيرة أو كبيرة

---

(٢٠) د / عبـد اللطيف حمـزة ـ الاعـــلام له تاريخه ومذاهبـه ـ دار الفكـــر العـــربى ١٩٦٥ ص ١٨ ·

أقيمت لمناقشة موضوعات هامة وخطيرة ، وقد يكون من الخير للندوة أن يكون عدد الحاضرين فيها قليلا أو محدوداً ٠ فان ذلك يتيح الفرصة للمناسبة العميقة المفيـــدة ، أما اذا كان عدد الحاضرين كبيراً فان ذلك يكون أدعى لتشويش الأفكار ، وارهاق الأعصاب ٠

وترتبط الخطبة فى تاريخها القديم والحديث بالديمقراطية ، لقد كانت مقارنة الحجة بالحجة فى أسواق العرب فى الجاهلية والاسلام وكانت الخطابة عند اليونان الرومان تعبيراً عن الديمقراطية والحرية ، ولا شك أن الأشـكال الجديدة المنبثقة عن تطور الخطابة كالمناظرة والندوة والمؤتمر تدفع رجـــل الاعلام الى تأمل جانب الديمقراطية بينها جميعـاً ٠ ان الحـوار بين اثنين بمفردهما أو بحضور عدد محدود يختلف عن الحوار بينهما فى مؤتمر أو ندوة ، فكلما كان الحوار فى محيط ضيق تميز بمحاولة البحث عن الحقيقة وبقـلة النفاق الاجتماعى ، وكلما اتسع جمهور الحوار برزت محاولة الكسب بغض النظر عن الحقيقة ، وبرز النفاق الاجتماعى فى صورة عدم التنازل عن الرأى ٠ وذلك أمر طبيعى لأن هم المتحاورين لا ينصب على أقرانهم فى الحوار وانمـا يصبح جمهور المستمعين هو هدف كل متحاور ، لأن هذا الجمهور الصامت هو الذى يستمع ويقارن ويقرر ويتخذ موقفاً بالتأييد أو الرفض ٠

النشـــــرة :

قد ينظر القارىء بشىء من عدم الاكتراث الى النشرة كوسيلة اعلام ٠ ولكننا كاعلاميين ينبغى أن تكون لنا نظرة مختلفة ٠ ان النشرة لأعضـــاء الحزب والنشرة للسياح وللمتخصصين وسيلة اعلام مناسبة تتفوق فى تأدية أهدافها على وسائل اعلام الكترونية ضخمة ٠ وللنشرة أهمية أخرى أكبـر خطراً وأكثر فائدة عندما تصبح كالكلام البليغ السهل الممتنع ٠ فمثلا تصبح الدراجة فى بعض الأحيان أهم فى الانتقال من السيارة عندما تضيق الطرقات الى الحد الذى لا يسمح للسيارة بالمرور ٠ وبرغم أن ذلك لا يحدث الا نادراً الا أنه ممكن الحدوث مرة ثانية اذا لم نجـــد للسيارة البتـــرول الـــذى يدير محركهـــا ٠

وفى الخمسينات ، قامت القوات الجوية الأمريكية بتمويل(٢١) دراسات فى هذا المجال لتقدر بدقة قيمة المنشورات الملقاة من الطائرات ، كوسيلة دعاية أو كوسيلة اعطاء معلومات حيوية فى حالة تعطل خطير لطـرق الاتصـــال الطبيعية ، مثلا بعد انفجار قنبلة ذرية • وبعض نتائج هذا البحث لم تأت بجديد ، مثل النتيجة القائلة بأن الأشخاص الغرباء عن بعضهم البعض نادراً ما يوصلون لبعضهم موضوعات المنشورات ، بينما جاءت بعض النتائج الأخرى أكثر فائدة وايجابية ، مثلا حقيقة أن الأطفال يلعبون دوراً ذا أهمية لم يكن يقدره أحد بنشر المنشورات التى يحبون جمعها ، وكذلك الرسائل المكتوبة ، ويتوجهون عادة للكبار المعروفين لديهم أكثر من الجيران أو الغرباء •

ان المقارنة بين وسيلة أعلام وأخرى يشبه الى حد كبير اختيار المعلن وسيلة أو أكثر لنشر اعلانه ، ولا شك فى أنه يعتبر اختيار وسيلة نشر الاعلان المناسبة من أهم عناصر نجاحه •

والاعلامى الناجح يقاس نجاحه بمدى قدرته على الوصول بالرســالة الاعلامية الى جمهوره • وبقدر اختياره للوسيلة المناسبة بقدر نجاحه •• وهناك عدة مقاييس يضعها رجل الاعلام فى اعتباره عنــد المقـــارنة بين وسيلة وأخرى •

أولا ـ شخصية الوسيلة :

وتتكون شخصية الوسيلة من :

المساحة الجغرافية : التى تصل اليها هذه الوسيلة • فقد يرغب رجل الاعلام فى الوصول الى حى معين من أحياء المدينة ، وقد يرغب فى الوصول الى سكان مدينة بأكملها ، أو يرغب فى الوصول برسالته الاعلامية الى ســكان الجمهورية كلها أو سكان الوطن العربى أو حوض البحر المتوسط وهكذا • ومن هذه الزاوية نجد أن رجل الاعلام أحياناً يريد الوصول برسالته الاعلامية الى دائرة قطرها عدة أمتار ، وأحياناً الى دائرة قطرها آلاف الكيلومترات •

A. H. W. Beck, Les Telecommunications. Hechette Paris - 1967, P. 10 - 11.

كما تتكون شخصية وسيلة الاعلام أيضا من **قدرتها على الوصول** الى مجموعات خاصة تربطهم رابطة واحدة مثل رابطة المهنة · مثال ذلك مجلة طبية ، فلا شك أن قراءها معظمهم من الأطباء · ووجود وسيلة اعلام تصل الى مجموعة معينة يحتاج رجل الاعلام الوصول اليها يحقق هـدفين فى وقت واحد الأول ضمان وصول الرسالة الاعلامية للاشخاص الذين يريدهم والثانى توفير النفقات والوقت والجهـد ·

وتتكون شخصية وسيلة الاعلام أيضا من **خصائصها الحسية** هل هى وسيلة ناطقة أو وسيلة مكتوبة أو وسيلة مرئية · حتى يستطيع رجـل الاعلام أن يفاضل وأن يقارن بين مختلف الوسائل التى تنقل رسالته بالطريقة السمعية أو الطريقة المكتوبة أو بطريقة السمع والبصر · كما يمكنه أن يفاضل بين استخدام الحركة أو الألوان · ويفاضل أيضاً بين أنواع الورق وطريقة الطبـــاعة · · ·

النقطة الرابعة التى تتكون منها شخصية وسيلة الاعلام هى **فترة اهتمام الجمهور بهذه الوسيلة** والمقصود بفترة اهتمام الجمهور هو الوقت الذى تعيشه وسيلة الاعلام أى المدة التى يحتفظ بها ، فحياة الجريدة مثلا هو يوم صدورها وحياة المجلة الأسبوعية هى الفترة ما بين يوم صدورها ويوم صدور العـدد التالى ، وحياة البرنامج الاذاعى أو التليفزيونى هو وقت اذاعته · ولا شك أن فترة اهتمام الجمهور بالوسيلة تختلف عن الأثر الذى تتركه الوســيلة اختلافاً بينا · فقد تقرأ كتاباً وتغير مجرى حياتك أو تشاهد مسرحية تعيش فى مخيلتك أعواماً طويلة ·

ثانيـاً ـ الجو الذى تخلقه وسيلة الاعلام :

والمقصود به الأثر الذهنى والنفسى الذى تخلقه الوسيلة لدى القارىء أو المستمع أو المشاهد وهـــذا الأثر النفسى يؤثر فى نجاح فـــكرة الرسالة الاعلامية أو فشلها · ونضرب مثلا لتوضيح الجو الذى تخلقه وسيلة الاعلام بالمجلات النسائية التى تبرز مادتها التحريرية الطرق الحديثة فى تربيـــة الأطفال وتغذيتهم ، فى هذه الحالة يكون ذهن القارئة مهيئا لتلقى الموضوعات والنصائح والاعلانات الخاصة بألبان الأطفال أو ألعاب الأطفال ، وكذلك فى الحديث عن الجو الذى تخلقه وسيلة الاعـلام ينبغى مراعاة الحالة النفسية

التى يكون عليها المتلقى أثناء وصول الرسالة الاعلامية اليه أى اذا كان ذلك يتم فى جو من المرح والسرور والهدوء ، أو يقــرأ ويسمع فى جو من الوقار أو التفكير الجدى أو الاضطراب النفسى ٠

ثالثـاً ـ عدد الأشخاص الذين تصل اليهم الوسيلة :

العنصر الثالث الذى ينبغى وضـــعه فى الاعتبار عنـد اختيار وسيلة الاعلام هو عدد الأشخاص الذين تصـــل اليهم وسيلة الاعلام وذلك توفيرا للوقت والنفقات ٠ والمقصود بالأشخاص الملائمين هؤلاء الذين ينتظر منهم قراءة أو استماع أو مشاهدة الوسيلة ، فصدور جريدة يومية فى اقليم نسبة الأمية فيه ٩٠٪ أو اذاعة مواد البرنامج الثانى فى برامج ريفية يبين أن عدد الأشخاص الذين تصل اليهم الوسيلة قليل جدا ٠

رابعـاً ـ اقتصاديات الوسيلة :

ونقصد به كم تكاليفها ؟ وكيف يمكن تدبير ميزانيتها ؟ وهل تتناسب مصروفاتها مع مواردها ؟ ومع الدور الاعـلامى الذى تؤديه ؟ ان ميزانيـــة محافظة من المحافظات مثلا لا تستطيع أن تتحمل اصدار صحيفة اقليميـة قوية ، ولكن اشتراك عدد من المحافظات التى تشكل اقليما واحدا يغطى مثل هـــذا الموضوع ٠

* * *

وانى أؤيد ما اتفق عليه عدد كبير من أساتذة الاتصال بأن التعـــرض لوسائل الاعـــلام فى غالب الأمر تعرض انتقائى ٠ وذلك لأن هناك عـــلاقة ايجابية بين آراء الناس وما يختارون قراءته أو سماعه أو مشاهدته ٠٠ ومن ثم فان معظم الناس يعرضون أنفسهم غالبية الوقت لوسائل الاتصال التى تتلاءم مع اتجاهاتهم وما يقرونه ويميلون اليه ٠

ويعمق أساتذة الاتصال هذه الفكرة(٢٢) بتقسيمها الى أربعة عناصر : أولا : التعرض الانتقائى وهو ميل الأفراد الى تعريض أنفسهم اختيـاريا

---

(٢٢) د٠ شاهيناز محمد طلعت ـ دور وسائل الاعـــلام فى التنميـة الاجتماعية فى مصر ٠ دراسة تطبيقية على احدى القرى المصرية ، رسالة دكتوراه ٠ كلية الاعلام جامعة القاهرة ٠

لرسالة عن طريق وسائل الاعلام التى يهتمون بها والتى تلائم اتجاهاتهم وآرائهم · وأنهم يتجنبون شعوريا أولا شعوريا رسائل وسائل الاعلام التى لا تتلاءم مع اتجاهاتهم وميولهم · ثانيا : الادراك الانتقائى : هو ميـــل الأفراد الى تحـــريف معنى رسالة من رسائل وسائل الاعـلام أو تشويهها اختياريا حتى تصبح أكثر ملاءمة لاتجاهاتهم الراهنة أو لخبراتهم · ثالثا : التذكر الانتقائى : وهو ميل الأفراد الى أن ينسوا بسرعة أكثر تلك الرسائل الاعلامية التى لا تتفق واتجاهاتهم وميولهم ويتذكرون الرسائل التى توافق اعتقاداتهم واتجاهاتهم وميولهم · رابعا : القرار الانتقائى : وهو ميل الأفراد الى تجنب تأثرهـم برســـائل وســـائل الاعـــلام التى لا تتـــلاءم مع اتجاهاتهم وميولهم ·

وفى ختام الحديث عن الاعلام المقارن وعن شخصية الوسيلة نجـد أن باب البحث فى هذا المجال يحتاج الى العديد من البحوث النظرية والميدانية ، ويكفى أن نشـــير الى شخصية راديو السيارة كرفيق فى الطـريق ، ومدى الاختلاف من هذه الزاوية ، عن شخصية الصحيفة اليومية التى تخصص صفحتين من صفحاتها لاعلانات الوفيات · ان التشابه الظاهرى بين وسائل الاعلام لا يخفى عن الباحث أو حتى عن المتتبع المدقق مدى الاختلافات التى تميز كل وسيلة وتضفى عليها شخصيتها الخاصة ·

الفصل الثالث

نظـــريات التنمية

لم تنفت فكرة التطور ولتقدم والحضارة ورقى الدول وهبوطها فلاسفة ومفكرو القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وما قبلهما ٠ لقد عالجها الاقتصاديون من أمثال « هربرت سبنسر » الذى رأى أن المجتمع ينمو نموا عضويا ، وأن هذا النمو العضوى يزيد التعقيد من جانب ويبرز ضرورة الاعتماد المتزايد والمتبادل بين الأجزاء المختلفة من جانب آخر ٠ كما عالجها علماء اجتماع من أمثال « أوجست كونت » الذى رأى أن على المجتمع أن يوجد الخصائص التى تحكم التطور والتقدم ٠ وكل هذه المعانى وما شابهها هى تعبير عن محاولة النظر فى التنمية وان كانت الكلمة بعينها لم تكن مستخدمة فى هذا الصدد ٠

ومن البديهى أن ندرك أن الفكر « الماركسى » هو نظرية فى التنمية ، وأنه فكر أوروبى ثار على الفكر السائد قبله ونقده من أساسه٠ومن البديهى أيضا أن نربط بين نظرية العالم العربى ابن خلدون فى رقى الدول وانحطاطها وبين التنمية تلك النظرية التى سبقت والتى تأثر بها كثير من علماء الاقتصاد والاجتماع الأوربيين وهم يعالجون فلسفة التنمية فى القرن العشرين ، وكرروا ما سبق لابن خلدون أن قاله فى القرن الرابع عشر ٠

لقد تحدث « ابن خلدون » فى القرن الرابع عشر الميلادى عن واقعات العمران البشرى وأحوال الاجتماع الانسانى الذى هو عمران العالم ومايعرض لطبيعة ذلك العمران من التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ماينتحله البشر بأعمالهم ومعاشهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائل ما يحدث فى ذلك العمران بطبيعته من الأحوال ٠

وتعد نظرية «أرنولد توينبى» فى تفسيره تطور المجتمعات الانسانية، شاهدا فى القرن العشرين على أن التنمية وان لم تذكر بالاسم هى العنصر الأساسى فى تفسير التطور الانسانى أو هى بمعناها الشامل جوهر التطور الاجتماعى الانسانى ٠ وتسمى نظرية « توينبى » نظرية « التحدى

والاستجابة » ومعناها أن تطور المجتمعات الانسانية وانتقالها الى أوضاع حضارية أكثر ارتقاء انما يعتمد على القوة المحركة التى تخلقها الظروف الصعبة · وليست نظرية « توينبى » الا تفسيرا فلسفيا لمؤرخ يفسر حقائق التاريخ ويحللها · ولم يقصد بها أن تكون نظرية من نظريات التنمية ، ولكنها بشكل ما تؤكد أن مفهوم التنمية بمعناه الشامل لم يفت المفكرين من « ابن خلدون » فى القرن الرابع عشر الى « توينبى » فى القرن العشرين ·

نظريات التنمية أو فلسفات التنمية اذن ليست وليدة هذا القرن ولكنها برزت فى هذا القرن كرد فعل للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى يعيشها العالم ·

وستواجهنا عند الحديث عن نظريات التنمية نفس المشاكل التى واجهتنا عند الحديث عن مفهوم الدول النامية · لقد قررنا أن تسمية الدول النامية لا تنفى صفة التنمية المزدهرة عن الدول المتقدمة ، وقررنا أن معرفة التخلف تبين لنا مفهوم التنمية الى حد كبير لأن التسمية الأكثر واقعية للدول النامية هى الدول المتخلفة· ولكننا الآن وقد أمسكنا بأطراف التنمية واتضح لنا مفهوم النمو والتخلف أكثر مما كان فى البداية ستكون المعالجة أكثر صلابة فى بنائها المنطقى وأكثر وضوحا فى نصوصها ومعانيها ·

ان ما نقصده بنظريات التنمية هى النظريات التى تعالج التنمية فى الدول المتخلفة ، ولكن ذلك لا يكتمل بغير أن ندرك نظريات التخلف ، أو أسباب التخلف ، وبغير أن نعرف النظريات التى تعالج التنمية فى الدول المتقدمة والتى نسميها نظريات النمو الاقتصادى تمييزا لها وبعدا بها عن قضايا التخلف ، ولأنها تنتقل من نمو الى نمو أكثر وأعظم · وسنجد فى نظريات التنمية هذه الأمور متشابكة بمعنى أن النظرية التى تفسر لنا أسباب التخلف تقدم لنا منطقيا طريق القضاء عليه بازالة أسبابه · وبمعنى أن تنمية الدول المتقدمة ترتبط بظروف الدول المتخلفة ارتباطا وثيقا·وسنجد فى نظريات التنمية المثلث الذى حددنا به مفهوم التنمية الشاملة بأضلاعه الثلاثة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ·

ففى المجال الاجتماعى يقسم دكتور سعد الدين ابراهيم(١) النظريات

الاجتماعية فى التنمية الى ثلاث مجموعات طبقا لنوع المتغيرات التى تستند اليها كل مجموعة طبقا لمصدر ومسار التغيير الاجتماعى المنشود فى اتجـاه التنمية وهى :

١ ـ اتجاه الأنماط المثالية للمؤشرات Ideal type of Index models

ويقوم هـــذا النوع من التنظيم على استخلاص علمـــاء الاجتماع الغربيين السمات الأساسية لمجتمعاتهم المتقدمة ومقابلتها بنقيضها المتخلف٠وتصبح أيديولوجية التنمية عندهم محكومة بتلك الخطط والجهود والمشاريع التى تنطوى تحت عمليــــة تحويل مؤشرات أى مجتمع من نمط متخلف الى نمط متقــــــدم ٠

٢ ـ اتجاه الانتشار الثقافى الحضارى

The Acculturation - Diffusion Model.

ويذهب هذا الاتجاه الى أن التنمية باعتبارها شكلا من أشكال التغير الاجتماعى ٠ تتم بواسطة الانتشار الثقافى أو الحضارى ، وبمرور الوقت واستمرار عملية الانتشار تتحول المجتمعات المتخلفة الى مجتمعات متقدمة بحلول القيم والعلاقات الحديثة محل القيم والعلاقات التقليدية ٠

٣ ـ اتجاه تغيير الأفراد نفســيا ٠

Individual Peyschological change model.

ويركز هذا الاتجاه على أن عملية التنمية رهن بتغيير أفراد المجتمـع قيمـا وحوافز وسلوكا ٠ فالمجتمعات التى حققت تنميــة المـاضى أو التى تحققها فى الحاضر ـ وفق أصحاب هـــذا الاتجاه ـ وجـد بها عدد كبير من الأفراد الذين يتصفون بالطموح والابتكار والرغبة العارمة فى هذا الاتجاه والقـــدرة على التقمص الوجدانى ٠ وهؤلاء الأفـراد هم الذين يحملون على أكتافهم مهمة نقـــل مجتمعهم من اطاراته التقليدية المتخلفة المحدودة الى

---

(١) د٠ سعـد الدين ابراهيم ـ نحو نظرية سوسيولوجية للتنمية فى العـالم الثالث ـ بحث مقدم الى المؤتمر العلمى السنوى الثانى للاقتصاديين المصريين ـ القاهرة فيما بين ٢٤ الى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٧ ٠ الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء التشريعى ٠

اطارات حديثة متقـــدمة • فاذا كان المجتمع لا يضم هـذا النوع من الأفراد بأعداد كافية فعليه أن يزيد من أعدادهم بوسائل مختلفة •

ويرى الدكتور سـعد الدين أن أهم أوجه القصور فى هـــذه النظريات « إنها لا تفسر تخلف العالم الثالث كنتيجة حتمية للنظام الامبريالى الحديث الذى ســـاد العالم وما زال بأشكال ودرجات مختلفة • وأن تقـدم البعض وتخلف البعض الآخر أصبح منذ القرن الثامن عشر مسألة تفاضل وتكامل ، أو بتعبير آخر أن التقدم والتخلف هما وجهان لنفس العملة » •

ويعلل هذا القصور المنهجى فى نظريات التنميــة الغربية الى التمركز الحضارى الغربى نحو الذات والى غيـــاب النظرة التكاملية الشاملة والى تجاهل الأعمال الأصيلة لمفكرى العالم الثالث • وينقد الفروض القاعـدية لنظريات التنمية الغربية التى تزعم أن الدول المتخلفة ستحقق التقدم بمجرد انتهائها من ازاحة المعوقات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية الموروثة من أبنية المجتمع التقليدى ، والتى تزعم أنه بازاحة المعوقات فان التنمية تصبح مسألة أكيدة لا تحتاج الى أكثر من تعبئة وتنسيق وهنـدسة الموارد المـادية والبشرية فى المجتمع • أن النقد الأساسى لمثل هذه الفروض هو النظرة الجزئية وعدم رؤية الجزء فى اطار الكل • وبسبب الاسراف السطحى فى التخصص بين ما يطلق عليـــه العلوم الاجتماعية أصبح عالم الاقتصـــاد يتحدثمن زاويته فقط وأصبح عالم الاجتماع يرى رؤيته وحسب ، وكذلك عالم النفس وعالم السياسة ولم تعـد بينهم لغـة مشتركة تفسر تـــرابط الظواهر الاجتماعية وتقدم لنا عملا متكاملا • ويزيد المشكلة حـدة أن التخلف ظاهرة معقدة متعددة الجوانب ومتشابكة وقد صدق أحـــد أساتذة الاقتصاد الغربيين(٢) حين وصف مشكلة المجتمعات النامية بقوله ليس فى تلك المجتمعات مشكلات اقتصادية أو مشكلات سياسية أو مشكلات اجتماعية وانما هناك مشكلات معقدة يحتوى كل منها على جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية • وما لم يفهم من يتصدى لهذه المشكلات كل هذه الجوانب فان فهمه لهـا يظل ناقصا وبالتالى تأتى حلوله ناقصة ومبتورة •

---

(٢) Gunner nyrdal

وفى المجال الاقتصادى يرى الدكتور عمرو محيى الدين أن مشكلة النمو الاقتصادى كانت محور الاهتمام فى الاقتصاد « الكلاسيكى » ويتجلى هـذا الاهتمام فى عنوان كتاب « آدم سميث » بحث فى طبيعة وأسباب ثروة الأمم سنة ١٨٧٦ · وقد وجه الاقتصاديون الكلاسيكيون اهتمامهم الى الكشف عن القوى التى لعبت دورا هاما فى التقدم الاقتصادى · واهتم هؤلاء الاقتصاديون اهتماما خاصا بالبحث فى ازالة كافة العوائق أمام عملية التراكم الرأسمالى مثـل قيود التجارة ونظام الطوائف وغـير ذلك ، ومن ثم نجـد أن دعوة الاقتصاديين الكلاسيكيين الى الحرية الاقتصادية لم تكن مجرد دعوة لعـدم تدخل الحكومة ، وانما كانت مطلبا للقضاء على ما كان يعتقد أنه عراقيـل معطلة لنمو المجتمع الرأسمالى الصناعى · ولكن النظام الرأسمالى الصناعى واجه العـديد من العقبات كمـا أوضح تطبيقه كثيرا من أوجـه الخلل والاضطراب · وكان على المدرسـة الاشتراكية بزعامة « كارل ماركس » أن تقدم التفسير العلمى لما يعوق حركة هذا النظام ولأوجه الخلل التى تعترض طريقه · فالنظام الرأسمالى لا يمكن فهمه الا بوصفه مرحلة معينة من مراحل تطور قوال الانتاج الاجتماعية · واذا كان صحيحا ما يدعيه الاقتصاديون الكلاسيكيون من أن عملية التراكم هى العامل الفعال فى النمو ، فان عمليـة التراكم التى تؤدى الى تطور قوى الانتاج لا تتم فى فراغ ، وانما تتم فى اطار معين من علاقات الانتاج · وقد أثبت نمو المجتمع الرأسمالى أنه بعد مرحلة معينة تصبح علاقات الانتاج عقبـة أمام تطور قوى الانتـاج حيث يصبح السبيل الوحيد أمام النمو هو تغيير علاقات الانتاج السائدة ·

كذلك فان التناقضات الكامنة فى طبيعة هذا النظام سوف تؤدى بـه الى مواجهة الأزمات الدورية التى تؤدى فى النهاية الى انهياره واحلال نظام جديد بديل عنه · فالزيادة المستمرة فى عملية التراكم تؤدى دائما وأبـدا الى زيادة الطاقة الانتاجية · غير أن هذه الزيادة المستمرة فى الطاقة الانتاجية لا يصاحبها زيادة مقابلة فى القوة الشرائية (نتيجة للفقر المزمن للقوى العاملة فى ظل النظام) تسمح باستيعاب هذه الزيادة ومن ثم تحدث أزمات دورية متلاحقة تؤدى الى انهيار هـذا النظـام ··

وكان رد الفعل لهذه التحليل لحركة النظام الرأسمالى الذى قدمه كارل ماركس ، هو ظهور محاولات متعددة للرد على انتقادات المدرسة الاشتراكية ·

ولقد تبلورت هذه المحاولات فى بناء فكرى جديد هو المدرسة الكلاسيكية الحديثة التي ولدت حول عام ١٨٧٠ · ولقـــد سادت هذه المدرسة فى الفكر الاقتصادى الغربى الحديث · وبفضل البناء النظرى لهذه المدرسة تحول مركز الاهتمام فى الفكر الاقتصادى ومجال البحث فى علم الاقتصاد الى مجال يختلف تمام الاختلاف عن مجال بحث المدرسة الكلاسيكية أو المدرسة الاشتراكية · فالقضية الأساسية لعلم الاقتصاد فى رأى هذه المدرسة ، ليست هى البحث فى قوانين حركة النظام الرأسمالى ولا فى أســباب وعقبات نموه وتطوره · فالنظام الرأسمالى يحمل فى طياته قوى كامنة تدفعه دائما الى النمو والتطور المستمرين ، وانمـــا القضية الأساسية للاقتصاديين هى البحث فى محاولة الوصول بهذا النظام الى أعلى كفاءة ممكنة · اكتمل البناء ولم تعد مشكلة النمو أو التقدم هى المشكلة الأساسية بل البحث فى اصلاح وتهذيب هـذا البناء هو هدفهم · وأصبحت القضية الأساسية ـ فى رأيهم ـ التى تواجـه الفكر الاقتصادى هى البحث عن أوجه الاصـــلاح اللازمة لرفع كفاءة هـــذا البنــــاء ·

وفى المجال الثقافى يلتقى الضلعان السابقان وهما الضلع الاقتصادى والضلع الاجتماعى · حيث يرى كثير من الباحثين أن المعرفة هى أهم العوامل الحاسمة فى التحول من التخلف الى التقدم · وأنه ينبغى أن ننظر الى روح التوثب فى المجتمع والى المستوى الثقافى العـــام فى المجتمع ليمكننا التنبؤ بنجاح التنمية الاقتصادية والاجتماعية ·

لا يمكننا اذن أن نفصل بين نظريات النمو ونظريات التخلف لأنهمـا وجهان لعملة واحدة · وسنعرض لأهم هذه النظريات فيما يلى :

اولا ـ نظرية التخلف بسبب البيئـة الجغرافية :

تقوم هذه النظرية على أساس تفسير التخلف بسبب البيئة الجغرافية والظروف الطبيعية السائدة والتى يصعب تغييرها · ويؤكد أنصار هـــذه النظرية تفسيرهم للتخلف بأن عـددا كبيرا من الدول النامية يقع فى المناطق المدارية والاستوائية فى أفريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ، بينما تقع معظم الدول المتقدمة فى المناطق المعتدلة ·

وتتلخص ملامح البيئـــة الجغرافية فى المناطق المدارية والاستوائية فيمـــا يـلى :

١ ــ ضعف الأراضى الاستوائية عند قطع الغابات وتحويلها للزراعة فتربتها الصالحة للزراعة تتمثـــل فى طبقة رقيقة تجرفها الأمطار الغزيـرة فلا تبقى الا تربة رملية منخفضة الخصوبة الى حـد كبير ٠

٢ ــ مساعدة مناخ المناطق المدارية على انتشار الأوبئة الزراعية كما أن الحر والرطوبة لهما تأثير بارز فى قلة نشاط السكان ٠

٣ ــ تعوق الأمطان الغزيرة التى تسقط فى مثل هذه المناطق الجغرافية المتخلفة استخدام الأسمدة والمواد الكيماوية لأنها تنجرف قبـــل أن تستفيد بهـــا التربة ٠

٤ ــ ينبت الكثير من الحشائش الضارة وسط المحاصيل مما يقلل من الانتاج ويستهلك جهدا كبيرا فى مقاومتها ويقلل من فرص استخدام الميكنة الزراعيـــة ٠

كما تبين الاحصائيات ان انتاج المحاصيل الزراعية فى أوروبا وأمريكا الشمالية كبلدان متقدمة يفوق بكثير انتاج أمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا الواقعة فى حزام التخلف ٠ كما نجد تربية المواشى كالبقر والأغنام فى المناطق المتخلفة نحيلة وهزيلة ممـــا يؤدى الى ضعف انتاجها من الألبان واللحوم والأصواف ٠ وذلك على الرغم من توفر المراعى فى معظم أنحاء المناطق المدارية، ويفسر البعض ذلك بسبب عدم ملاءمة حرارة الجو لهذا النشاط ولانخفاض القيمة الغذائية للمراعى ٠

كذلك فان ضعف الموارد الطبيعية التى تملكها غالبية الدول الناميـــة بالنسبة الى تلك التى تملكها الدول المتقدمة ٠ وتشمل الموارد الطبيعية الى جانب الأرض ما فى باطن الأرض من معادن وبترول والبحار والأنهار ومساقط المياه وغير ذلك ٠

ويروى الدكتور على لطفى(٣) أن الظروف الطبيعية والعوامل الجغرافية

---

(٣) د٠ على لطفى ــ التنميـة الاقتصـادية دراسـة تحليليـة ــ دار القـرآن للطباعـة والنشر ــ ١٩٧٥ ــ صفحة ٧٢ ٠

لا يمكن أن تكون وحدها سبب التخلف الاقتصادى وذلك لأسباب يراها على النحو الآتى :

١ ــ تقع بعض الدول النامية فى المناطق المعتدلة ومن ثم فهى لاتعانى من الظروف الطبيعية والعوامل الجغرافية السابق الاشارة اليها ٠ كما هو الحال متلا بالنسبة للصين ودول حوض البحر الأبيض المتوسط وبعض دول أمريكا الجنوبية ٠ فكيف يمكن اذن تفسير التخلف الاقتصادى فى هذه الدول؟

٢ ــ ان معظم المشاكل الزراعية الناتجة عن الظروف الطبيعية والعوامل الجغرافية السابق الاشارة اليها يمكن التغلب عليها بالأساليب التكنولوجية الحديثة ٠ وكذلك فان الأوبئة والأمراض المستوطنة يمكن القضاء عليها بالوسائل الصحية الحديثة دون تحمل تكاليف باهظة ٠

٣ ــ ان المناطق المدارية تحتكر انتاج بعض السلع الزراعية الهامة كالبن والشاى ، وهذا يعتبر عاملا مساعدا على تحقيق التنمية ٠

٤ ــ ان بعض الشعوب التى عاشت فى المناطق المدارية بنفس ظروفها الطبيعية وعواملها الجغرافية قد وصلت فى الماضى الى درجة مرتفعة من المدنية كقدماء المصريين والفرس والعرب والهند والصين ٠

٥ ــ ان بعض المناطق التى تعانى من العوامل المناخية والظروف الجوية غير الملائمة قد استطاعت على الرغم من ذلك ن تقضى على التخلف وتقطع شوطا كبيرا فى طريق التنمية ٠ ولعلنا نذكر فى هذا الصدد منطقة سيبيريا فى الاتحاد السوفييتى التى تتميز بمناخ شديد البرودة ولكنها استطاعت بفضل التقدم الفنى والتكنولوجى ان تصبح مأهولة بالسكان وذات انتاجية مرتفعة ٠

٦ ــ لا شك أن توافر الموارد الطبيعية بكثرة فى دولة ما قد يكون عاملا مساعدا على سرعة تحقيق التنمية الاقتصادية ، كما أن العكس صحيح بمعنى أن عدم توافرها فى دولة ما قد يعوق تنميتها ، ولكن لا يجب أن يفهم من ذلك أن عدم توافر الموارد الطبيعية بكثرة هو السبب الوحيد للتخلف الاقتصادى ٠ فمن المعروف أن كمية الموارد المتاحة للمجتمع لا تعتبر ثابتة بل قابلة للتغير تبعا للتقدم العلمى والفنى والتكنولوجى الذى يحرزه المجتمع ٠

ثانيا ـ نظرية التخلف بسبب البيئـة الاجتماعية :

وتقوم هذه النظرية على أساس أن النشاط الاقتصادى لايدور فى فراغ، وانما يدور فى مجال اجتماعى ، وهو نتيجة لتفاعل عدة عوامل مثـــل عناصر الانتاج والقدرات البشرية ومستوى التقدم العلمى وما شابه ذلك ٠ كما أن هذا النشاط الاقتصادى لابد وأن يعكس قيما معنوية وحضارية من عادات وتقاليد وثقافة ومثل وسلوك وما الى ذلك ، ومن الأمثلة التى يسوقها أنصار هذه النظرية ما يلى :

١ ـ عوائق العادات والتقاليد فى الادخار :

لقـد ذكرنا بأن تمويل التنمية فى البلدان الشبيهة بنا لابد أن تعتمد على تجميع المدخرات الوطنية فى المقام الأول ٠ ولكن ظاهرة اكتناز الذهب ، والاسراف فى تقديم « الشبكة » عند الزواج ، أو شراء الحلى كلما تجمع لدى الأسرة فائض من المـال ، تقف كلها عوائق أمام اثراء المدخرات الوطنية ٠ كذلك فان جانبا يتعلق بعادات الاستهلاك يحرم المدخرات الوطنية شريانا كان من الممكن أن يمدها بالدم والقوة ومثال ذلك الاسراف فى شراء « أكفان الموتى » حبا فى التظاهر برغم مخالفة ذلك لما فرض الشرع فى الدين الاسلامى٠ ولعل ما ينفق على حفلات الطهور والزواج والجنائز بدافع التظاهر والنفـاق الاجتماعى يؤكد ذلك ٠

٢ ـ عوائق العلاقات الأسرية المتزمتة :

لعل المثل الذى أورده « شرام » بأسرة « بوفانى » فى علاقة الأبنـــاء بوالدهم الذى يمثـــل شيخ القبيلة يؤكد لنا كيف تقف العلاقات الأسرية المتزمتة عائقا أمام التنمية وسدا أمام التقدم ٠

ان حياة الأفراد فى كثير من الدول النامية ، فى نطاق الأسرة الضيق(٤) يشبه العزلة عن المجتمع ، ذلك النطاق الذى يحول بينهم وبين التطلع الى آفاق بعيدة ٠ وهكذا ينعـدم لدى هؤلاء الافراد الشعور بالروح الجماعية ،

---

(٤) د٠ على لطفى ـ التنمية الاقتصـادية ـ دراســة تحليليـة ـ دار القـرآن للطباعـة والنشر ـ ١٩٦٥ ـ صفحة ٧٨ ٠

وتتولد لديهم نظرة أسرية ضيقة مما يكون مبعثا للانانية ، ولا شك أن مثل هذه الاتجاهات تترك بصماتها على النشاط الاقتصادى ٠ فعلى سبيل المثال قد يصل التكتل الأسرى الى درجة التعصب حيث يفضـل أصحاب المشروع الذين ينتمون الى أسرة واحدة عدم اشتراك أى شخص آخر فى هذا المشروع بأى صورة كانت سواء ذلك فى مجال المساهمة المـالية و التوظف طالمـا أنه لا ينتمى الى نفس الأسرة ٠

كذلك فان العادات والتقاليد السائدة فى كثير من الدول النامية مازالت حتى اليوم تحول دون اشتغال المرأة ٠ فالمرأة فى هذه الدول لا تزال عضوا عاطلا ، وبعيدة عن النشاط العام فيتنفس المجتمع برئة واحدة ويعمل بيـد واحدة ، فيتعطل الانتاج وتقل الدخول الأسرية لأن الرجل وحـده هو الذى يعمل، وعليه أن يقسم جهده مع من لا يعمل من الأسرة ٠ حقا ان الخـدمات المنزلية التى تؤديها المرأة ذات قيمة اقتصادية ٠ ولكنها قيمة محدودة الأثر٠

٣ ـ عوائق العـلاقات الطبقيـة :

لعل أبسط مظاهر الصراع بين الطبقات فى المجتمع يتمثل فى الاضرابات وما تسببه من معوقات فى الدول النامية التى تسير على الطريق الرأسمالى للتطور ٠ ويلاحظ أن أسواق الدول النامية غالبا ما تفتقر الى الاتساع والوحدة وتكون أقرب الى التجزء والتفتت ويرجع ذلك الى انقسام المجتمع الى طبقات٠ وانفصال الصلة تماما بين كل طبقة وأخرى مما يؤدى الى تباين أنمـاط الاستهلاك وطريقة المعيشة لكل طبقة ٠ وقد يرجع ذلك الى العوامل الثقافية بمعنى انقسام المجتمع الى فئات منفصلة تتلقن كل منها ألوانا مختلفة من الثقافات الوطنيـة والاجنبية ، ممـا يؤدى الى خلق أذواق استهلاكية متعارضة ٠ والأمر الذى لا شك فيه أن ظاهرة تفتت السوق تضع قيدا على قيام المشروعات الكبيرة والانتاج الضخم ممـا يؤدى الى ارتفاع تكاليف الانتـاج ٠

٤ ـ عوائـق التعصب الأعمى :

القول العربى القديم بأن كل أمر يزيدعن حده ينقلب الى ضده يصدق تماما على ظاهرة التعصب ، فان الاقتناع بأمر ما أو التحمس لقضية أو فكرة

أو مبــدأ ضرورة للنجاح ، ولكن التعصب سـمة من سمات التخلف أو هو وسيلة للدمار فى بعض الأحيان · ولعل الوطنية عندما تنقلب الى عنصرية كما رأينا فى النازية أشهر النماذج التى تصدق القول العربى القديم · وظاهـرة التعصب لا ترتبط باختلاف الأديان كما يتبادر الى الذهن لأول وهلة عنـدما يذكر التعصب ، وانما ترتبط بالتخلف والرجعية ارتباطا مباشرا ·

ان تعبير (بحرى البلد) و (قبلى البلد) فى بعض القرى فى مصر · وتعصب الأسر التى تسكن بحرى البلد فى مواجهة تعصب الأسر التى تسكن فى قبلى البلد ، أو تعصب بعض أبناء الأزهر الى (بحاروة) و (صعايدة) فى عهود مضت يؤكد أن التعصب يرتبط بالأنانية والأفق الضيق بغض النظر عن الأسباب التى تبـدو واهية ومضحكة فى كثير من الأحيان · ولا شك أن التوتر وعدم الثقة والمشاعر العدائية التى تصاحب التعصب تقف عائقا أمام حشد الجمهور للعمل وتفتت العديد من الطاقات وتفسد الكثير من المشروعات·

٥ ــ عوائق الشخصية القوميــة :

عنــدما تعرض الدكتور ملاك جرجس(٥) لسيكولوجية الشخصـية المصرية ومعوقات التنمية القى ضوءا باهرا للبلدان النامية بصفة عامة فهو يطرح فى الفصل الأول من كتابه سؤالا جوهريا هو : ما المقصود بالشخصية القوميــة ؟ ·

ويجيب بأنه القــيم الاجتماعية والاتجاهات الســلوكية والفـكرية والثقافية والحضارية السائدة فى المجتمع · وبطبيعة الحال من المستحيل أن يتفق أفراد أى مجتمع جميعا فى قيمهم واتجاهاتهم ، فكل فرد بلا شك فريد فى شخصيته ، ولكن هناك قيم واتجاهات تسود أغلبية الناس فى المجتمع الواحــد ، وبالتالى يتميز أى مجتمع عن مجمتع آخر بما فيــه من أنماط سلوكية · ولسنا بحاجة الى التأكيد بأن هذه الأنماط ليست ثابتــة ، فهى عرضة للتغيير فى اتجاهات مختلفة · كذلك فان المجتمع الواحد قد يتكون من

---

(٥) د· ملاك جـرجس ــ ســيكلوجية الشخصيــة المصرية ومعوقـات التنميــة ــ كتـاب روزاليوسف ــ ١٩٧٤ ·

بيئات حضارية مختلفة من حيث درجة التحضر فقد يجمع بين بيئة بدوية وبيئة ريفية وبيئة صناعية ٠

وتتميز كل بيئة من البيئات المختلفة فى المجتمع الواحد بقيم اجتماعية واتجاهات سلوكية وانمـــاط مختلفة ولكنها فى نفس الوقت تتفق فى بعض القيم والاتجاهات والأنماط التى تميز المجتمع ككل وتجعل له صفة اجتماعية خاصة أو أنماطا سلوكية وصفات نسميها بالشخصية القومية ٠

ما هى أهمية دراسة الشخصية القومية فى التنمية ؟ :

ان تفهم خصائصها ضرورة حتمية فى مجال التنمية ؟ فهناك مجتمعات تتصف بصفات حب العمل والتفانى فى أدائه ، كمـــا أن بعض المجتمعات تعانى من الجمود الاجتماعى ، أو تصلب الأوضاع الاجتماعية رغم محاولات التنمية الاقتصادية . بل ان التنمية الاقتصادية فى بعض المجتمعات لم تأت بالنتائج التى كانت منتظرة منهـــا بسبب تخلف الأوضـــاع الاجتماعية ، كالتصاقها بقيم اجتماعية واتجاهات لاتساعد على التطور الحضارى والتطور الصناعى ٠ بل تتنافر هذه المجتمعات المختلفة مع قيم وصفات وأفكار وأنماط وسلوك المجتمع الصناعى ٠ ومن هذه القيم والاتجاهات على سبيل المثال الميل الى مقاومة السلطة ، والانفرادية وعدم حب النظام ، والشعور بالعظمة، والحساسية الشديدة على الكرامة ، وسهولة الانفعال والعاطفية والتواكلية وتحقير العمل اليـدوى ، والتفاخر والتظاهر والمباهاة والاعتقاد فى الخرافات والعادات الضارة ، الى غير ذلك من القيم والاتجاهات والانفعالات السائدة فى المجتمعـــات المتخلفة والتى تميز شخصيتها القوميـــة وتصفها بالجمود الاجتمـــاعى ٠

ولكن ما الذى يحدث عندما تبدأ التنمية الاقتصادية فى مجتمع شديد التخلف اجتماعيا ؟ ٠

هنا يعرض لنا المؤلف مشكلة فقدان التوازن فى مثل هذه المجتمعات ٠ مبينـــا أن للتنمية الاقتصادية أضرارا اجتماعية فى المجتمعات التى تتسم بالجمود الاجتماعى ٠ فالأخذ ببعض أساليب المدنية المادية ومحاولة تحقيق التنمية الاقتصادية من غير حـــدوث تطوير مناسب للثقافة اللامادية يؤدى الى حدوث خلل اجتماعى ٠

ثالثا ـ نظرية التخلف بسبب الجنس أو العقيـدة :

تقوم هـــذه النظرية على تمجيد الرجل الأبيض ووصـــفه بالابداع والتفوق والذكاء ، وترى أن جميع سكان الدول المتقدمة فيما عدا اليابان من الجنس الأبيض . بينما سكان أغلب الدول النامية من الملونين ، ولكن هذه النظرية العرقية كاذبة من أساسها ، هى ترديد للجنس الأسمى الذى ذهب بالنازية والفاشية الى الهاوية ، ونغمة من شعب الله المختار الذى يقوم عليه الفكر الصهيونى . ويفند الاقتصاديون(٦) هذه النظرية على النحو التالى :

١ ـ ان سكان عدد كبير من الدول التى ما زالت حتى اليوم تعانى من التخلف الاقتصادى هم من الجنس الأبيض كمـــا هو الحال مثلا بالنسبة لـــدول الشرق الأوسط ودول حوض البحـــر الأبيض المتوسط وبعض دول أمريكا اللاتينية .

٢ ـ ان التاريخ قـد سجل لكثير من الدول المأهولة بالعناصر الملونة حضارات ومدنيات عريقة دامت العديد من القرون كما هو الحال مثلا بالنسبة لامبراطورية الصـــين وامبراطورية الهنـــد . فاذا كانت الأجناس الملونة بطبيعتها تتميز بالخمول والكسل وعـــدم القابلية للعمل ، فكيف يمكن اذن تفسير هذه الحضارات والمدنيات العريقة ؟ .

٣ ـ ان العلم الحديث ـ على الرغم من التقدم الهائل الذى حققـــه ولا سيما فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية ـ لم يقدم لنا دليلا واحدا يثبت وجود اختلاف طبيعى بين الأجناس من حيث مستوى الذكاء أو النشاط أو القابلية للعمل .

٤ ـ ان كثيرا من طـلاب الدول النامية الذين يقال أنهم ينتمون الى الأجناس الملونة يحققون نجاحا باهرا بـــل وتفوقا على زملائهم من الدول المتقدمة الذين يقال أنهم ينتمون الى الجنس الأبيض ، وذلك يتضح بجـلاء من متابعة النتائج التى يحققها طلاب الدول النامية الذين يتم ايفادهم فى

---

(٦) د. على لطفى ـ التنمية الاقتصـادية دراســة تحليلية ـ دار القـرآن للطبـاعة والنشر ـ ١٧٥ ـ صفحة ٩٢ .

بعثات علمية الى الدول المتقدمة ان هـذا يثبت أنه أذا ما وجدت اختلافات فى النشاط بـين سكان الدول المتقدمة · وسكان الدول النامية فانها ترجع فى الواقع الى اختلاف الامكانيات ·

٥ ـ ان اليابان تقـدم لنا دليلا قاطعا على عـدم صحة الرأى القائل بتفوق الجنس الأبيض فاليابان التى لا ينتمى سكانها الى الجنس الأبيض قد استطاعت أن تحقق فى سنوات ما بعـد الحرب العالمية الثانية معجـزة اقتصادية · وأصبح الاقتصاد اليابانى ينافس الاقتصاد الأمريكى كماأصبح الين اليابانى أقوى من الدولار الأمريكى ·

وما يرويه بطـل الملاكمة محمد على كلاى الأمريكى الجنسية المسلم الديانة الأسود البشرة يجسد لنا جنون الرجل الأبيض فى النظرة العرقيـة للتقـدم يقول كلاى فى مذكراته التى نشرتها جريدة الجمهورية القاهرية من يناير ١٩٧٦ :

« وكثيرا ما تعجبت فيما بعـد للقصص الخيالية المثيرة التى يكتبها بعض النقاد الأفاضل عن طفولتى ·· وكيف أننى نشأت فى أسرة متوسطة الحال ·· ثم كيف أنى أنحدر من صلب قائد أمريكى بارز من أنصار ابراهام لينكولن كان اسمه هنرى كلاى ·· يعنى باختصار أنه اذا كان لدى أى نوع من التفوق فلأن هناك دما أبيض يجـرى فى عروقى · ولكن الحقيقة تختلف تماما ·· لقـد نشأت فى أسرة فقيرة شبه معـدمة ، أبى كان يعمل نقاشـا متواضعا ·· كان فنانا كبيرا ـ ولكنه كان أسود ولذلك لم يتح له أبـدا أن يتقاضى حقه كاملا ·· أمى عملت فترة خادمة فى بيوت بعض الأثرياء قبـل أن تتزوج أبى ·· وكنـا نشترى ملابسنا فى العـادة من محلات الملابس المسـتعملة ·

أما عن الدم الأبيض الذى يجرى فى عروقى فان هذه أكذوبة أخرى ·· فانا أنحـدر من سلالة من العبيد ، وكان العبيد فيمـا مضى يحملون اسم صاحبهم ·· واذن فقد كان أجدادى عبيدا عند سيد أبيض محترم اسمه كلاى وعنه حملوا اسمه ·

واذا كان هناك أى دم أبيض جرى فى عروقى أحـدهم فانه سيكون

نتيجة عملية اغتصاب دنيئـــة ليس فيها أى قدر من الشرف ، ولا يمكن أن يكون الدم الناتج عنها أشرف من سائر الدماء ، أنا أسود وابن أسود وأمى سوداء ، والدماء الوحيدة التى تجرى فى عروقنا جاءت من مكان ما فى أفريقيا. حيث كان جـــدنا الأول يعيش هناك انسانا حـرا قبل أن يختطفه الشرفاء البيض ويبيعوه للنخاسين .

واستكمالا لهذه النظرية العرقية يربط أصحاب نظرية التخلف بسبب الجنس عنصر الدين كعـامل من عـوامل التخلف . وهم لا يذهبـون مذهب المـاركسيين اللينينيين فى أن الدين (بمعنى كل الأديان) معوق للتقدم . وانما ينصرف قولهم على الاســلام وعلى أديان آسـيا كالبـوذية والهندوكيـة ويعتبرونها ضمن أسباب التخلف .

ولا شك أن قولهم عن الاسلام قد كشف التعصب كله فالاسلام هو الدين الذى عالج قضايا الدنيا الى جانب قضايا الآخرة وهو الذى حـدد العلاقات الاقتصادية بالتفصيل ووضع للعمل قيمة مادية وروحية فى نفس الوقت .

رابعا ـ نظرية التخلف بسبب الظروف الاستعمارية :

سنتناول هذه النظرية بالتفصيل عندما نتحدث عن البعد التاريخى للتنمية وهى بلا شك أقوى النظريات التى تفسر سبب التخلف .

وما دامت عناصر الحياة مترابطة لا بد اذن من أن ندرك أن الاستعمار قد عمد الى خلق ظروف اجتماعية متخلفة فى البلدان التى استعمرها . وأنه لم يطور البيئة الجغرافية فى المستعمرات الا بالقدر الذى يخدم مصالحه المباشرة فقط وأنه حاول أن يرسخ فى الأذهان فكرة تفوقه كرجل أبيض .

ان النظريات التى تفسر التخلف ليست متعارضة ولا متنافرة ونظرية الظروف الاستعمارية هى قطب الرحى والمحور الذى تدور حوله هذه النظريات بنسب متفـاوتة .

خامسا ـ نظـرية الدفعـــة القـــوية :

يرى « بول روز نشتين رودان » . صاحب هذه النظرية أن القضاء على التخلف لا يمكن تحقيقه الا بدفعة قوية أو سلسلة من الدفعات القوية ، ويؤكد

أن الدفعات الصغيرة حتى وان كثرت وتوالت لا يمكنها أن تؤدى الى نتيجة الدفعة القوية أو سلسلة الدفعات القوية ٠

ويشبه أنصار هذه النظرية قضية التنمية فى الدول النامية باقلاع الطائرة ٠ فلكى تقلع الطائرة وتصبح محمولة على الهواء لا بد أن تتجاوز حداً أدنى من السرعة الأرضية ٠ ومن الواضح أن عوامل المقاومة التى تتصل بظروف التخلف تشبه الجاذبية الأرضية ، فلا بد من جهد مكثف فى صورة دفعة قوية حتى يستطيع الاقتصاد المتخلف ويستطيع المجتمع النامى بصفة عامة أن ينطلق فى طريق التنمية ٠

ويفسر صاحب هذه النظرية حتمية وضرورة الدفعة القوية بسببين رئيسيين أولهما ٠ يرتبط بالوفورات التى يدرها استثمار الدفعة القوية على الاقتصاد القومى فى مجموعه وعدم قابلية ذلك للتجزئة ، فان مشروعات القوى المحركة والرى والنقل لا بد من اقامتها بدفعة قوية لأن اقامتها على آجال متباعدة يحول دون امكان الاستفادة منها ويعد تبديداً لجهود الاستثمار ٠ والسبب الثانى هو : عدم قابلية الطلب للتجزئة ، فالظاهرة الجديرة بالاهتمام هى ضيق حجم السوق فى البلدان النامية بسبب ضعف القوة الشرائية نتيجة لانخفاض دخل الغالبية العظمى من الجماهير ٠ ونظرا لذلك فان اقامة صناعة واحدة أو وحدة انتاجية كبيرة واحدة مهددة بالفشل وبخاصة أن عقبات التصدير الى البلدان النامية كثيرة ويحتاج تجاوزها الى المزيد من الوقت والجهود ٠

سادسا ـ نظرية النمو المتوازن :

يرى « واجنار نوركس » صاحب هذه النظرية أن التنمية يجب أن تهدف الى تحقيق التوازن بين الزراعة والصناعة لأنه ما لم ينطلق القطاعان جنباً الى جنب فان تخلف أحدهما لا بد وأن يعوق نمو الآخر ٠

ويرى بعض الاقتصاديين أن نظرية النمو المتوازن هى امتداد لنظرية الدفعة القوية ، ويذهب الدكتور على لطفى(٧) الى اعتبارهما نظرية واحدة ٠

---

(٧) د٠ على لطفى ـ التنمية الاقتصادية دراسة تحليلية ـ دار القرآن للطباعة والنشر ١٩٧٥ ـ صفحة ١٨٥ ٠

ويدعم نظرية النمو المتوازن بما قاله « روزنشتين » صاحب نظرية الدفعة القوية عن عدم قابلية السوق للتجزئة • اذ يقول روزنشتين اننا اذا عمدنا الى انشاء عدد كبير من المشروعات المتباينة فى آن واحد ففى هذه الحالة سوف نجد أن كل مشروع سوف يخلق سوقاً لتصريف منتجات المشروعات الأخـرى ، وبهذه الطريقة تساند المشروعات بعضها بعضاً ، وتقل مخاطر ضيق حجم السوق ويزيد الحافز على الاستثمار •

سابعا ـ نظـرية النمو غـير المتوازن :

تذهب نظرية النمو غير المتوازن التى تعزى الى «فرنسوبيرو» ثم طورها « البرت هيرشمان » الى ضرورة أن تبـدأ التنمية بالصناعات أو القطاعات الرائدة فى الاقتصاد القومى والتى تسمى بالقطاعات القائدة أو أقطاب النمو ثم تنتشر التنمية بعد ذلك تلقائياً الى قطاعات أخرى وصناعات أخرى •

وتفسر هذه النظرية فكرة النمو غير المتوازن بأن النمو فى بعض القطاعات يحرص ويستدرج النمو فى قطاعات أخرى ، وبذلك تصبح التنمية متمثلة فى خطوات متتابعة بعيداً عن التوازن ، وأن كل خطوة انما هى نتيجة لاختلال سابق فى التوازن ، وتؤدى الى اختلال جديد فى التوازن ، وهذا بدوره يحض الاقتصاد القومى على خطوة أخرى تتلوها خطوة ثانية ورابعـة وهـكذا • وخلاصة الفكرة أن حلقات هذه السلسلة من النمو غير المتوازن هى ذاتها جوهر عملية التنمية وحركتها نحو التقـدم •

ثامنا ـ نظـرية قارب النجـــاة :

وضع أساس هذه النظرية الدكتور « جاريت هارون » أستاذ علم الأحياء بجامعة كاليفورنيا الأمريكية تحت شعار أخلاقيات قارب النجاة(٨) ، وهـو يذهب الى القول فى تفسيرنظريته بأن بلاد العالم الغنية تعيش الآن داخل قارب نجاة مزدحم ، أما بقية سكان الأرض فانهم يغرقون فى بحر من الجوع ، ولو سمح أصحاب قارب النجاة للآخرين بالتشبث بالقارب والصعود اليه فان مصير القارب هو الغرق بكل من فيه • الدكتور هارون مع عدد من أعضاء الكونجرس

---

(٨) سـيد مرعى ـ لكى نربح المستقبل ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٥ صفحة ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ •

عن ولاية كاليفورنيا ينادون بضرورة قطع المعونة فوراً عن البلاد التى تتلكأ فى تحـــديد النســـل ٠

وتحظى هذه النظرية الجديدة بتأييد عـــدد متزايد من المتخصصـين والسياسيين الأمريكيين ومنهم « ايرل باتز » وزير الزراعة الأمريكى الذى رفض أثناء المؤتمر العالمى للغذاء فى روما « نوفمبر ١٩٧٤ » أن يلتزم كممثل لبلده فى المؤتمر بتخصيص احتياطيات غذائية للدول النامية ٠ ويرى أصحاب هذه النظرية أو الواقعيون الجدد كما تسميهم بعض الصحف أن نصف سكان العالم يعانون من الجوع ٠ وأن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها تأكل ٣٥٪ من الغذاء المتاح فى العالم ، فى حين يمثل سكانها ٦٪ من سـكان العـــالم ٠ ويقولون أنه ما لم تقرر الولايات المتحدة اشتراط العمل على منع النمو السكانى للحصول على المعونة ، فان النتيجة هى أن الذين تنقذ حياتهم الآن سـوف يكون ثمنهم خسارة عدد أكبر من الأحياء فى الأجيال التالية ٠ ويضيف أنصار هذه النظرية حججاً أخرى منها أن هذه النظرية يجب تطبيقها بمنطق الفرز والانتقـاء والاستبعاد الذى يعمل به داخل المستشفيات العسـكرية فى زمن الحـرب ٠ فينبغى تصنيف الدول بنفس الطريقـة التى يتم بهـا تصنيف الجرحى وتقسيمهم الى ثلاث مجموعات : الجرحى الذين سوف يموتون بغض النظر عن أى علاج يقدم لهم ، الجرحى الذين اذا عولجوا بطريقة مناسبة سوف يعيشون ، الجرحى الذين يستطيعون العناية بأنفسهم ٠

بدأ عدد المقتنعين بالنظرية الجديدة يتزايدون ، بعد أن انضم اليهم الدكتور « بواهر بلغ » الأستاذ بجامعة سـتانفورد ومؤلف كتاب « قنبـلة السكان » والذى تطرف فى دعوته الى درجة أنه ينصح الجميع من الآن بتخزين الطعام والمياه والملابس لأن الجائعين فى هذه الأيام يملكون أسلحة ذرية » ٠

وأصحاب هذه النظرية الجديدة ليسوا محصورين فقط داخل دائرة العلم والسياسة ٠ فالواقع أنهم يستمدون سندهم الأخلاقى من الدكتور جوزيف فلتشير ، عالم اللاهوت الذى عمل قسيساً فى لندن والذى ألف كتابا من أكثـر الكتب انتشاراً بعنوان « أخلاقيات الموقف » والذى يقرر فيه أن أى تصرف ــ مهما كان اجرامياً ــ يمكن أن يكون صحيحاً معتمـــداً فى ذلك على المـوقف نفسه ! ويعترف بأنه يكره الفكرة ٠ ولكنه لا يستطيع مقاومة منطق نظرية

قارب النجـاة ، واذا كان هــذا يعنى أن مزيداً من الناس سوف يموتون فى النهاية · فيجب عليك أن تتخذ قراراً لمصلحة أكبر عدد ممكن » :

وليس كل الأمريكيين مؤمنين بطبيعة الحال بهذه النظرية · هناك مثلا السناتور « هيربرت همفرى » الذى ينقد التفكير الذى يقدم هذه النظرية من أساسه ويسميه تفكيراً «بذيئا» وهناك أيضا مستر «روبرت ماكنمارا» رئيس البنك الدولى الذى يقول : ان هذا التفكير خاطىء فنياً ·· بمثل ما هو كريه ومنبـوذ أخـلاقياً » ·

تاسعا ـ نظرية التحـرر الانسانى :

يضع الدكتور سعد الدين ابراهيم (٩) أمامنا نظريته للتنمية مركزاً على الجانب الاجتماعى أو منطلقاً من البعد الاجتماعى بصفة خاصة · وبرغم أنه اتخذ لبحثه عنواناً « نحو نظرية سوسيولوجية للتنمية فى العالم الثالث » الا أننى أطلقت عليها نظرية التحرر الانسانى تعبيراً عن مضمونها ·

يبدأ الدكتور « سعد الدين ابراهيم » نظريته بتحديد مفهوم التنميـة بأنها انبثاق ونمو كل الامكانيات والطاقات الكامنة فى كيان معين بشكل كامل وشامل ومتوازن ـ سواء كان هذا الكيان هو فرد أو جماعة أو مجتمع · ثم يضع لهذا التعريف ثلاثة عناصر أساسية ، أولها أن التنمية عملية داخلية ذاتية بمعنى أن كل بذورها ومقوماتها الأصلية موجودة فى داخل الكيان نفسه، وأن العوامل الخارجية مجرد عوامل مساعدة أو ثانوية ، وثانيها أن التنمية عملية ديناميكية مستمرة ، وثالثها أن التنمية ليست ذات طريق واحـد أو اتجاه واحد محدد مسبقاً ، وانما تتعدد طرقها واتجاهاتها باختلاف الكيانات وباختلاف وتنوع الامكانيات الكامنة فى كل كيان · ثم يضيف المؤلف شرطين لازمين لعملية التنمية · الشرط الأول هو إزاحة كل المعوقات التى تحول دون انبثاق الامكانيات الذاتية الكامنة فى كيان معين ، والشرط الثانى هو توفير الترتيبات التى تساعد على نمو هذه الامكانيات الى أقصى حدودها ·

---

(٩) د· سعد الدين ابراهيم ـ نحو نظرية سوسيولوجية للتنمية فى العالم الثالث ـ بحث مقدم الى المؤتمر السنوى الثانى للاقتصاديين المصريين ـ القاهرة فيما بين ٢٤ الى ٢٦ مارس ١٩٧٧ ـ الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع ·

ويرى المؤلف أن الاستغلال بكل صوره ومستوياته هو المعوق الرئيسي لعملية التنمية • وأن المساواة من جانب وتوسيع الفرص من جانب آخر ركيزتان أساسيتان للتنمية • وأن هاتين الركيزتين المساواة ، وتوسيع فرص الحياة ، هما المضمون الاجرائي لمفهوم التنمية في نظر المؤلف • وأن هاتين الركيزتين هما ما ينطوى عليه مفهوم التحرر الانساني • فالتنمية والتحرر ـ كما يرى المؤلف ـ هما مصطلحان أو مفهومان لنفس المضمون فكلاهما يعني الآخر ، وكلاهما يشترط وينطوى على ازاحة الاستغلال بكل صوره وكل مستوياته وكلاهما يشترط وينطوى على تفجير كل الامكانيات البشرية الكامنة للانتاج والخلق والابداع •

ثم يضع المؤلف مقولات عشر لنظريته هي :

١ ـ في أى نسق انساني مترابط الوحدات (System) اذا تفاوتت درجات أو معدلات النمو بطريقة ثابتة وكبيرة بين وحداته المتفاعلة فان ذلك يعني أن بعض هذه الوحدات ينمو على حساب الوحدات الأخرى في نفس النسق •

٢ ـ في أى نسق تتفاوت فيه معدلات النمو فان وحداته الأقل نمواً تحاول أن تلحق بوحداته الأكثر نمواً بوسائل وطرق متعددة داخل اطار هذا النسق •

٣ ـ في ظل علاقات سوية داخل النسق تتم عملية لحاق الوحدات الأقل نمواً بالوحدات الأكثر نمواً في مدى زمني قصير نسبياً ، وبلا توترات عنيفة داخل النسق ولكن في ظل علاقات غير سوية فان عملية اللحاق هذه تنتكس •

٤ ـ انتكاس محاولات لحاق الوحدات الأكثر نمواً لا يمكن أن يتم الا باستعمال العنف المباشر أو غير المباشر بواسطة الوحدات الأكثر نمواً ضد الوحدات الأقل نمواً •

٥ ـ باستمرار استعمال العنف المباشر وغير المباشر تتسع الفجوة في معدلات النمو بين وحدات النسق الأكثر نمواً ووحداته الأقل نمواً •

٦ ـ باستمرار استعمال العنف المباشر ، وباستمرار اتساع الفجوة في

معدلات النمو • تتكرس علاقات « السيطرة » من جانب الوحـــدات الأكبر و « التبعية » من جانب الوحدات الأضعف ، وينعكس ذلك أقوى ما ينعكس فى البداية على مزيد من الاستغلال الاقتصادى للوحدات الأقل نمواً •

٧ ــ بمرور الوقت وباستمرار نمط السيطرة والاستغلال الاقتصـادى المبنيين أساسا على العنف ، يتسع نمط السيطرة والاستغلال ليشمل جوانب الحياة الأخرى من سياسة وتعليمية وثقافية ونفسية ولينفذ فى كل مستويات النسق : المستوى الحضارى والمستوى الاجتماعى ، والمستوى الشخصى •
Culture, Social order, and Personality

٨ ــ مع استمرار نمط السيطرة والاستغلال المبنيان على القهـر ومع اتساعها ليشملا كل جوانب الحياة ، ومع نفاذهما لكل المستويات فى الوحدات الأقل نمـواً يزداد التخلف ، وتتولد قيم السلبية واللامبـالاة والقـــدرية والاحساس بالنقص والتبعية حيال الوحدات الأقوى والأكثر نمواً •

٩ ــ لا تتوقف هذه العملية الحلزونية (Spinal Process) الا بقوة ذاتية مضادة من داخل الوحدات الأقل نمواً ، لتعكس هذه العملية الحلزونية بحيث يتخلخل نمط السيطرة والتبعية ، وللتحول العلاقة فى اتجاه المساواة والتكافؤ مع الوحدات الأكثر نمواً •

١٠ ــ هذا التحول الجدلى فى اتجـــاه العملية الحلزونية ، من علاقات سيطرة وتبعية الى علاقات مساواة وتكافؤ يبدأ وجوديا (Existentiallg) على مستوى الوعى والحركة الرافضة ، والعنف الجماعى ، ضد أنماط الاستغلال التى تمارسها الوحدات الأقوى فى النسق ، وتنتهى بخلق هياكل مؤسسية جديدة تؤدى الى توسيع فرص تنميـــة الامكانيات الذاتيـــة الكامنة الى حـدودها القصـــوى •

ويفسر المؤلف مقولات نظريته بتأكيده على أن العلاقات الوحيدة التى تؤدى الى التفاوت فى النمو لا بد وأن تكون علاقات استغلالية ، وأنها تمت بالقهر والعنف المباشر أو غير المباشرة وأن الذى يفرض الاستغلال بالعنف يخلق مؤسسات وهياكل اجتماعية ويرسى قيما ومفـاهيم تسـاعده على استمرار هذه العلاقة الاستغلالية ، وأنه بمرور الوقت تتعمق مفاهيم لدى

طرف العلاقة تؤمن بتفوق أحدهما وبنقص الآخر ٠ وبالتالى فان خلخلة هـذا البنيان النفسى ، الاجتماعى ، الاقتصادى لا بد وأن يبدأ من حيث انتهى آخر جزء من السلسلة ٠ وبذلك يصل الدكتور سـعد الدين ابراهيم الى القـول « وحيث بدأت العملية الاستغلالية وما ترتب عليها من هياكل وقيم ومفاهيم نفسية للذات باستخدام الوحدات الأقوى للعنف فلا بـد أن تبـدأ العملية التكافؤية من جانب الوحدات الأقل نمواً استخدام العنف الاجتماعى » ٠

ثم يحدد الدكتور سعد الدين ابراهيم مستويات تطبيق نظريته فى (أ) النسق أو النظام العالمى بين الدول (ب) النسق أو النظـام الاجتماعى بين الطبقات وبين الحضر والريف وبين الجماعات المختلفة ٠ (ج) نسق المؤسسات بين العائلة أو المدرسة أو المصنع أو المصلحة الحكومية ٠ ويرى المؤلف أن هذه المستويات متداخلة ومتساندة ، حيث يبدأ الاستغلال والسيطرة على مستوى النسق العالمى من جانب بعض المجتمعات لبعض المجتمعات الأخرى مما يخلق التمييز بين بلاد غنية أكثر نمواً ، وفى داخل المجتمعات ، وخاصة الأقل نمواً ، نجد للطبقات العليا والمدن تستغل وتسيطر على الطبقات الدنيا والريف ، وفى داخل كل طبقة وفى مؤسسات المدينة والقرية على السواء نجـد اسـتغلالا وسيطرة للقلة فى قمة المؤسسة على الأغلبية فى داخل هذه المؤسسة ٠ واستغلالا وسيطرة للرجال على النساء ، أى أن نمط الاستغلال والسيطرة الذى ينطوى على تفاوت فى معدلات النمو يبدأ على المستوى العالمى وينتهى على مستوى الفرد فى داخل المجتمع المتخلف فلا يمكن تفسير التفاوت الهـائل فى فرص الدخل والمسكن والصحة والتعليم بين فردين أحدهما يعيش فى العالم الثالث والآخر يعيش فى العالم الأول ـ مع تساويهما فى الملكات والقدرات ـ الا من خلال نظرية متكاملة شاملة تربط بين هذه المستويات الثلاثة ٠ وهكذا تصبح صدفة المجتمع الذى يولد فيه هى المحدد الرئيسى لفرصته فى الحياة كما وكيفا وهنا يصبح السؤال ليس مجرد رغبة أو « حاجة للانجاز » عند الفرد فى مجتمع معين وغيابها أو نقصها عند الأفراد فى مجتمع آخر ٠ ولكنه لـماذا توجد هذه الحاجة هناك ولا توجد هنا ٠ هنا يصبح السؤال ليس لـماذا تتسم بعض المجتمعات « بالقدرية والخصوصية » والذاتية (وهى المجتمعـات المتخلفة) ويتسم بعضها الآخر « بالعلمية » و « الحيادية الموضوعية » (وهى المجتمعات المتقدمة) ، ولكنه : ما هى أنماط العلاقة بين هذه المجتمعات تلك التى أدت الى

نمو هذه السمات · هنا يصبح السؤال لا كيف يتسلط الرجال على النساء فى مجتمع متخلف ، ولكن لماذا يحس الرجال بدافع السيطرة على نسائهم فى ذلك المجتمـــع ·

ان الاجابة على هذه الأسئلة تأخذنا الى صلب مقولات النظرية وهى أن تخلف البعض (سواء كانوا مجتمعات أو طبقات أو أفراد) هو نتيجة منطقية وعضوية لتقدم البعض الآخر (سواء كانوا مجتمعات أو طبقات أو أفراد) · وأن هذه العلاقة التفاضلية تمت من خلال الاستغلال ، وأن الاستغلال فرض منذ البداية بواسطة القهر والعنف · فاذا ما قبلنا هذا التسلسل المنطقى فان (التنمية تصبح ممكنة فقط من خلال عملية جدلية معاكسة ــ وهى التحـرر (وجوديا) برفض نمط الاستغلال والسيطرة مفهومياً وسلوكيا ، ابتـداءا من المستوى الفردى وانتهاء بالمستوى العالمى ·

ويضرب لنا المؤلف نماذج لاتجاهات التحول فى نسق الشخصية وفى النسق العالمى على النحو التـالى :

اتجاهات التحـــول

من ــــــــــــــ← الى

(أ) فى نسق الشخصية

من	الى
١ ــ الاستسلام (Submission)	الرفض والمواجهة
٢ ــ القـدرية (Fatalism)	النظرة العلمية
٣ ــ الخصوصية (Particalarism)	العمومية Universalism
٤ ــ عدم الايمان بالقدرة على تغيير الواقع	الايمان بالقدرة على تغيير الواقع
٥ ــ عدم الطموح	الطموح والرغبة فى الانجاز
٦ ــ الاشباع العاجل (Immediate)	الاشباع الآجل Delayed gratification
٧ ــ عدم الايمان بالعمل الجماعى	الايمان بالعمل الجماعى

(ب) فى النسق الاجتماعى

من	الى
١ ــ نظام فئوى أو طبقى جامد	نظام طبقى مفتوح وسيولة فى الحراك الاجتماعى

٢ ــ تفاوت شاسع فى توزيع الثروة والسلطة	تقارب فى توزيع الثروة والسلطة
٣ ــ اقتصاد غير متنوع	اقتصاد متنوع
٤ ــ أسرة أبوية كبيرة ممتدة ومتسلطة	أسرة صغيرة نووية غيرمتسلطة
٥ ــ تفاوت شاسع بين الريف والحضر	تقارب بين الريف والحضر
٦ ــ مؤسسات مركزية لا ديمقراطية	مؤسسات لا مركزية ديمقراطية
٧ ــ تعليم دينى كلاسيكى للصفوة	تعليم علمانى ومتطور للأغلبية

(جـ) فى النسق العالمى

١ ــ التبعية السياسية	الاستقلال السياسى
٢ ــ الاستغلال والسيطرة الاقتصادية	التحرر الاقتصادى وعلاقات تجارية متكافئة
٣ ــ التبعية الحضارية والثقافية	تأكيد الخصوصية الثقافية
٤ ــ شراء وتقليد الصناعة	نقل وتوليد وتوليف التكنولوجيا
٥ ــ الضعف العسكرى	الكفاءة العسكرية

أى النظريات أمثل ؟

أو بمعنى آخر ٠٠ هل تستطيع نظرية من هذه النظريات أن تعالج كل مشاكل التنمية فى بلدان العالم الثالث ؟ ٠

لا يمكن أن توصف نظرية من هذه النظريات بأنها مثالية ، فان لكل منها أوجه القصور والنقد ٠ كذلك فان بلدان العالم الثالث وان اتفقت فى أنها متخلفة الا أن الكثير من ظروفها يختلف ويتفاوت ٠ فاذا نظرنا الى أهم نقد يوجه الى نظرية الدفعة القوية هو أن أصحابها يفترضون توفر رؤوس أموال ضخمة وتوفر أعداد ضخمة من المهندسين والفنيين والاداريين سواء من أبناء البلدان النامية أو الفنيين الأجانب ٠ وكلا الأمرين غير متوفر فى البلدان النامية ٠ وهو نفس النقد الذى يوجه الى نظرية النمو المتوازن ٠ وأهم نقد يوجه الى نظرية النمو غير المتوازن هى افتراضها أن التنمية الاقتصادية

تعتمد بصفة أساسية على الأفراد وليست على الدولة ، وأن التنمية تتم دون خطة شاملة وانما تعتمد على عفوية النشاط الخاص ٠

ولكن ليس معنى ذلك أن نظريات التنمية جميعها بغير جدوى للبلدان النامية ٠ ان هذه النظريات تلقي الأضواء الكاشفة أمام المهتمين بقضايا التنمية ، ويستطيع المختصون فى البلدان النامية ان يقارنوا وأن يفاضلوا بين نظرية وأخرى ، وأن يأخذوا من كل نظرية بالقدر الذى يتلاءم مع ظروفهم وبيئتهم والمرحلة التى يجتازونها فى سلم التنمية ٠

والتجربة التاريخية لا تقدم لنا نموذجا موحدا للتنمية ، ففى انجلترا التى يمكن اعتبارها أول بلد بدأ عملية التصنيع تطورت الصناعة الخفيفة وخاصة صناعة النسيج فى بداية الأمر ٠ وبتزايد تراكم رأس المال ونمو الطلب على المعدات بدأت تظهر صناعات أخرى من ضمنها الصناعة الثقيلة وصناعة الآلات ٠ واستطاعت ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية أن تختصرا الى حد ما عملية التصنيع أو بعض مراحلها المستقلة وأن تنتفع كل منهما بتجربة انجلترا ٠ وقد جرت عملية التصنيع فى الاتحاد السوفييتى فى ظروف أخرى مختلفة تماما ٠ فهناك اختلاف جذرى بين الاشتراكية والرأسمالية ٠ وهناك ظروف تاريخية خاصة بالاتحاد السوفيتى عندما بدء عملية التصنيع بعد الثورة والحرب الأهلية والحرب العالمية الثانية ٠ ولقد طرحت طبيعة الدولة(١٠)الاشتراكية الأولى وطبيعة الظروف التاريخية على الاتحاد السوفييتى مهمة قهر التخلف الاقتصادى والتكنيكى فى ظل عدم الوجود الكامل تقريبا للمساعدات الخارجية وفى ظل التهديد وفى ظل الحصار الرأسمالى المعادى ٠ كما طرحت أن يتطور الاتحاد السوفيتى كوحدة اقتصادية مستقلة معتمدا بالدرجة الأولى على السوق الداخلية ٠

فاذا أرجعنا النظر الى واقع التخلف فى العالم الثالث فاننا نجد أن

---

(١٠) مجموعة من المؤلفين ـ مشكلات التصنيع فى البلدان النامية ـ دار التقدم ـ موسكو ـ ١٩٧٤ ص ٤ ، ٥ ، ٨ ٠

بلدان هذا العالم الثالث تنشط فى ظروف تاريخية واجتماعية مختلفة تماما عن تجارب المعسكرين الغربى والشرقى .

وقد يكون من المبالغة فى التبسيط القول بأن البلدان المتخلفة إقتصاديا تحظى بتفوق معين نظرا لأنها تستطيع استخدام تجربة الغير والمنجزات دون أية أبحاث أو الوقوع فى أخطاء . ان هذه الامكانيات توجد فى ظل ظروف وحدود ضيقة نسبيا فاذا ما تزايدت الهوة اتساعا بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة فان الدول المتخلفة ستواجه مشكلات لا حصر لها .

الفصل الرابع

نظريات الاعلام

يميل العقل البشرى الى التعميم ، وهذا فى حـد ذاته ميزة وقصور فى نفس الوقت فبالتعميم يكثف العقل البشرى فيضا من المتشابهات وفيضا من الخصائص والظروف فى قنوات محددة وتقسيمات قليلة ، وبالتعميم يمسك العقل البشرى بخيط مربوط بأوتاد شـــداد يهديه سواء السبيل ولكن على الطرف الثانى من الفائدة يقف القصور نقصا واضحا فى التعميم حيث يغفل العقل بطبيعة الحال الفـــروق والتفاصيل والاختلافات الصغيرة التى يراها غير جوهرية وقد تكون هذه الأشياء الصغيرة خطيرة الأثر والأهمية ٠ وقـد يجمع العقل تحت سلطان التعميم بين أشياء ليست لهـا أنماط متساوية ٠ وتختلف الآراء حول امكان تجانسها أو تضادها ٠

ومن هنا يصبح التعميم سلاحا ذا حدين يحتاج استخدامه الى رويـة ومهارة ونظر ثاقب ٠ وسنجد أن الحـديث عن نظريات الاعـــلام لا بد وأن يتعرض للتعميمكما سنجد التعميم فى الحديث عن نظم الحكم التى تعـــد نظريات الاعلام انعكاسا لها بصورة ما ٠

عندما أمسك الربع الأخير من القـرن العشرين بمؤشر الزمن ، أصبح الباحث المحايد فى تجارب الديمقراطية يرى بوضوح نظامين بارزين ونظـاما ثالثا فيه ضبابية وتأرجح ، ولكنه يختلف عن النظامين البارزين ٠

أما النظام الأول فهو الديمقراطية الليبرالية أو الديمقراطية الرأسمالية التىتكثفها بطريقة حية أوروبا الغربية ، وتبديها الولايات المتحدة الأمريكية ممتزجة بالضغط والسيطرة ٠ وهذا النظام فى جملته يجعلك تصرخ كما تحب وتنادى بماتهوى ، وتنظم الاضرابات،وتدبج المقالات ضد من تريد وما نريد٠ ولكن ذلك لا يعنى شيئا ما دام الرأسماليون ينعمون باستنزافك وامتصاص عرقك ودمك٠وكل ما تقوله وتعمله تعبير عن الديمقراطية بالمفهوم الرأسمالى، ذلك المفهوم الذى منح الرأسمالية عناصر السيطرة ومنعك من تحقيق العدل الاجتمـــاعى ٠

أما النظـــام الثانى وهو الديمقراطية الاجتماعية وتقوم أساسا على

فكرة باهـــرة لمعنى الديمقراطية ٠ وهو أنه ينبغى تحرير رغيف الخبز من سيطرة الرأسمالية لتتحرر تذكرة الانتخاب ، وتصبح المؤسسات السياسية المختلفة منتخبة بكامل الحرية ، ولكن التطبيق قدم دائما رغيف الخبز وكمم الأفواه بنسب ودرجات متفاوتة٠ وهذا النظام تلقاه فى كل البلدان الشيوعية بطرق متفاوتة ودرجات مختلفة ٠

يبقى النظام الثالث وهو خليط بين النظامين السابقين ، ولكن المخلوط يختلف فى بعض الأحيان اختلاف التناقض ٠ وهذا النظام هو ثمرة التجارب المريرة لبلدان العالم الثالث فى البحث عن طريق ديمقراطى جديد ، بين ظروف دولية ومحلية بالغة التعقيد ٠ وقد نجد فى بلدان العالم الثالث من جعـــل مخلوط تجربته تسعة أعشارها من اليمين وعشرها من اليسار ، وآخر استقى الأعشار التسعة من اليسار وأخذ من اليمين عشر مخلوطه ٠ ولكن النتيجة المروعة أن الكثير من هذه الأنظمة فشل فى تقديم رغيف الخبز وأغلق الأفواه فى نفس الوقت ، فحرمك الخبز وحرمك حتى الصياح بأنك جائع ٠ والجدل الرائع فى بعض هذه النظم هو محاولة التوفيق بين الرغيف وحرية الرأى ٠ ويوم تتوفر عناصر النجاح فى تجـــربة ديمقراطية جديدة فى العالم الثالث تصبح أملا حقيقيا للبشرية عندما تطل على القرن الحادى والعشرين ٠

أين يقف الاعلام فى كل هذه التجارب ؟ ان القول بأن الاعلام لابد وأن يعكس الظروف التى يعيشها المجتمع وبأنه مرآة للمجتمع قول يحتاج الى تحفظات وايضاح ٠ ان الصدق لا يبدو فى المجتمع واضحا فى بعض الأحيان ، وقد تلبس المجتمعات فى فترات سيئة من تاريخها أثوابا مزيفة ، وتحمـــل قلوبا كاذبة ٠ كذلك فان صورة الاعلام لا تبدى المجتمع مسطحا ، أو صورة فوتوغرافيه ولكنها صورة تبرز الفعل ورد الفعـل ٠ لذلك ينبغى أن نقـول بشىء من التعميم أن الاعلام المعاصر يتمثل فى ثلاثة نماذج رئيسية تمثـل النظم السياسية الثلاثة التى ذكرناها بشىء من التعميم أيضـا ٠ وهـذه النماذج الثلاثة للاعلام سنسميها نظريات الاعلام من باب قبول الأمر الواقع فى كتابات الباحثين الاعلاميين ٠ لقد استخدم أساتذة الاعلام اصطلاح نظريات الاعـــلام تعبيرا عن مذاهب الاعلام من واقع الممارسة والبحث ٠ وأســاس استخدامهم لاصطلاح نظريات الاعلام هو وضع مجموعة من القواعد للأشكال والأنماط التى تتشابه فى الخواص والسمات والمـــلامح ٠ وان كانت فكرة

التقسيم فى حد ذاتها تختلف بين الباحثين حسب طريقة ربطهم بين العناصر المستخدمة فى تكوين الشكل ٠٠ كما أن ديناميكية الاعلام ٠ ثم التطور الخطير فى أساس الأيدلوجيات التى حسبت عليها تقسيمات نظم الحكم ٠ ثم حركة الاعلام فى العالم الثالث ، ومحاولته خلق شكل جديد متميز ٠ كل هذه الأمور تجعل نظريات الاعلام مستجيبة لتأثير العصر وليست قوالب جامدة ٠

اننى أرى أن نظريات الاعلام المعاصرة تنحصر فيما يمكن تسميته بالآتى :

١ ـ النظرية الليبرالية ٠

٢ ـ النظرية الشمولية ٠

٣ ـ النظرية المختلطة ٠

وأبادر فأقول أن هذه التسميات أو هذا التصنيف ليس ابتكارا منى ولكنه رواية معاصرة لنظريات الاعلام ٠ ولاشك أن باحثا بعدى سيطلق تسميات جديدة لنظريات الاعلام ويكون فيها راوية لعصره ٠ ان دورى فى هذه التسميات اشبه بدور الراوية للقصص الشعبى يضعها فى قالب عصره ، وليس مؤلفا ولا مبتكرا ٠ ونحن نقول دائما أن الجديد ينبع من قلب القديم ٠ لذلك لابد من الوقوف على التسميات السابقة لنظريات الاعلام ونحلل أصولها التاريخية ومضامينها ، وسنجد أن هياكلها الرئيسية تدخل فى التقسيمات الجديدة التى أسوقها الآن وقد لبست أثوابا عصرية ونسقت وشذبت من أطرافها حينا ، أو طالت أظافرها وأنيابها أحيانا أخرى ٠

ان النظريات السائدة فى الاعلام هى :

١ ـ نظرية السلطة ٠

٢ ـ نظرية الحرية ٠

٣ ـ نظرية المسئولية الاجتماعية ٠

٤ ـ النظرية السوفيتية ٠

ثم نظرية المسئولية الدولية التى تعد اسهاما عربيا فى هذا المجال

وصاحبها هو الدكتور مختار التهـــامى أستاذ الصحافة بجامعة القــاهرة ·
« وتستهدف هـــذه النظرية ربط أجهزة الاعلام والمشتغلين فيها بمسئوليات محددة ، مستقاة من واقع المجتمع الدولى الحديث ومن دراسة الاتجاهات والأوضاع السياسية والاقتصادية والنفسية التى تعتمل فيه ، بغية تحقيق المساهمة الايجابية لأجهزة الاعلام فى معركة الوجود الانسانى نفسه ، فى عالم تتهدده الحرب النووية ، وتلعب بأقـــداره المصالح الاحتكارية الدولية دون وازع من ضمير أو عقل »(١) ·

واذا عدنا الى نظريات الاعلام بأسمائها التقليدية فاننا نجد أن نظرية السلطة هى رأس القائمة عند الحديث عن نظريات الاعلام وهى رأس القائمة من حيث النشأة التاريخية للاعلام الحديث ·

١ ـ نظـرية السلطة :

ويطلق عليها البعض نظـــرية التسلط أو النظرية التسلطية(٢) وهى أولى نظريات الاعــلام الحديث ظهورا · فقد ولد الاعلام الحديث فى النصــف الثانى من القرن الخامس عشر عقب اختراع الطباعة فى المانيا وهى مجتمع تبسلطى آنذاك شأنها شـــأن غـيرها من بلدان العالم فى ذلك العصر · وقد ارتكزت التسلطية فى عصر النهضة الأوربية على مذهب الحق الالهى الذى اعتمد عليه الملوك فى الحكم وتوارثه النبـــلاء ، كما ارتكزت على الكنيســة الرومانية التى تزايدت قوتهـــا فى العصور الوسطى واستطاعت الكنيســة لقرون عدة أن تسيطر فى بـــلاد كثيرة على الرأى وعلى التعبير · كما يمكن القول بأن التاريخ الطويل للفلسفة التسلطية من أفلاطون الى هيجـل كانت ضمن ركائز التسلطية بصفة عامة عنـــد اختراع الطباعة وظهور ما يسمى بالاعلام الحـديث ·

كيف مارس الحكام خطتهم الاعلامية فى ظل نظرية السلطة ؟ أو بمعنى

---

(١) د· مختار التهامى ـ الاعــلام والتحول الاشتراكى ـ الطبعـــة الأولى ـ ١٩٦٦ ـ دار المعـــارف ص م ·

(٢) د· أحمـد بـدر ـ الاتصـــال بالجماهير والدعاية الدولية ـ الطبعـــة الأولى ـ ١٩٧٤ ـ دار القلم (الكويت) ـ ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ·

مستمر كيف يمارسون ؟ لقد رأى الدكتور عبد اللطيف حمزة(٣) أن جوهر نظرية السلطة قائم على فكرة أن الملك أو السلطان يتسم بسمة الألوهية وأن الشعب يعتبر نفسه عبدا للحاكم ٠ وأن الحاكم يعتبر نفسه صاحب الحق الأول فى نوع الحقائق أو المعلومات التى تصل الى أذهان الشعب ٠ وأنه مما لا شك فيه أن القائلين بنظرية السلطة المطلقة للحاكم ينظرون الى الاعلام على أنه أمر من الأمور التى لا ينبغى أن يتصرف فيها فرد آخر غيره٠ والقائلون بهذه النظرية يرون أن الفرد بلا حكومة وبلا مجتمع لا حول له ولا قوة ٠ وبرغم ذلك يؤمن أنصار هذه النظرية بالفروق بين الأفراد من حيث قدراتهم الجسيمة أو العقلية ، ولكنهم يبنون على هذه الفروق حكما يتلخص فى أن ذوى المعرفة من العلماء والحكماء وذوى التجربة أو الاطلاع هم وحدهم أصحاب الحق فى السيطرة الحقيقية على غيرهم من أفراد المجتمع فى ظل الحاكم ووفق مشيئته ورضاه ٠

ويحصر الدكتور عبد اللطيف حمزة(٤) القيود التى فرضتها السلطة على وسائل الاعلام فى نطاق الاعلام الحديث فى خمسة قيود ٠

١ ــ قيد التراخيص :

وهو أبسط القيود وذلك بمنح الرخصة لمن تطمئن السلطة المطلقة الى ولائه ومنعها ممن تشك فى ولائهم ، هذا الى جانب تشكيل هيئة توقع العقوبات على الطابعين والناشرين الذين يبدون من تصرفاتهم أنهم غير مخلصين للحكومة أو غير أهل لثقتها ٠

٢ ــ قيد الرقابة :

ظهرت الرقابة الى جانب التراخيص فى القرن السادس عشر فى انجلترا حيث عينت الحكومة الرقيب الذى يراجع ما تكتبه الصحف فى أمور السياسة والدين مراجعة دقيقة ٠ وفى القرن السابع عشر ازداد عدد الصحف زيادة جعلت الرقابة شبه مستحيلة ٠ ثم جدت عوامل أخرى أدت الى فشل نظام

---

(٣) د٠ عبد اللطيف حمزة ــ الاعلام له تاريخه ومذاهبه ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٦٥ ــ دار الفكر العربى ــ ص ٩٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ٠

(٤) المرجع السابق ــ ص ١٠٠ الى ص ١٠٤ ٠

الرقابة فى ذلك الوقت وأهمها ظهور الأحزاب السياسية فى ذلك القرن ، وممارسة هذه الأحزاب السياسية للعمل الاعلامى المتمثل فى الصحف والنشرات ، وكان الحزب الغالب هو الذى يستأثر بالصحف والنشرات التى تصل الى أيدى القراء · ومن ثم اتفقت الأحزاب السياسية فيما بينها على ألا ينفرد حزب واحد منها بالسيطرة على وسائل الاعلام لأن فى ذلك القضاء التام على بقية الأحزاب الأخرى ·

٣ ـ قيد المحاكمات :

وأخطرها تهمة الخيانة العظمى التى كانت توجه للصحفيين اذا لم يرض عنهم الحاكم ·

٤ ـ قيد الأموال السرية :

لقد ثبت للحكومات فى خلال القرن الثامن عشر فشل قيود التراخيص والرقابة والمحاكمات فى الوصول الى صحافة موالية تمام الولاء للسلطان ولذلك عمدت الحكومات الى طريقة جديدة تستولى بها على الرأى العام عن طريق الصحافة · وهذه الطريقة هى منح الأموال السرية لأصحاب الصحف وبذلك تشترى ذممهم وضمائرهم · وبدلا من أن تصدر الدولة صحفا رسمية بأقلام رسمية تشترى صحفا مشهورة وأقلاما مشهورة ·

٥ ـ قيد الضرائب :

وتقصد به الحكومات المستبدة ارهاق الصحف ماليا حتى تتوقف عن الصدور أو تخفف من نقدها للحكومات المستبدة ·

٢ ـ نظرية الحرية :

تأخذ هذه النظرية تسميتها من تسمية النظام الاقتصادى الحر أو « الليبرالى » ، وهذه النظرية هى وعاء الاعلام فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى أوربا الغربية واليابان ومن يأخذ من الدول المتقدمة بالنظام الاقتصادى الحر · ولقد نشأ المفهوم الغربى للحرية فى مجال الاعلام فى حماية المفهوم الرأسمالى للحرية فى مجال الاقتصاد(٥) ·وكماتطور مفهوم الحرية الاقتصادية

---

(٥) د· مختار التهامى ـ الاعلام والتحول الاشتراكى ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٦٦ دار المعارف ـ ص و ، ز ·

من حماية الفرد الى حماية الاحتكارات تطور أيضا مفهوم حرية الاعــلام من حماية الحقوق الديمقراطية الى حماية المكاسب الاحتكارية ٠

ولقد بدأت هذه النظرية كتعبير عن ثورة النمو الرأسمالى الناشىء فى أوربا بشعارات الحرية فى وجه أنظمة الحكم الاستبدادية الاقطاعية التى كانت تسد طريق التطور الصناعى والتبادل التجارى ٠ وكان مفهوم الحرية آنذاك منصبا على تأكيد قيمـــة الفرد من حيث هو فرد وحقه فى ممارسة نشاطه الاقتصادى بأقل قـــدر ممكن من تدخل الدولة ٠ والتأكيد على فكرة الحقوق الطبيعية للانسان ٠ وهى الحقوق التى منها حرية العبادة ، وحرية التعبير أو حرية الصحافة بمعناها الشامل للاعلام ٠ وهذه الحرية تقوم على تصورات منها(٦) أن الانسان من حقه أن يتعرف على الحقيقة وأن يسعى الى معرفتها والاهتمام بهذه المعرفة ٠ ومنها أن الوسيلة الوحيدة لمعـــرفة الحقيقة هى النقاش الحر وكلما تضاربت الآراء وكلما تعدد الخلاف حولهـــا وأتيح لكل ذى رأى أن يعرض رأيه ٠٠ كلمـــا أمكن للرأى الصائب أن يبرز ويتغلب ومن هذا المعنى للحرية ضعف سلطان الدولة على الصحافة وفتـــح الباب لظهور نظرية الحرية فى الاعلام ٠ ثم شابها ما شاب النظام الاقتصادى والاجتماعى الليبرالى من سطوة الاحتكارات وخطرها ٠

٣ ــ نظـرية المسئولية الاجتماعية :

فى مواجهة جنوح الصحف فى ظل نظرية الحرية الى الاثارة والخوض فى أخبار الجنس والجريمة ، واساءة استخدامها للحرية بدأ البحث عن تقييد الحرية فى ظل النظم القائمة على الاقتصاد الحر ٠ وظهر معنى الحرية القائمة على المسئولية ٠ وظهرت القواعد والقوانين التى تجعل الرأى العام رقيبا على آداب المهنة وسلوكها ٠ ويرى أصحاب هذه النظرية أن الحرية حق وواجب ومسئولية فى نفس الوقت ٠ وأن على وسائل الاعلام فى ظل هذه النظرية(٧) أن تخدم النظام السياسى القائم عن طريق الاعلام وعن طريق المناقشـــة

---

(٦) د٠ عبـد اللطيف حمـزة ــ الاعـــلام له تاريخه ومذاهبه ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٦٥ ــ دار الفكـر العـــربى ــ ص ١٢٠ ، ١٢١ ٠

(٧) المرجـع الســـابق ــ ص ١٣٨ ٠

الحرة المفتوحة فى كافة المسائل التى تهم المجتمع • وأن على وسائل الاعلام تقع مسئولية تنوير الجماهير بالحقائق والأرقام حتى تستطيع الجماهير اصدار أحكام متزنة وصحيحة على الأحداث العامة • كذلك على وسائل الاعلام أن تراقب أعمال الحكومة والشركات والهيئات العامة صيانة لمصالح الأفراد والجماعات • هذه هى المسئوليات التى تقع على وسائل الاعلام فى ظل هذه النظرية الى جانب الاعلان والترفيه •

٤ ـ النظرية السوفيتية :

ويسميها أصحابها النظرية الاشتراكية بينما يطلق عليها المفكرون الليبراليون النظرية السوفيتية نسبة الى الاتحاد السوفيتى أول دولة اشتراكية فى العصر الحديث • ويراها أعداؤها صورة جديدة من صور نظرية السلطة بينما يراها أصدقاؤها أنها تضع وسائل الاعلام فى موقع الجهاد والكفاح لتقدم الشعب ورعاية مبادئه وأهدافه •

ولقد وضع « سيبرت » عناصر للمقارنة بين هذه النظريات فى جدول مختصر يقدم لنا شيئا من الوضوح حول الفهم التقليدى والتسمية التقليدية لنظريات الاعلام •

جدول نظريات سيبرت الأربعة لوسائل الاتصال بالجماهير

النظرية	النظرية التسلطية	النظرية السوفيتية الشمولية	نظرية الحرية	نظرية المسئولية الاجتماعية
عناصر المقارنة : متى نشأت ؟	فى انجلترا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر وكان لها انتشار كبير ولا تزال تمارس فى بلاد كثيرة .	فى الاتحاد السوفيتى ولو أن بعض جوانب هذه النظرية قد مارستها المانيا النازية وايطاليا الفاشستية .	تبنتها انجلترا بعد عام ١٦٨٨ ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية ، كما توجد فى بلاد أخرى .	فى الولايات المتحدة الأمريكية فى القرن العشرين .
مصدرها	فلسفة السلطة المطلقة للملك أو حكومته أو كلاهما (نظريات أفلاطون أرسطو ، ماكيافيللى ، هوبز ، هيجل) .	الفكر الماركسى واللينينى والستالينى مخلوطا بأفكار هيجل Hegel والفكر الروسى فى القرن التاسع عشر .	كتابات ملتون ولوك وميل والفلسفة العامة لمذهب العقلانية والحقوق الطبيعية .	كتابات هوكنج Hocking ولجنة حرية الصحافة فى بريطانيا والممارسون وقوانين النشر .

النظرية	النظرية التسلطية	النظرية السوفيتية الشمولية	نظرية الحرية	نظرية المسئولية الاجتماعية
أغراضها الرئيسية	حماية وتوطيد سياسة الحكومات القابضة على زمام الحكم وخدمة الدولة .	زيادة نجاح واستمرار النظام الاشتراكى وبوجه خاص دكتاتورية الحزب الشيوعى .	الاعلام والترفيه والحصول على الربح ، لكن الغرض الأساسى هو المساعدة على كشف الحقيقة ومراقبة أعمال الحكومة .	الاعلام والترفيه والحصول على الربح ، لكن الغرض الأساسى هو رفع التصادم الى مستوى المناقشة .
من له الحق فى استخدام الوسيلة ؟.	من يستطيع الحصول على تصريح ملكى أو رخصة مماثلة .	الأعضاء الموالون والمتعصبون للحزب .	أى فرد لديه الامكانيات المالية لتأسيس منشأة اعلامية	أى انسان لديه شىء يقوله .
كيفية الاشراف عليها ؟.	عن طريق الحكومات، الاتحادات ، اعطاء الرخصة وأحيانا فرض الرقابة الادارية .	الاشراف الحكومى والعمل الاقتصادى أو السياسى للحكومة .	عملية التصحيح الذاتى للحقيقة فى سوق حرة للأفكار بواسطة المحاكم .	رأى الجماعة ، فعل المستهلكين ، آداب المهنة .

النظرية	النظرية التسلطية	النظرية السوفيتية الشمولية	نظرية الحرية	نظرية المسئولية الاجتماعية
المحظور نشره	نقد الجهاز السياسى والموظفين الرسميين المالكين للسلطة .	نقد أهداف الحزب الشيوعى وان كان من المباح نقد الخطط اليومية Tactics	التشهير ، الأدب المكشوف والمواد الضارة بالأخلاق ، التحريض على العصيان والتمرد اثناء الحرب .	التدخل فى الحقوق الفردية الخاصة والمصالح الاجتماعية الحيوية .
الملكية	خاصة أو عامة	عامة	خاصة علي وجه الخصوص	خاصة اذا لم تسيطر عليها الحكومة
الفروق الجوهرية بينها وبين النظريات الأخرى .	هى أداة لجعل سياسة الحكومة فعالة ولو أنه ليس من الضرورى أن تمتلكها الدولة .	مملوكة للدولة وعليها رقابة صارمة ، وهى فقط موجودة كسلاح من أسلحة الدولة .	وسيلة للرقابة على أعمال الحكومة ومواجهة الاحتياجات الأخرى للمجتمع .	يجب أن تفترض هذه الوسائل أن عليها مسئولية اجتماعية واذا لم تفعل فيجب أن تتبع وسائل الزامها بالمسئولية الاجتماعية(١) .

(١) د. أحمد بدر ــ الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ــ دار القلم (الكويت) الطبعة الأولى ــ ١٩٧٤ ص ٣٣٨ ، ص ٣٣٨

ان هـذه النظريات فى تسمياتها التقليدية لا تقدم ـ فى رأيى ـ تصوراً حقيقياً للاعلام المعاصر ٠ وانما يمكن ـ كما قلت فى البـداية ـ أن نحصر نظريات الاعلام المعاصرة فيما يمكن تسميته بالآتى :

١ ـ النظرية الليبرالية ٠

٢ ـ النظرية الشمولية ٠

٣ ـ النظرية المختلطة ٠

أولا : النظرية الليبرالية للاعـلام :

نستطيع القول بأن نظرية الحرية ونظرية المسئولية الاجتماعيـة فى التسمية التقليدية لنظريات الاعلام وجهان لنظرية واحـدة هى النظـرية الليبرالية ، ونستطيع القول أيضا بأن نظرية المسئولية الاجتماعية هى تطور طبيعى لنظرية الحرية ٠ لقد انعكس نمو وتطور المجتمعات الرأسمالية على نمو وتطور وسائل الاعلام ٠ وتأثرت هذه الوسائل وأثرت فى حركة التطور الرأسمالى العـالمى ٠

ومن الحديث عن نظرية الحرية ونظرية المسئولية الاجتماعية تتكون مادة الحديث عن النظرية الليبرالية ، ويبرز الاطار العام لها ، بشرط اضافة المتغيرات التى أصبحت جزءاً هاماً من النظـرية ٠ ولا بد من ابراز الدعـائم الرئيسية للنظرية ، والعلاقات السائدة بين هذه الدعائم ٠ ان الاطار العام لهذه النظرية يتمثل فى شكل ومحتوى نظم الحكم فى المجتمعات الرأسمالية القائمة على الديمقراطية الليبرالية ، ويتمثل فى مفهوم حـرية الانسـان فى التملك ، وفى حرية الاعتقاد والتعبير وابداء الرأى ٠ وقـد تحدثت عن ذلك فى أول هـذا الفصـل ٠

أما دعائم النظرية فتشمل :

ـ الدعامة الفلسفية ٠

ـ الدعامة القانونية ٠

ـ دعامة الملكية ٠

أما المتغيرات فتشمل :

ـ ظاهرة نمو الاحتكارات ٠

ـ ظاهرة نضج الرأى العـام ٠

ـ ظاهرة النمو الذاتى للمؤسسات الاعلامية ٠

واذا تناولنا دعائم النظرية الليبرالية بشىء قليل من التفصيل ، فاننا نجد أن الدعامة الفلسفية لها تقوم على رصيد هـائل من كتـابات الفلاسفة والمفكرين الذين شغلتهم قضية الحرية والذين كان لكتاباتهم فى القـرنين السابع عشر والثامن عشر أثر على فكر الثورة الفرنسية ٠ ولأن الفكر الفلسفى لا يقف عقيما فى حياة جارية ، فقد تطورت أفكار الحرية عند فلاسفة القرنين التاسع عشر والعشرين بما يواكب تطور المجتمعات القائمة على فلسفة الحرية الرأسمالية وبروز الاحتكارات العالمية ٠

كانت فلسفة « جون لوك » فى القرن السابع عشر فى الحرية ترتكز على أن الشعب هو مصدر السلطات ، وأن الحكومة ليست الا هيئة اختارها الشعب وفوضها فى أمره ، ومن حق الشعب دائماً أن يسحب منها هذا التفويض متى أحس بأنها لا تعمل لصالحه وفى نفس القرن كانت فلسفة « جون ميلتون » John Milton فى الحرية تقرر أن الانسان لا يستطيع أن يصل الى الصواب فى مسألة من المسائل حتى يستمع الى آراء مخاليفه فى هـذه المسألة ، وأن الحقيقة لا يكتب لها البقاء الا اذا أتيحت لها الفرصة بأن تتقابل وجهاً لوجه مع غيرها من الحقائق فى صراحة كاملة وحـرية تامة ٠

وفى القرن الثامن عشر كان « جون ارسكين » Erskine يقول بأن كل انسان يسعى لتنوير الآخرين لا لتضليلهم من حقه أن ينشر كل ما يدور بعقله ، وما يختلج فى ضميره ، سواء كان ذلك من الموضوعات الحكومية أو الموضوعات الخاصة ٠ وفى القرن التاسع عشر كانت فلسفة جون ستيوارت مل تحوى منطلقات باهرة للحرية مثل قوله : «اذا أسكت رأياً فقد أخفيت حقيقة» . أو قوله : « الرأى الخطأ قد يحوى بذورا للحقيقة ، ومن الجائز أن يؤدى الى الحقيقة برمتها » أو قوله « الآراء الصائبة ما لم تتعارض مع الآخرين بين حين وحين فقدت حيوتها وتأثيرها على نفوس المواطنين وسلوكهم » ٠ ومثل قوله :

« اذا اعتنق البشر جميعاً رأياً واحداً ، وجاء فرد واحد برأى جديد يخالفه ، ثم حاول البشر جميعاً اسكات هذا الرأى كان خطؤهم فى ذلك لا يقل عن خطأ الفرد الواحد حين يصبح له سلطة تامة وحاول اسقاط الرأى الذى اجتمع عليه البشر جميعاً » ٠

ومجمل ما ذهب اليه فلاسفة الحرية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر يرتكز على النظر الى العالم كآلة ضخمة ذات حركة مستمرة ، وهذه الآلة تسير وفقاً لقوانين الطبيعة الى الأبد ٠ أى أن هذا النظام الليبرالى وهذه الفلسفة الليبرالية أبدية وأزلية ٠ ويرى الليبراليون أن الانسان مخلوق يسيره العقل لا العاطفة ولا المصلحة الضيقة ٠ وباستخدام الانسان لعقله يستطيع أن يكتشف قوانين الطبيعة التى تحكم الكون ، كما يستطيع أن يخضع مؤسساته للسير وفق هذه القوانين ، وبذلك يبنى الانسان مجتمعاً عادلا :

والحقيقة عند الفلاسفة الليبراليين لا تستمد من السلطة ، وانما تستمد من عقل الانسان ، لأن الانسان يجد الحقيقة بعقله بغير حاجة الى توصية أو الى من يقوده اليها ٠

ومن هذا الأساس الفكرى والفلسفى نتبين بوضوح الدعامة الفلسفية للنظرية الليبرالية للاعلام ٠

« وفقاً للنظرية الليبرالية ينبغى أن تكون للصحافة قاعدة كبيرة من الحرية كى تساعد الناس فى بحثهم عن الحقيقة ، ولكى يصل الانسان الى الحقيقة عن طريق العقل ينبغى أن تتاح له حرية الوصول الى المعلومات والأفكار ٠ وهو يستطيع أن يميز فيما تقدمه له الصحافة بين الحقيقى والزائف ، باستخدام عقله ٠ فهو قد يجد بعض الصدق مختفيا وراء الكذب ، كما يجد بعض الزيف مختفيا وراء الحقيقة ، ولكن على المدى الطويل تظهر الحقيقة من خلال التفاعل الحر بين المعلومات والأفكار ٠٠ كذلك ــ وفقا للنظرية الليبرالية ــ تحمل حرية التعبير فى طياتها عوامل تصحيحها ٠ والرقابة قبل النشر رذيلة تنتهك الحق الطبيعى للانسان فى حرية القول ، ولأنها تمكن الطغاة من الاستمرار فى السلطة ، وتجعل من الدولة عدوا للحرية، بدلا من أن تكون حامية لها ٠ وأن الرقابة تعوق البحث عن الحقيقة »(٧) ٠

---

(٧) وليام ل ــ ريفرز وآخران ــ ترجمة ابراهيم امام ــ وسائل الاعلام والمجتمع الحديث دار المعرفة ــ ١٩٧٥ ص ٩٣ ٠

وفى القـــرن التاســع عشـــر ايضـــا نرى « توماس جيفرســـون » Thomas Jeffersonيقول أنه لما كان أساس الحكومات هو رأى الناس ينبغى أن يكون الهـــدف الأول هو المحافظة على ذلك الحق ذاته وأنه اذا خير بين حكومة بلا صحافةأو صحافة بلا حكومة لما تردد لحظة فى اختيار الصحافة ٠

وفى القرن العشرين أصبح المفهوم الفلسفى للحرية فى المجتمع الليبرالى يتضمن مسئولية وسائل الاعلام تجاه المجتمع ، وأصبح المفكرون يوجهون النقد المباشر والعنيف لصحف الاثارة التى تسعى فى نشر الفضائح والجنس والجريمة ، كمـــا يوجهون الهجوم العنيف لسيطرة بعض شركات الأسلحة على بعض الصحف ٠ فنرى الكاتب البريطانى الشهير هارولد لاسكى يذكر فى كتابه محنــــة الديمقراطية أن احدى شركات الأسلحة الفرنســـية اشترت جريدتين فى فرنسا لتحقيق مصالحها الخاصة وعلق لاسكى على ذلك بقوله :

« ان القدرة على توجيه الأخبار وجهة معينة هى نفسها القدرة على منع الجمهور من أن تصله المادة التى يمكنه على أساسها أن يبنى أحكاما متزنة ٠ وأن كل من يقارن الطريقة التى عالجت بهـــا الصحافة البريطانية موضوع نزع السلاح خلال فترة انعقاد مؤتمر جنيف عام ١٩٣٢ بالأهمية الكبرى التى أضفتها تلك الصحافة على تتبع أخبار السلوك الجنسى لأحـد رجال الدين الانجليز فى الفترة نفسها لن يجد أقل صعوبة فى اكتشاف الطريقة التى يتكون بها الرأى العام فى احدى الدول الديمقراطية الرأسمالية ٠

الدعامة القـــانونية :

تستمد النظـــرية الليبرالية ـ شأنها شـــأن النظريتين : الشمولية والمختلطة ـ دعامتها القانونية من الدساتير الى لوائح المؤسسات الاعلاميـــة مرورا بقوانين النشر والتشريعات الاعلامية ومواثيق الشرف المهنى ، بـل ان المـادة التاسعة عشر من الاعلان العـــالمى لحقوق الانسان الصادر فى ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ تنص على حق الانسان فى التعبير عن نفسه ومعرفة ما يعبر عنه الآخرون ٠ ويقسم بعض أساتذة الصحافة قوانين الاعـلام الى أربعـة فروع ٠ الفرع الأول هو قانون المضمون وهو يعالج الحدود والاشتراطات اللازمة لنشر الرسائل الاعلامية لضمان المصالح الأساسية للمجتمع ولصيانة كرامة الأفراد .٠ الفـــرع الثانى هو قانون الهيئات والمؤسسات الاعلامية ٠ وهو يعالج القواعد الخاصة والشكلية لهذه المؤسسات ٠ وما تقدمه الدولة لها

من خدمات لمساعدتها فى تأدية رسالتها كتخفيض رسـوم البريد وتخفيض الرسوم الجمركية والاعفاء من الضرائب وما شابه ذلك . الفرع الثالث هو قانون المهنة وهو يعالج حدود وقواعد العمل فى المهنة والاتحاق بالنقابات . الفرع الرابع هو قانون الاعلام الدولى الذى أوجدته طبيعة التقدم المذهـل لوسائل الاتصال ، وان كانت العقبات تقف حائلا دون أن يقف على قدميـه كالفروع الثلاثة الأخرى الا أن المستقبل يفرضه فرضا ، بسبب ازدياد التقدم فى مجال الاتصال دوليا ، وبسبب التشابك والتصادم بين مصالح الدول فى قنوات الاعلام الدولى والمحلى .

ان القانون فى ظل النظرية الليبرالية لا يقتصر على اباحة حق اصدار الصحف للافراد والهيئات والشركات وانما يضمن حماية حرية هذه الصحف ويسهل لها الممـارسة .

وتحظى التشريعات الاعلامية فى البلدان الرأسمالية باهتمام أكثر منها فى النظم الشمولية ، لأن طبيعة التنظيم والادارة والمنافسة والحركة فى الاعلام الليبرالى تحتم وضع القواعد والقوانين التى تضبط سريان وتدفق وسائل الاعلام وتبين بوضوح ما لها من حقوق وما عليها من واجبات .

وفى كافة النظريات نجد العرف والمواثيق الشرفية وأخلاقيات المهنـة جزءا مكملا لقوانين الاعلام .

دعامة الملـكية :

لا يقتصر الليبراليون فى ملكية وسـائل الأعلام على حق الأفـراد والشركات والاحتكارات فى اصدار وامتلاك وتشغيل وسائل الاعـلام ، بل انهم يقفون أمام أشكال الملكية الأخرى وقفـة منع وتحريم فيرى أصحاب النظرية الليبرالية أن الشعب ينبغى أن يقاوم بشدة دخول الحكومة ميدان الاعلام سواء عن طريق الملكية أو تقديم معونات للصحف . وحجتهم فى ذلك أن وسائل الاعلام المملوكة للحكومة يصبح همها الأول هو بقاء الحزب الحاكم فى الحكم بغض النظر عن تشجيع التبادل الحـر للمعلومات والأفكار . أما تقـديم الحكومة معونات الى الصحف فانه يهدد استقلالها تهديدا كاملا . ويؤكدون حججهم بأن دخول الحكومة الى الساحة الاعلامية عن طريق الملكية المباشرة أو عن طـريق المعونات للصحف من شأنه أن يخـل بالأوضاع

الاقتصادية ، ومن شأنه أن يضع وسائل الاعلام المنافسة فى وضع غــير متكافىء ، لأن وسائل الاعــلام الحكومية لا تهتم بالربح كأســاس لبقائها واستمرارها ، بل ويذهبون الى ما هو أكثر من ذلك بقولهم أن دخول الحكومة الى الساحة الاعلامية يعوق عملية التصحيح الذاتى الملازمة لسوق الأفـكار والآراء المتنافسة ٠

ويجد أصحاب النظرية الليبرالية تبريرا لقيام الاحتكارات الاعلامية بأن السلاسل الضخمة التى تضم عـددا كبيرا من المؤسسات الاعلامية أكثر قدرة على مقاومة الضغوط من المؤسسات الصغيرة ٠ هذا الى جانب فلسفتهم الاقتصادية بأن السلاسل تجنب الهزات الاقتصادية ، لأن الحلقة الضعيفة فى السلسلة تعوضها حلقة قوية ٠

وقد أعرب جورج سوكولسكى(٨) ذات مرة عن المفهوم الليبرالى لملكية الصحف بقوله : « ان معركة التوزيع تصبح معركة من أجـل الحقيقـة » ٠ وتفسير هذه العبارة فى ضوء التقاليد الليبرالية هو أن بعض الصحف وبعض الصحفيين يمكن أن يخدموا أهدافا وضيعة ولكن فى النظام التنافسى تنتصر الحقيقة فى النهاية فما يسعى البعض لحذفه يسعى آخرون لنشره ٠ والخطـأ الذى يرتكبه صحفى يصححه صحفى آخر ، والأكذوبة التى يسوقها محــرر يصوبها محرر آخر ٠ ومحاولة خدمة قضية خاصة تكشفها صحيفة أو وكالة أنباء منافسة ، وحين يخدم الناشر مصلحته الشخصية لتحقيق الربح ، فانه يعطى للمجتمع كما لو كان عن قصد وتدبير ، نوع الصحيفة التى يريـدها ويحتاج اليهــا » ٠

ظاهــرة نمـو الاحتكارات :

شهدت بلدان العالم الرأسمالى الغنية المتقدمة فى القرن التاسع عشر ظاهرة اقتصادية ، تتمثل فى تكتل رؤوس الأموال الخاصة فى وحـدات كبيرة تهدف الى التوسع الضخم فى الانتاج ، وخفض تكلفته ، وتجنب الخسائر الناجمة عن التنافس بالسيطرة على الأسواق ٠ وبهذا المنطق وهو القضـاء على التنافس تناقضت التكتلات مع منطق الفــكر الليبرالى المسـتند الى التنافس كوسيلة لتحقيق الانسجام المستمر فى المجتمع ٠

---

(٨) المرجـع الســابق ص ١٠٨ ٠

وظهرت التكتلات الاعلامية فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى بريطانيا وغيرها من بلدان العالم الرأسمالى الغنيـــة ، وهى تتمثل فى تجمع عـدد من الصحف والمجلات ومحطات الاذاعة والتليفزيون ودور نشر الكتب وشركات التوزيع فى يـد شخص واحد ، أو عدة أشخاص أو شركة مساهمة تملك عددا كبيرا من الصحف ، وأصبحت منافسة هـذه الاحتكارات الاعلامية مستحيلة سواء فى الاستمرار أو فى الصدور الجديد • لأن ما تملكه من وسائل السيطرة فى مجالات الاعلان والنفوذ السياسى والسيطرة الاعلامية يفوق قـــدرة أى مشروع اعلامى جديد • الى حد أن بعض هـــذه الاحتكارات كانت تلجأ الى كتابة قوائم سوداء تحوى أسماء الأشخاص الذين يحظـر نشر أسمائهم فى صحفها تحت أى ظرف من الظروف •

وقد سبق القول عند الحديث عن الصحافة كوسيلة(٩) اعلام عما أدركته الشعوب فى البلدان الرأسمالية من خطورة الاحتكارات على حرية الصحافة وحرية الاعلام بصـــفة عامة • وارتفعت أصوات كتاب ومفكرين وأصوات حكام أيضا ، بل وأثيرت هذه القضية على نطاق دولى داخل المنظمات الفنية التابعة للأمم المتحـدة •

فقـــد طالب « ليون بلوم » Leon Blum وهو أحـد الكتاب والزعماء السياسيين فى فرنسا عام ١٩٢٨ أن تقوم الحكومة بمد الصحف على قـــدم المساواة بآلات الطباعة ولوازمها وأن تتولى مؤسسة حكومية مـد الصحف بالاعلانات ، الى جانب انشاء وكالة أنباء تابعـــة لعصبة الأمم ، مع ترك المنافسة بين المطابع الخاصة ، ومع عدم الاشراف على ما تنشره الصحف •

ثم برزت الفكرة فى ثوب آخر بعد عشر سنوات فى بريطانيا عام ١٩٣٨ حين أوصت لجنة التخطيط السياسى والاقتصادى البريطانية فى تقريرها عن الصحافة الانجليزية بأن تتولى مؤسسة عمومية ملكية المطابع الصحفيـة وتسهيل وضعها تحت تصرف المهتمين باصدار الصحف •

وفى نفس العام أيضا بحثت اللجنة الأمريكية لحرية الاعـلام موضوع الصحافة والاحتكارات • وأوصت الحكومة بالمحافظة على عنصر التنـافس

---

(٩) انظر ص ٥١ ، ص ٥٢ من هـــذا الكتاب •

بين الوحدات الكبرى عن طريق تطبيق القوانين المضادة للاحتكارات فى الميدان الصـــحفى ٠

ولم تثمر الأفكار الخاصة بتحرير الصحافة من سيطرة الاحتكارات فى البلدان الرأسمالية الا قليلا ، لأن مشروعات القوانين التى كانت تعرض على البرلمـان بغيـة تحرير الاعلام من سيطرة رأس المـال كانت غالبا ما تواجه بالـرفض ٠

ونلاحظ أن مشروعات القوانين والاقتراحات والأفكار الخاصة بتحرير الاعلام من سيطرة الاحتكارات كانت تدور حول ما يلى :

● ضرورة اعلان الشركات التى تصـدر الصحف عن أسماء مديريهـا وأسماء الذين يملكون ١٠٪ أو أكثر من رأسمالها ٠

● نشر حساباتها سنويا على أن تحتوى المستندات المالية نشر أسماء وعنـاوين أى شركاء أجـانب يمدون المؤسسة بالمـال سـواء بالمسـاعدة أو المشـــاركة ٠

● ضرورة التفتيش المـالى الحكومى على هذه الشركات ٠

● عدم اعطاء الحق للشركة الواحدة فى اصدار أكثر من صحيفة يومية واحـــــدة ٠

ظاهـــرة نضــج الرأى العـــام :

ان نضج الرأى العام فى المجتمعات الأوروبية العريقة فى الليبرالية ظاهرة جديرة بالاهتمام كعنصر فعال ومؤثر فى اعلام هذه المجتمعات ٠ لا يستطيع الاعلام فى هـــذه البلدان أن يواجه الرأى العـــام بسيل من « الهيـــافات » و « التفاهات » القـــريبة الى قصص الأطفال منهـا الى عقول الراشدين ٠ ولا يستطيع الاعلام هناك أن ينقلب من موقف الى نقيضه بغير سبب أو فى كل يوم وليلة كما يلعب الصبيان لعبة « العساكر والحرامية » حيث يتبادلون المواقع والمواقف عقب كل شوط ٠ ولا شك أن الاحتكارات تسعى الى السيطرة على الرأى العام ، ولا شك أنها تلح فى ذلك بوسائل عديدة ومتقدمة وذكيـة وخبيثة ، ولكن نضج الرأى العام يكلفها على الأقل كل هذه المشقات ، ويبقى الجـدل والحوار مستمرا ٠

ظاهـــرة النمو الذاتى لوسائل الاعـــلام :

ما أشـبه وسائل الاعلام بالكائن الحى ، تتشكل شخصيتها وتتطور من الطفولة الى الصبى الى الشباب . وأحياناً الى الشيخوخة والموت • فاذا كان المناخ الاجتماعى مساعدا على النمو ، وكانت رياح المجتمع غير ملوثة وأرضه طيبة كانت للكائن الحى فرصة النمو واسعة • وهذا ما يصدق على بعض المؤسسات الاعلامية ، فى المجتمعات الرأسمالية • ان الاذاعة البريطانية مثلا رفضت طلبـــا للحكومة بعـدم عقـــد ندوة حول الصراع بـــين الكاثوليك والبروتستانت ، وأصرت على عقـــد الندوة واذاعتها بموضوعية ومسئولية تجسد كيف تصبح وسيلة الاعلام كالشباب الراشد الذى يعرف مسئوليته تجاه مجتمعه ويتحملها بشجاعة وتحمس • وفى الولايات المتحدة الأمريكية برغم سطوة الاحتكارات « الا(١٠) أن حرية أجهزة الاعلام وقوتها أوجـــدت درجة من رقابة الرأى العام هناك لدرجة أن السؤال المطروح هناك هو هــل زادت قوة الصحافة والتليفزيون عن حدها ، أم لا ؟ • لقـــد استطاع اصرار اثنـــين من الصحفيين ، وجريدة هى الواشنطن بوست ، أن تكشف أسرار ووترجيت ، وتحركت كل أجهزة البـــلاد من برلـــان وقضاء ، حتى اضطر الرئيس السابق نيكسون الى الاستقالة » •

ان وسائل الاعـــلام يديرها بشر لهم أفكارهم ومشاعرهم وقيمهم • ولاشك أن أخلاقيات المهنة ورسالتها تدفع الى اتخاذ المواقف الشريفة برغم الأسوار التى تعوق المواقف الشريفة والعظيمة • وعندما يحدث ذلك تصبح صورة وسيلة الاعلام كصورة الطفل عندما يشب عن الطوق • لقد أنجبتـــه الأسرة ، ولكنها أنجبته ليكون هو نفسه وليس نفسها • وهذا مثل يفسر لنا ظاهرة النمو الذاتى لبعض وسائل الاعلام فى المجتمعات الليبرالية •

ثانيا ــ النظـرية الشموليـة :

يرى كثير من الباحثين أن أفلاطون فى جمهوريته قد وضع الأســاس الفلسفى لنظم الحكم الشمولية • وأنه جعـــل الدولة هى المصلحة العليـــا ومصلحة الفرد دونها • وأنه صرف جل اهتمامه الى الدولة وجعل كل القوى

---

(١٠) أحمد بهاء الدين ـ أيام بلا تاريخ ـ جريدة الأهرام ـ ١٩٧٤/١٠/١١ •

مسخرة فى سبيلها ، وهو فى سبيل ذلك لم يجد ضيرا فى التضحية بمصلحة الفرد من أجل مصلحة الدولة ٠

ولكن النظم الشمولية لا يـــذكر سندها الفلسفى الا ويذكر هيجــل (١٧٧٠ ــ ١٨٣١) ذلك الفيلسوف الذى رأى أن الدولة أكمل وأعلى صورة تجسيم للروح يمكن الوصول اليها وهو لا ينكر الفرد أو يغمطه حقه بل يراه كذلك تجسيما للروح وان لم يكن بطبيعة الحال تجسيما كاملا كما هو الحال فى الدولة ، والفرد عند هيجل يحمل قدرا كافيا من الروح يجعله يرغب فى أن يتحــد بالدولة اتحادا كليا ، واتحاد الفـــرد بالدولة نوع من الجهاد الواعى وليس أمرا آليــا وعفويا ٠ فقد يقـــدم الفرد على عمــل أنانى منساقا وراء غرائزه دون التفكير فى الآخرين ، عنـــدئذ تنقطع الصلة بينـــه وبين نظام الأشياء ، وتغفو الروح فى داخله فلا يصبح حرا ، وانما يبقى عبدا للخطـــأ والرغبة ٠ ولا تكمل حرية الفرد الا بعمله وفقـــا لارادته الحقيقية بعيدا عن الرغبة الطارئة ، وبذلك يصبح تمسكه بأهداف الروح وارادته لهذه الأهداف ــ كما لو كانت أهدافه الخاصة ــ هو مقياس حريته ٠ ومن ثم تكون ارادته الحقيقية هى طاعة ما تمليه عليه الدولة ٠ فما تمليه عليه الدولة هو ارادته الحقيقية ٠ وعلى ذلك فان أوامر الدولة تمنح الانسان فرصته ليكون حـــرا حقيقيا ، فان أطاعها خوفا من العقاب فقــد حريته ٠

وبعد هيجل يقف « كارل ماركس » كعلامة للنظام الشمولى المعــروف بالاشتراكية العلمية أو الشيوعية ، فهو فيلسوف النظام وعالمه الاقتصــادى وداعيته وراسم طريقه وباسمه سمى الفكر المــاركسى ٠ والى جانبه يقف « انجلز » زميله وصديقه ثم يتتابع حواريو الماركسية من « لينـــين » الى المعـــاصرين ٠

ويصنف هيجل فى تاريخ الفلسفة فيلسوفا مثاليا ، كما صنف من قبله أفلاطون ٠ فى حين يتفرد ماركس بوضع خاص فى تاريخ الفلسفة المــادية ، لأنه أضاف اليها الديالكتيك ، ذلك الديالكتيك الذى يجمع بين الفيلسوفين هيجل وماركس ٠ وان كان هيجل قد فهمه على أساس مثالى وفهمه ماركس على أساس مادى ٠ وعلى أية حالة فان هيجل فى تاريخ الفلسفة هو صــاحب أول صياغة لقوانين الديالكتيك الأساسية كقانون تحول الـــكم الى كيف

والتناقض وصراع الأضداد كمصدر للتطور .ولكن ذلك من فم فيلسوف مثالى موضوعى . لذلك قال عنه ماركس لقد كان هيجل مقلوبا على رأسه فعدلته . وهو بذلك يعبر عن جوهر الخلاف بين الفلسفة المادية والفلسفة المثالية .

ولا شك أن الفلسفة المادية تعنى عند أصحابها أيديولوجية شاملة وليست كما يتهمهما مخالفوها بأنها تعنى مفهوم الاستمتاع الحسى . لقد رد انجاز على خصوم الفلسفة المادية « بأن البرجوازى المترهل يفهم من المادية النهم الى الطعام والسكر والتبجح واللذائذ الجنسية والجشع الى النقود والبخل والفسق والركض وراء البورصة والقمار ، وباختصار كل تلك الرذائل التى يستسلم لها فى السر ، أما المثالية فتعنى بالنسبة له الايمان بالفضيلة ، وحب الانسانية جمعاء . وبشكل أشمل الايمان بعالم أفضل ، وهو ما يصرح به أمام الآخرين ولا يؤمن به الا عندما يحس بالصداع بعد سكرة شديدة أو عندما يفلس » .

على أية حال هذه هى الدعامة الفلسفية التى تقوم عليها النظرية الشمولية للاعلام . والنظرية الشمولية للاعلام أوسع ـ فى رأيى ـ من تسميتها بالنظرية السوفيتية أو حتى بالنظرية الشيوعية . لأن النازية وهى ألد أعداء الشيوعية وخصمها اللدود فى الحرب العالمية الثانية تندرج فى نظريتها الاعلامية تحت النظرية الشمولية . كذلك فان بعض بلدان العالم الثالث يمضون اعلاميا فى نفس السبيل ، وان كانوا لا يدينون بالشيوعية ولا يسيرون فى فلك شيوعى . وان كانت النظرية الشمولية للاعلام تتشابه فى بعض الظواهر الاعلامية مع نظرية السلطة أو التسلط ، فانما هو تشابه ظاهرى ، وهو يتناقض مع الجوهر الحقيقى للنظرية ، والا هل يمكن أن نقول بأن اعلام روسيا القيصرية قبل ثورة ١٩١٧ هو اعلام الاتحاد السوفيتى بعد نجاح الثورة ؟ الجواب بطبيعة الحال لا .

كذلك فان تسمية النظرية الشمولية للاعلام بالنظرية السوفيتية الآن يعد من الأخطاء التاريخية الفادحة فهل الصين لا تسير اعلاميا فى نطاق النظرية الشمولية ؟ .

الدعامة القــانونية :

تنص دساتير النظم الشمولية على حرية الاعلام كمـــا تنص دساتير النظم الليبرالية على ذلك ٠ ولكن الاختلاف يقـــع فى فهم كل منها للحرية ٠ وتنصرف حرية الاعلام فى النظم الشمولية الى وضع وسائل الاعلام فى يـد المنظمات الشعبية التى تسيرها لخدمة المجتمع وبدون أى وجه من أوجـــه الاستغلال ٠ والى جانب الدساتير فى النظم الشمولية فان قرارات مؤتمـرات الأحزاب وخطب القادة السياسيين وتصريحاتهم حول الاعلام تمثل دعامة قانونية للنظرية الشمولية فى الاعـلام ٠ ويتركز النقد الموجه الى النظـرية الشمولية فى بنائها القانونى حيث يحظر على الأفراد اصدار الصحف ، كما يحظر على الجماعات والهيئات ذلك الا من خـــلال خطة شاملة وعامة للنشر ضمن الاطار العــام للتنظيم السياسى والاقتصادى القائم على حكم الحزب الواحد ٠ وقد دلت التجارب فى النظم الشمولية على غياب المعارضة الحقيقية فى نطاق الحزب الواحد وأن استمرار عمليات التصفية والعقاب للمعارضين جعلت ممارسة حرية الاعلام قائمة على الولاء الكامل والدائم لنظام الحكم ، وعلى تسجيل الواقع بالصورة التى ترضى السلطة ٠ بل قد تنحرف وسائل الاعلام فى هذه النظم الى عبادة الفرد وترسيخ القهـر ٠

دعـــامة الملـــكية :

ترتكز دعامة الملكية فى هذه النظرية على أساس أن وسائل الاعلام لابد وأن تكون فى نطـــاق الملكية العامة حتى تكون تعبـيرا عن مصلحة المجتمع وأهدافه وبعيـــدا عن نزوات الأفراد وأنانيتهم ، وأن الملكية العامة لهـــذه الوسائل تؤدى الى اتاحة حرية التعبير على نطاق شعبى عريض ، والى تأمين وسائل الاعلام وبخاصة الصحافة من أخطـــار الاعلان ، والى رفع مستوى المـادة الاعلامية بعـدم الجرى وراء القراء والمستمعين والمشاهدين بالفضائح والأخبار التافهة المثيرة وأفلام العنف والجريمة ٠ والى تحرير ضمير رجـــل الاعلام من سيطرة الاتجاهات الانانية المصاحبة لاستثمار رأس المـال الخاص فى هـــذا المجال ومن سيطرة عامل الربح على عمله الاعلامى ٠ والى ابعـــاد العناصر الدخيلة ذات المصالح الخاصة عن حقل الاستثمار فى الاعلام ٠

بعـد أن فرغنا من دعائم النظرية الشمولية للاعلام يمكننا أن نوجـــز المتغيرات التى أوجدها التطور والتى تتفاعل داخل اطار النظرية فى متغيرين

رئيسيين هما : التطور العالمى للاعلام واختراقه الحدود والحواجز الجغرافية. وظهور شيء من النقد والنقد الذاتى فى النظم الشمولية ، وبخاصة من الشباب، ولقد فرض هذان المتغيران نفسهما على هذه النظرية بحكم التطور وحـــركة التاريخ وان كانا لم يغيرا شيئا من شكلها أو كثيرا من مضمونها .

ثالثا ـ النظـرية المختلطـة :

العلاقة بين الفرد والمجتمع كانت وما زالت الشغل الشاغل للانســـان منذ عصوره القديمة حتى اليوم . وعنـــدما ظهرت بلدان العالم الثالث الى الوجود السياسى والدولى فى القرن العشرين كمجتمعات مستقلة ونامية ، كان أهم ما طرأ على فلسفة وتطبيق العلاقة بين الفرد والمجتمع خلال أحقـــاب طويـــلة من التاريخ هو الاعتراف بدور الدولة وتدخلها حتى فى المجتمعـــات الليبرالية ، ثم التقارب والترابط بين الشعوب نتيجة لنمو وسائل الاتصـــال عالميا ، وأصبح من الواضح أمام الفكر الانسانى استحالة تمثـــل الانسان بالآلهة كما فعل ملوك العصور الغابرة ، بل وحتى معنى البطولة صار مرتبطا بالمجتمع ، ولم تعـد صورة البطل الفرد الممتاز المتفوق لم تعـد تلك الصورة المجردة صورة حضارية ولا واقعية فى العصر الحديث . لقد ذابت شخصـية الانسان فى المجتمع .

وأصبحت مواجهة انسان العالم الثالث لقضية الحرية والمسئولية فى نفس الوقت . وهى قضية قديمة فى الفكر الانسانى ، ولكنها برزت مع بروز العالم الثالث كقضية نظام حكم فى ظروف اجتماعية واقتصادية وحضارية ودولية متشابكة ومعقدة . وكان لابد وأن ينعكس ذلك كله على اعلام العالم الثالث ، وعلى اطاره العام ، وعلى أشكاله المختلفة وتطبيقاته المتباينـــة فى البـلدان النامية .

ان سعى العالم الثالث فى ايجاد نوع من التوازن بين مصلحة الفـرد ومصلحة المجتمع دفعه الى تبنى النظامين : الرأسمالى والاشتراكى فى نفس الوقت . لقـــد أرادت تجارب العالم الثالث أن تمنع القـــلة الرأسمالية من السيطرة ، كما أرادت فى نفس القوت ألا يطغى المجتمع ممثلا فى السلطة على ذاتية الفـــرد ونوازعه فى التملك والحرية . ولكن التوازن بـين الرأسمالية والاشتراكية لم يمض على وتيرة ثابتة فى العالم الثالث ، بل لقد أصبحت

تجارب هذا العالم الثالث تحوى خليطا من النظم السياسية المعاصرة ومن النظم التاريخية أيضا ، فالنظم الأوتوقراطية القائمة على الملكيات المستبدة والمجتمعات القبلية والعشائرية ، وتملك الأجانب تملكا مباشراً للأرض والتجارة والاعلام ٠ كل هذه النماذج ما زالت تحتل مواقع على خريطة العالم الثالث ٠

وان تعقبنا الدعامة الفلسفية لنظرية الاعلام المختلطة فاننا نقف أمام حقيقتين أساسيتين : أولاهما أن الفكر الماركسى يرى فى تجارب العالم الثالث الاشتراكية تحريفا ، وأن الفكر الليبرالى يرى فى تجارب العالم الثالث الليبرالية المقيدة زيفا أما الحقيقة الثانية ، فان بعض تجارب العالم الثالث قدمت نظريا اطارا متكاملا لفكر سياسى جديد يقف على قدميه كقرين ونـد للفكر الماركسى وللفكر الليبرالى ٠ وفى تجربة الميثاق الذى صدر فى مصر سنة ١٩٦٢ أكبر دليل لمن أراد أن يبحث ويقارن بحياد ووعى ٠ وسنلم بذلك الماما وجيزا عندما نتحدث عن البعد التاريخى للتنمية ٠

وينبغى ألا يتبادر الى الذهن أن تجارب العالم الثالث من التنافر والتضاد والتشتت بحيث لا يمكن أن يجمعها اطار أو فلسفة أو نسق ٠ بل ان هذا العالم الثالث يشترك فى فلسفة الحكم وسند الحكم بغض النظر عن الميل شرقا أو الميل غربا ٠ ان سند الحكم فى هذه البلدان يرتكز على ثلاثة ركائز أساسية ٠ الركيزة الأولى قوة عسكرية من الجيش والشرطة والاعتماد عليها فى قمع من يتصدى للنيل من نظام الحكم أو يحاول تغييره ٠ الركيزة الثانية أيدلوجية مقبولة جماهيريا ولو على الأقل من حيث الشكل ٠ الركيزة الثالثة هى الاعتماد الكبير على الاعلام ومحاولة تقويته فى اطار مساندته للسلطة ، وهذا الاعتماد على الاعلام يفسر لنا توجه الدبابة الأولى فى معظم الانقلابات الى الاذاعة لاحتلالها والسيطرة عليها ، ويفسر لنا أيضا كيف أن الملك أو رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء يصبح تقريبا هو رئيس التحرير الفعلى فى عديد من صحف العالم الثالث ٠

وقوانين الاعلام فى العالم الثالث تتذبذب بين الحرية وبين تقيد هذه الحرية ٠ وبين الملكية الخاصة والملكية العامة ، وهى بصفة عامة تحتاج

الى التقنين الدقيق ووضع الحدود الفاصلة ، حتى يستطيع الاعلام فى هـذه المجتمعات تأدية دوره فى التنمية ٠

ان حدود الملكية وشكل وطبيعة الملكية هى حجر الزاوية فى أى نظـام اجتماعى ، وعلى ضوء الملكية يتحدد شكل النظام السياسى للمجتمع ، وهو أيضا ما ينطبق على ملكية وسائل الاعلام فى النظرية المختلطة ، وما يعكس الأشكال العديدة للملكية فى بلدان العالم الثالث ٠

وتتنوع ملكية وسائل الاعــلام فى المجتمعات النامية تنوعا كبيرا ٠ فهناك مجتمعات لا تسمح لأى وكالة أنباء غير الوكالة المحلية بتوزيع الأخبار ، والصحف فيها مملوكة للحزب الواحد أو للحكومة وهما وجها السلطةالحاكمة٠ وهناك مجتمعات تصدر فيها الصحف مملوكة للاجانب كامتداد للاستعمار الذى رحل اسما وبقى واقعــا ، ويتعثر صدور الصحف الوطنية فى هــذه المجتمعات أمام سيطرة الشركات الأجنبية على سوق الاعلانات وعلى صناعة الصحافة فى نفس الوقت٠وهناك مجتمعات يصدر فيها كبار التجار الصحف٠ وقد قطعت بعض المجتمعات النامية شوطا فى الطريق الليبرالى فأصبحت فيها الصحف المعارضة والصحف المستقلة الى جانب صحف السلطة ٠ كما قطعت مجتمعات أخرى نامية شوطا فى الطريق الاشتراكى فأصبحت فيهـا صحف للجبهة تعبر عن ثلاثة أو أربعة أحزاب يمول كل حزب صحيفته كما يمول الحزب الحاكم صحفه التى لها الغلبة والتعدد ٠ وهذا التنوع فى الملكيةيعكس ظروف العالم الثالث الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية ٠

وخلاصة القول فى ختام الحديث عن النظرية المختلطة ينبغى الاشارة الى أن هذه النظرية تشكل نفسها بنفسها وفقــا لظروف مجتمعاتها ، وأن بعضا من وسائل الاعلام فى البلدان النامية استطاع أن يحقق شوطا باهرا فى اعلام متقدم من حيث الشكل والمضمون ٠ وعندما تتاح الحرية الحقيقيــة وتنجح التنمية الشاملة فى بعض بلدان العالم الثالث ستقدم لنــا التجربة مخرجا جديدا لأزمة الاعلام عالميــا ٠

الفصل الخامس

أبعاد التنمية

البعـــد التـــاريخى للتنمـــية :

يفسر لنا التاريخ أسباب التخلف بعاملين رئيسيين هما : الاستبداد بمعنى حكم الفـــرد وتسلطه ، والاستعمار باعتباره أقسى أنواع الاستبداد والقهر ٠ وتبين لنـــا التنمية أن زحزحة الاستعمار عن كاهل الوطن لابد أن يتبعها القدر الكافى من الحرية ، ومن ممارسة الديمقراطية حتى يمكن للتنمية أن تستمر وتزدهر ٠ فاذا أعقب جلاء المستعمر وصول فرد أو وصول حفنـــة الى السلطة لفرض الديكتاتورية فشلت جهود التنمية ، وأصبحت محصـلة التنمية هياكل شبه خربة كأنها أعجاز نخل خاوية ٠

ويقدم لنا التاريخ صور التخلف نتيجة للاستبداد أقسى من صـــور التخلف نتيجة للاستعمار فما فرضه الاستبداد على اليمن قبـــل الثورة من تخلف أقسى وأمر من التخلف الذى فرضـــه الاستعمار فى البـلدان المجاورة لليمـــن ٠

وعندما تبدأ الدول الجديدة ــ عقب استرداد حريتها من براثن الاستعمار أو براثن الاستبداد ــ فى التنمية ، ويصبح همها الأول هو التنمية تواجـه بمشكلات لا حصر لها ٠ انهـا تتسلم خرائب اقتصادية ، وجيف بشرية ، وثقافة وطنيـــة أحرقها الكبت فأصبحت رمادا يغشى العيون كلمـــا هبت عليـــه ريـــح ٠

هذا ما يبرزه البعد التاريخى للتنمية ٠ ان الشعوب التى ناضلت حتى حصلت على استقلالها ، وقفت فى صباح الاستقلال أمام عوائق متراكمـــة خلفها الاستعمار تجعل عملية التنمية محفوفة بالمكاره ٠ فالى جانب الادارة الضعيفة وندرة الاطارات والكوادر الفنية ، تجد هـــذه الشعوب النامية أن عليها أن تستورد الآلات والخبرات الفنية والسلع الاستهلاكية حتى رغيف الخبز وزجاجة اللبن ٠ وأن السيطرة الاستعمارية خرجت من الباب لتدخل من النـــافذة ٠

بالقرب من الساحل الشرقى لأفريقيا تقع جزر القمر التى يزيد سكانها عن ثلث مليون نسمة قليلا · أعلن هذا الشعب الصغير استقلاله عن فرنسا فى عام ١٩٧٥ · وطلبت فرنسا أن تبقى فى احدى الجزر مع اعلان الاستقلال ، ولكن الشعب الصغير رفض ذلك فردت فرنسا عليهم بقطع كل مساعداتها المالية والفنية · ماذا حدث لجزر القمر؟ ·

طافت لجنة من أبناء هذه الدولة المسلمة بالبلاد العربية والاسلامية تستنجد فى أحلك ظروف تواجهها دولة فى العالم(١) ، ولتعلن للعالم أنه ليس عندها طبيب واحد ولا ممرضة ، ولا أدوية · حتى الكحول ليس فى البلاد قطرة منه ، المستشفيات خالية ، وكل المدارس الثانوية مغلقة لأن البلاد لم يعد فيها مدرسون الخزانة خاوية ، الحياة متوقفة ، ليس فى البلاد مطبعة ولا صحيفة ، ولم تعد الطائرات تستطيع الهبوط بسهولة فى المطار لأنه لم يعد لديهم فنيون وموظفون لتوجيه الطائرات · لقد أرادت فرنسا أن تلقن هذه الدولة الصغيرة درسا صعبا فسحبت كل المدرسين وخبراء البريد والبرق والمواصلات والطيران والأطباء والمهندسين والزراعيين · وكانوا كلهم من الفرنسيين · والمزارعون فى الجبال لم يجدوا وسيلة لنقل منتجاتهم ففسدت فى مزارعها ·

ان هذه الجزر فرض عليها الاستعمار زراعة الزهور لينتج منها عطوره، وأبقاها فى قاع التخلف فلم تعرف الكهرباء ـ مثلا ـ غير العاصمة ، وتضىء الكهرباء ١٠٪ من البيوت الكبرى فقط فى العاصمة ·· !

كيف استطاع الاستعمار أن يكرس التخلف وأن يجعل استقلال الشعوب مغامرة قاسية ؟ ! ·

لقد صور « نكروما »(٢) هذا الموقف بطريقة بلاغية أليمة بقوله : « وحقيقة الوضع أن معظم دولنا الافريقية الجديدة ، تجد نفسها وقد ولدت

---

(١) رجب البنا ـ صرخة من المسلمين فى جزر القمر ـ جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٦/٤/١٦ ·

(٢) كوامى نكروما ـ الاستعمار الجديد ـ (تعريب خيرى حماد) دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ ص ٦٢ ·

من رحم الاستعمار مذعورة من عالم الفقــر والجهل والمرض ، والافتقار الى الموارد المـالية والتقنية التى خلفها الاستعمار ، تتردد فى قطع الشعرة الباقية التى تشدها الى الأم الامبريالية التى ولدتها • ويتعزز هذا التردد بما تلقـاه من معسول المساعدة التى تمثل الترياق الوقتى الذى يقيها من خطر المجاعة الآنى ، ويبعــدها فى الوقت نفسه عن التغــذية الكاملة والعظيمـة التى تطمح فيهـــا » •

ان المعنى الانسانى لهذه الحقيقة التى أوردها نكروما نلمسه بنظرة الى عمال النظافة فى شوارع باريس أو عمال البناء وما شابه ذلك من الأعمـــال الشاقة واليدوية فى المدن الفرنسية • انك ستجد هؤلاء العمال فى معظمهم من بلدان المستعمرات الفرنسية • انهم أشقاء المجاهدين الذين قاتلوا الاستعمار الفرنسى حتى أجلوه عن أراضيهم ، وبعـــد ذلك ذهبوا اليه فى عقـر داره يخـــدمونه وكأنهم لم يطيقوا فراقه ! • اننـــا نستطيع أن نتصور أسرة جزائرية فى النصف الثانى من القرن العشرين استشهد ثلاثة من أبنائها فى حرب التحرير وبقى الرابع لأنه كان صغيرا لم يستطع حمل السلاح وبعـــد عشر سنوات من الاستقلال نجد هذا الرابع قد حصل على تصريح العمـــل كمهاجر وكأنه حصل على فرصة عمره • ويسافر الى فرنسا ليعمل بمساعدة بعض أقاربه من العمال هناك حمالا فى مصنع للسكر أو منظفا لردهات المترو أو غير ذلك •

ان هذا المثل تجده فى لندن مع استبدال الوجه العربى أو الافريقى الذى تطالعه فى باريس بوجه هندى أو باكستانى • وليس فى ذلك غرابة أو شذوذ ان الدول النامية التى سلبها الاستعمار خيراتها وحرمها التقـــدم لسنوات طويلة لا تجد لأبنائها عملا لكل طالب عمل ، ومن الطبيعى ألا تســـد أبواب الرزق أمام أبنائها • وقد يفسر لنا ذلك الموقف الفرحة الوطنية بعودة بعض العمال الفنيين المغتربين الى أوطانهم مع بداية المشروعات الصناعية الجديدة واستيعابهم كعمـــال مهـرة •

ان قضـــية التخلف قضـــية تاريخية وقضية التقدم قضـــية تاريخية أيضا • وكلاهما يرتبط بالاستعمار بشكليه القديم والجديد • ذلك أن الدول الأوربية استطاعت خلال عشرات السنين أن تحدث تنميتها وتقدمها على نـار

هائلة بسرقة المواد الأولية من البلدان التى استعمرتها ، وبسيطرتها على التجارة الخارجية للمستعمرات ، وجعلها سوقا لمنتجاتها • وبحرمان شعوب المستعمرات من فرص التقدم فى نفس الوقت •

أفريقيـــا :

ففى أفريقيا مثـــلا مكنت المشروعات الامبريالية المســـتعمرين من استخراج ثروات هائلة من القارة الأفريقية فى خمسينيات القرن العشرين • فكان نصيبها فى اجمالى انتاج العالم الرأسمالى :

٦٠٪ من المـاس •

٦٧٪ من الكوبالت •

٦٤٪ من الذهب •

٤٢٪ من المنجنيز •

٢٥٪ من النحاس •

٢٤٪ من اليورانيوم •

بينما كان تطور الصناعة المحلية فى غاية الفقر والحرمان •

ولقـد كان القصد من انشاء المستعمرات فى جملته هو الاستيلاء على ما فى هـــذه المستعمرات من المواد الخام ، وفى سبيل ذلك استخدمت الدول الأوربية الاستعمارية السياسات التالية(٢) :

١ ـ حرمان المستعمرات من أن تكون بلادا صناعية •

٢ ـ الحيلولة بين أبناء المستعمرات وبين اكتساب المعرفة الفنيـــة الحديثة التى تعينهم على تنمية صناعاتهم المحلية •

٣ ـ جعل أبناء المستعمرات منتجين صغارا للمواد الخام فى بـلادهم بأرخص الأجور •

---

(٢) د• عبـد العظيم رمضـان ـ محاضرات فى تاريخ أفريقيـــا •

٤ ـ منع المستعمرات من التجارة مع الدول الأخرى الا عن طـــريق الدولة الاستعمارية ·

ولقد كانت دول الاستعمار لا تجيز لمستعمراتها أن تصدر منتجات أو تستورد منتجات من غير الدولة الأم ، كما كان محرما على المستعمرات أن تعقد اتفاقات تجارية أو اقتصادية مع غيرها من الدول دون موافقة الدولة الأم ، وليس من حقها انشاء صناعات فى وطنها الا بعد موافقة الدولة الأم · وكانت الدولة الأم لا تقبل لمستعمراتها أن تنمو صناعيا ·

وكانت الأسواق والجرى وراء الأسواق هى هم الاستعمار منـذ كانت التجارة الخارجية هى محور النشاط الاقتصادى فى القـــرنين السادس عشر والسابع عشر حتى القـــرن العشرين عندما أصبح الانتاج الكبير القائم على الآلية وعلى البحث المستمر عن منافذ جديدة لتصريف هـذا الانتاج ، فنرى شمبرلن رئيس وزراء بريطانيا فى أوائل القرن العشرين يقول ان الامبراطورية هى التجارة ، ولهذا السبب يعلن تمسكه بمستعمراتهم فى الهند واستمرارهم احتلال مصر ، بل ويلح على الحكومة البريطانية ألا تترك فرصة للتوسع فى القارة الافريقية الا واغتنمتها ووسعت مستعمراتها ·

ولم يكن الاستعمار عملا عسكريا وحسب أو عملا تجاريا وحسب وانما كان الاستيلاء الفعلى على الأراضى ، والتصرف فيها تصرف المالك فى ملكه · هو عمل الاستعمار ·

لقد كان الاتجاه الأساسى فى ملكية الأرض هو أيلولتها الى الأوربيين، فقد استصدرت بريطانيا تشريعات تخول لها بطريق مباشر أو غير مباشر امتـلاك أراضى المستعمرات والمحميات واقتنائها وادارتها · أما الطـــريقة الفرنسية لمصـــادرة الأراضى فتختلف من حيث أن الفرنسيين لا يـــدعون اغتصاب الأرض بطريقة قانونية وانما يغتصبونها برمتها اغتصابا صريحا علنيا · وأدى ذلك الى ظهور طبقة من الملاك الأجانب الذين يعيشون بعيـدا عن الأرض وهؤلاء هم المستوطنون الأوربيون وأصحاب الامتيازات · وأقاموا مزارع على النمط الرأسمالى يعمل فيها الأجراء من أبناء العالم الثالث وفق تخصص معـــين · ذلك التخصص الذى فرض على انتاج الأراضى بحيث يصبح هناك محصول واحد أو محصولان رئيسيان لكل بلد بهدف التصدير ،

وأجبر الفلاح الافريقى على عدم زيادة المحاصيل الغذائية التقليدية اللازمة للسكان المحليين مما ضيق حجم السوق المحلى وجعل الفلاح الأفريقى فى النهاية مستوردا لرغيف الخبز • وخضع الانتاج الصغير للفلاحين والحرفيين خضوعا كليا للارادة التعسفية للاحتكارات الأجنبية •

والى جانب هذا النظام الاقتصادى الذى سلب فيه الاستعمار الأرض وفرض عليها التخصص لمصلحته ، عمد الى سرقة القوة البشرية وسرقة عملها وعرقها • لقد سخرت الاحتكارات مئات الألوف من أبناء العالم الثالث فى تشييد السكك الحديدية والمناجم والموانى بأبخس الأجور ، كما نهبت السكان المحليين عن طريق فرض الضرائب ، وقد كانت هذه الضرائب والسخرة من المصادر الهامة لرأس المال •وبتجريد البلاد فى العالم الثالث من شروط التطور الاقتصادى المستقر تحولت هذه البلاد الى مجرد مورد للمواد الخام ، أما التنمية فقد تركزت فقط فى فروع قليلة من الاقتصاد وهى المناجم والسكك الحديدية وبناء الموانى والمشروعات التحويلية أساسا •

آسـيا :

وفى آسيا مثل مشابه فقد وضع « كوين » القائد الهولندى الذى غزا جاكرتا المبدأ الذى أقيمت على أساسه سياسة الاستعمار الهولندى لأندونيسيا بقوله :

« ألا يستطيع أى رجل فى أوربا أن يفعل بماشيته ما يشاء ، هكذا يفعل السيد هنا برجاله الذين يعتبرون بكل ما يملكون ملكا خاصا للسيد شأنهم فى ذلك شأن البهائم فى الأراضى المنخفضة » •

ولقد كان الاستعمار الهولندى يعرف هدفه وهو الاستغلال ويحدده بدقة • ويغير أساليبه طبقا للمراحل الاستعمارية المختلفة • لقد كان ـ مثلا ـ مرسوم الشركة الهولندية المسماة بشركة الهند الشرقية المتحدة والتى تأسست سنة ١٦٥٢ يمنح الشركة ليس فقط احتكار التجارة بل يخولها سلطات السيادة العليا لعقد المعاهدات والمخالفات وفتح ما تشاء من الأراضى وبناء الحصون •

وبرغم أن الشركة حصلت على النفوذ الأعلى فى شئون التجارة الا أنها لم تمارس شئون الحكم والسيادة بادىء الأمر ، ولذلك عارض مجلس مديرى

الشركة مثملها فى جزيرة سيلان اقتراحه بتولى الشركة السيادة على جزيرة سيلان وقالوا له ، بصراحة أن هذا العمل قد يقدم عليه ملك عظيم طموح ولكنه ليس عمل تجار لا يبحثون الا عن الأرباح·ومع ذلك فان تغييرا أساسيا قد طرأ فيما بعد على هذه السياسة عندما وجد الهولنديون أن الاستغلال الأمثل ممثلا فى الاحتلال وتملك الأراضى بصورة مباشرة أربح من التجارة ، فقد اتبعت الشركة نظام دفع الأموال مقدما عن المحصولات فتهيأ لها بذلك أن تنتزع الأراضى من أيدى ملاكها فى جزر «باندا» و «أمبوينا» الأندونيسية واحتكرت بيع الحبوب لهم بأسعار فاحشة مما حطم اقتصاد هذه البلاد ·

هذا التحول من الاستعمار التجارى الى الاستعمار الاستثمارى ، ومن التجارة الى نظام الضياع الكبرى أتاح للهولنديين الاستغلال الفاحش للعمال والتحكم الشديد فى اقتصاد هذه المستعمرات ·

أمريكا اللاتينية :

وتواجهنا نفس الظروف فى أمريكا اللاتينية · لقد فاقت « هاييتى » « جاوه » و « سيلان » فى تأثرها بشرور الاستعمار · فقد استولى عليها الفرنسيون بعد أن اكتشفها كولمبس · ولم يكن هؤلاء الفرنسيون يتلقون أية تعليمات من باريس ، ولكنهم كانوا من القراصنة والمغامرين · وكان هؤلاء المغتصبون يقنعون أنفسهم بأن العناية الالهية بعثت بهم لكى يحتلوا مركزا متميزا فى الأرض الغربية التى استوطنوا فيها ·

وكانت السلطات البرتغالية تحذو فى مستعمراتها فى أمريكا اللاتينية حذو بريطانيا فى استراليا · وذلك باعتبار هذه المستعمرات مستودعا للأشخاص غير المرغوب فيهم من بلدانهم الأصلية وعلى وجه الخصوص المجرمين واليهود(٤) الذين ازداد عددهم نتيجة لتدفق وصولهم الجبرى فى هيئة بحارة تحطمت سفينتهم ·· !

وقام الأسبان فى أمريكا اللاتينية بما قام به الفرنسيون فى شمال أفريقيا · لقد أهملت الطرق التى شيدها الوطنيون عن عمد لأن أسبانيا كانت

---

(٤) ج· هالكر وفرجسون ــ ثورات أمريكا اللاتينية ــ ترجمة عبد الرؤوف عز الدين ــ الدار المصرية للتأليف والترجمة ــ ص ٢٣ ، ص ٨ ·

تريد تقسيم المستعمرات وحكمها على أساس المبدأ الاستعمارى المعروف فرق تسـد • ولهذا جعلت المواصلات والطرق تمتد من الداخل الى الساحل ، ومن الساحل الى الوطن الأم • انه نفس الأسلوب الفرنسى فى شمال أفريقيا • لقد كان المسافر من القاهرة الى الجزائر يطير الى باريس أولا ، وكان قصد الاستعمار فى الحالتين هو تفتيت للوحدة القومية ، وخلق منازعات على الحدود عندما يرحل عن هذه البلدان •

ومع بروز وتعاظم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية فى أمريكا اللاتينية مع بداية القـرن العشرين حل الاستغلال الأمريكى محـل الشكل الأوربى التقليدى للاستعمار ، وساعدت ظروف الحرب العالمية الأولى وما أصاب أوربا فيها على ازدياد نفوذ الولايات المتحدة فى أمريكا اللاتينية وأصبح الوجـه الأمريكى للاستغلال بديـلا عن الوجه الأوربى ، فقـد تزايدت التجارة مع الولايات المتحدة وارتفعت نسبتها فى بعض الدول ـ مثل كولومبيا وجواتيمالا ـ الى ٨٠٪ أو أكثر ، سواء بالنسبة للواردات ، أو الصـادرات ، وكان من المعتاد رؤية سفن الولايات المتحدة التى تحمـل أعلاما تتلاءم مع الظروف ـ مثل علم بانمـا مثلا ـ وهى تجوب موانى أمريكا اللاتينية • وكان الطيران بين الدول الأمريكية فى أيدى شركتى « بان أمريكان » و « باناجرا » وهمـا شركتان أمريكيتان • وقد سيطرت الشركات الأمريكية مثل استاندارد أويل، وشركة الفواكه المتحدة ، وشركة براون للنحاس على مناطق شاسعة وأقطـار بأجمعها • وعبر الطرق المشيدة حديثا كان من المعتاد رؤية العربات والقاطرات والأوتوبيسات الفورد والشيفروليه أكثر من غيرها،وكانت القطارات وعربات الترام القديمة فقط لا تزال بريطانية(٥) •

ان نماذج الاستعمار فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية •• ونمـاذج التطـور من الاستنزاف التجارى الى الاستعمار الاستيطانى ، والنمـاذج الأوربية ثم الأمريكية تثبت أن الاستعمار ملة واحـدة وان تعددت أشكاله ومظـاهره •

وقبـل أن تغادر قوات الاستعمار أراضى المستعمرات مقهـورة أمام حركات التحرر الوطنى كان الاستعمار قد فتح نافذة أو نوافذ يدخل منهـا

---

(٥) المرجـع السـابق ص ٦٠ •

بعد خروجه من الباب • وقد استند الاستعمار الجديد الى مبدئه القـــديم المعروف فـرق تسـد ، وطبقه عمليا بتفتيت المناطق المستعمرة التى كانت موحدة من قبل الى عدد من الدول الصغيرة الفاقدة لمقومات الحياة ، والعاجزة عن التطور بصورة مستقلة ممـا يرغمها على الاعتماد على الدولة الاستعمارية السابقة وبخاصة فى نظامها الاقتصادى • فأفريقيا الغربية تضم تسع عشرة دولة مستقلة منفصلة عن غيرها • وباستثناء نيجيريا فان كل دولة من هذه الدول يتراوح تعداد سكانها بين مليونين وثلاثة ملايين من السكان •

وعندما يذكر البعـد التاريخى للتنمية يرى بعض الباحثين المحايدين أن الاستعمار أسهم فى انشاء المدن الكبيرة فى المستعمرات ، وفى نشر المسيحية وفى نشر الثقافة الأوربية ، وفى اقامة طرق وسكك حديدية وموانى•كما ساهم فى نقــل أنواع من المحاصيل الى المستعمرات لم تكن تعرفهـا من قبـل ، وحيوانات وآلات لم تشاهدها المستعمرات الا على أيدى المستعمرين •

واذا أخذنا هــذا الرأى بحياد وموضوعية فاننا ينبغى أن نعـترف بذلك •• ولكنه لم يكن لمصلحة السكان الأصليين ، بــل انه لم يحقق لهم فائدة مباشرة أو غير مباشرة •

كان انشاء المدن الكبيرة يتم بصورة عنصرية تستفز مشاعر الوطنيين وتهدم انسانيتهم • فقد كانت المدينة يقسمها شارع يفصل بــين سكنى المستعمرين النظيف الصحى وسكنى الوطنيين المحروم من مقومات المرافـق والخدمات ، وكان محظورا على أبناء البلد السكن فى الحى الافرنجى ، بــل كان الحظر عليهم يصل الى حــد حرمانهم من دخول هـذه الأحياء الا كخـدم وعمــال نظـافة •

وكان نشر المسيحية ليس خالصا لوجه الدين فكثيرا ما كانت شهوة الحصول على الذهب من المستعمرات تتملك نفوس المبشرين ، كما كان صرف بعض أبناء المستعمرات عن دينهم هـدفا لتدمير مقومات المقاومة ، وكان بث الفرقة الدينية والفتن الطائفية سلاحا للاستعمار ، وبابا للتدخل ومد بقائه بحجة حماية الأقليـات •

وكان نشر الثقافة الأوربية ســتارا للقضاء على مقومات الشخصية الوطنية وتراث شعوب المستعمرات ولغاتهـا • ولم يكن انتشار الأسبانية

فى أمريكا اللاتينية والفرنسية فى أفريقيا والانجليزية فى الهند الا بمحاولة الاستعمار القضاء على اللغات القومية فى تلك البلدان ٠ وبمحاولة الاستعمار اعدام التراث القومى والحضارى لهذه البلدان ٠

وكان انشاء الموانى والسكك الحديدية والطرق قاصرا على خـــدمة مصالح المستعمر لنقل المواد الخام الى الوطن الأم ونقل المواد الصناعية الى أسواق المستعمرات ٠

أما نقـل المحاصيل والنباتات والحيوانات من مكان الى آخر نتيجـة لحركة الاستعمار فتلك حركة متعادلة ، لقد نقل الأوربيون مثـلا الى أمريكا اللاتينية الحيوانات المستأنسة والحبـوب الأوربية ٠ وأعطى المكسيكيون أوربا الذرة والطماطم وغيرها ٠ والآلات التى شهدتها المستعمرات لم تـكن للاستخدام الشعبى وانما كانت لخدمة مصالح السيد الأبيض ورفاهيته ٠

ان الاستعمار يطور أساليبه وأشكاله بصفة دائمة لأن الاستعمار فى جوهره عملية استغلال ، ومن ثم فهو يغير من أسـاليبه أمام المتغيرات التى تحدثها حركات التحرر والاستقلال ٠ ولعل مبدأ المشاركة الذى تعرضـه شركات البترول الاحتكارية الآن على العرب صورة من هذا القبيل ، ولكن هذه المشاركة ، أسلوب من أساليب الاستعمار الجديد فى الاستغلال قد طرحها من قبل فى تاريخ الاقتصاد المصرى الاستعمار القديم أمام جهود المصريـين فى انشاء بنك وطنى ٠ والاستعمار عندما يحبذ طرح المشاركة كعمل وطنى يريد أن يستمر عرق الاستغلال نابضا وحيا بالنسبة له ٠

ان أول العوائق أمام التنمية فى الدول النامية ٠ هو موقف الدول الغنية ورغبتها الدائمة فى أن تبقى الدول المتخلفة تحت وطأة التخلف ، لأن التناقض أساسى بين رفاهيتها على قاعدة الاستغلال المستمر وبين خروج الدول النامية من طوق الاستغلال ٠

ان كل الأمثلة التاريخية تؤكد ذلك ٠ ونسوق مثلا افريقيا يبين جبروت الدول الغنية فى احكام طوق الاستغلال حول رقبة الدول النامية ، ونبـدأ بأفريقيا لأنه لا يكاد يذكر الاستعمار الا وتذكر معه أفريقيا ، ولأن هذه القارة

لقيت النصيب الأكبر من نهب الاستعمار ، لقد كانت مخزنا لصيد العبيد(٦) واجبارهم على العمل فى القارة الأمريكية لزراعة المزارع الواسعة ، ثم صارت على يد الاستعمار أيضا مخزنا للمواد الأولية يمكن سرقته ، كما صارت فى نفس الوقت سوقا لمنتجات لاحتكارات العالمية • وهذا المثل الذى يجسـد تطوير الاستعمار الجديد لأساليبه فى الاستغلال ضربه لنا نكروما فى كتـابه الاستعمار الجديد • وقد ضرب لنا نكروما(٧) المثل بغانا ونيجيريا ، عنـدما تمكنت كل منهما بعد الاستقلال من زيادة انتاجها من الكاكاو زيادة هائـلة وعادت من هذا كله بخفى حنين كما يقول المثل العربى •• ! ولقد بذلت كل من هاتين الدولتين جهودا مضنية فى سبيل زيادة انتاجها من الكاكاو ، ولم تتحقق بطبيعة الحال هذه الزيادة بمحض الصدفة ، وانما كانت ثمرة انفاق داخلى ضخم على مكافحة الآفات والأوبئة الزراعية ، وعلى تمويل حصول الزراعيين على العقاقير التى تستخدم فى استئصال الحشرات وأدوات الرش ، وعلى استيراد أنواع جديدة من بذور الكاكاو التى تقاوم الأوبئة المستوطنة التى تأصلت فى أشجار الكاكاو القديمة ••

ولكن ما هى الفائدة التى حققتها نيجيريا أو غانا من هذه الزيادة الهائلة فى طاقاتها الانتاجية الزراعية ؟ كانت مكاسب غانا من محصول الكاكاو فى عام ١٩٤٥ أى عندما كانت تنتج ما يقرب من ٢١٠ آلاف طن ، خمسة وثمانين مليونا ونصف المليون من الجنيهات • وارتفع الانتاج فى عام ١٩٦٤ـ١٩٦٥ الى ٥٩٠ ألف طن • بينما هبطت المكاسب فى هذا العام الى سبعة وسبعين مليونا • وعانت نيجيريا من تجربة مماثلة فقد أنتجت فى عام ١٩٥٤ـ١٩٥٥ نحوا من ٨٩ ألف طن كسبت منها نحوا من تسعة وثلاثين مليونا وربع المليون من الجنيهات • وبعد مضى خمس سنوات قدر الانتاج بنحو ٣١٠ آلاف طن ، بيع بأربعين مليونا من الجنيهات • وتعنى هـذه الأرقام بصورة أخرى أن انتاج غانا ونيجيريا بلغ ثلاثة أضعاف ما كان عليه من هذا المحصول الزراعى بينما هبط مجموع الدخل منه من ١٢٥ مليون جنيه الى ١١٧ مليونا :

---

(٦) تختلف تقديرات تجارة الرقيق من افريقيا ، ولكن البعض يقدرها بمائة مليون ، واضعا فى التقدير أن من مات من الرقيق أثناء الصيد والنقـل والرحلة يبلغ ثلاثة أو اربعـة أضعاف من وصل الى العالم الجـديد •

(٧) كوامى نكروما ـ الاستعمار الجـديد (تعريب خيرى حمـاد) ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ص ٣٥ •

وفى تاريخ الاقتصاد المصرى نرى نفس الصورة مع الاستعمار ٠ كانت مساحة الأرض المنزرعة قطنا فى مصر عام ١٨٧١ نصف مليون فدان أنتجت من القطن ثلاثة ملايين وربع مليون قنطار بيعت بثمانية ملايين وربع مليون جنيه ٠ وفى عام ١٨٩٨ بعد الاحتلال زادت مساحة الأرض المنزرعة بالقطن وبلغ انتاجها ٦ مليون قنطار بيعت بثمانية ملايين ونصف مليون جنيه ، أى ضعف القطن بنفس الثمن تقريبا لأن الانجليز عمدوا الى الاستيلاء على القطن بأرخص الأسعار ٠

وفى تاريخ الاستعمار الهولندى لأندونيسيا نجد مثلا آخر يبين لنا كيف يغير الاستعمار أساليبه وحيله لاستنزاف الشعوب المستعمرة ٠

لقد اتسم الاستعمار الهولندى فى أندونيسيا بالتدمير والجرائم فقد جولوا الفلاحين الأحرار الى عمال أرقاء فى المزارع ، وعندما وجدوا أن انتاج القرنفل فى « أمبوينا » و « باندا » و « مولوكا » يزيد على ما يحتاجه العالم فرضوا تحويل بساتين القرنفل الى حقول أرز والى مزارع لزراعة أشجار « الساجو » وهو غذاء أضعف قيمة من الأرز ٠ ثم بيع الأرز بسعر فاحش ٠ وقطعوا عن « جاوا » معونتها من الأرز مما اضطر الناس الى الاقتصار على « الساجو » فمات الكثيرون من اعتمادهم على هذا الطعام بدلا من الأرز ٠

وعندما أصبح مشروب البن شائعا فى أوربا صار سعره غاليا فى أسواق العالم فرضوا الاستغلال على المزارعين فكان المنتجون يسلمون من ٢٤٠ الى ٢٧٠ رطلا للشركة مقابل ثمن ١٢٥ رطلا وبعد اجراء تخفيضات لأسباب وذرائع مختلفة لا يصل الى جيب المزارع الاندونيسى الا ثمن ١٤ رطلا ٠

يثبت التاريخ أن الأوربيين فى فترة الفجور الاستعمارى كانوا أقواما متوحشة ٠

ان مثل هذه الصور القاسية تبرزها التجربة التاريخية ولكن **السؤال الملح فى صبيحة الاستقلال أمام الشعوب وقادتها هو أى أسلوب للتنمية ينبغى أن نختار ؟ ٠**

ان هذا السؤال هو الاختيار الأساسى للمستقبل فعلى ضوء الاجابة عليه يتحتم تقرير هيكل الاقتصاد ، ومصير العلاقات الاجتماعية ، ونمط الحياة الثقافية للمجتمع ٠

ولسنا بصدد الوصاية على الشعوب لنحدد لها مستقبلها ونختار لها تنمية رأسمالية أو تنمية اشتراكية أو تنمية مختلطة،ولسنا بصدد التعصب لمذهب اقتصادى معين ، ولكن علينا أن نؤكد أن الظروف الموضوعية لكل شعب لابد وأن تؤدى الى شكل محدد من أشكال التنمية ، وأن هذا الشكل لم يتكون من فراغ وانما فرضه الواقع · وكلما كان الاختيار متوافقا مع حركة التاريخ وظروف المجتمع كلما أمكن تحقيق التقدم · وان كان مخالفا لحركة التاريخ ومغفلا ظروف المجتمع أصبح التقدم مستحيلا ·

واذا كنا قد أفلتنا من اقحام أنفسنا فى الاختيار للشعوب طريقها ، ومن الدعوة لنظام اقتصادى معين ، فاننا لا نستطيع أن نفلت من مناقشة التجربة المصرية فى هذا المجال والنظر فيها بشىء من التفصيل ·

اذا عدنا الى الميثاق كدليل عمل للتنمية فى مصر ·· ثم ورقة أكتوبر باعتبارها محاولة لتصحيح سلبيات ما قبلها لوجدنا صورة لتجربة التنمية المصرية كتجربة رائدة فى العالم الثالث · ولنبدأ بالجانب الفلسفى فى اختيار الطريق الاشتراكى أساسا للتنمية ، كما أورده الميثاق :

« ان الحل الاشتراكى لمشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر ، وصولا ثوريا الى التقدم ، لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختيارى ، وانما كان الحل الاشتراكى حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين ·

ان التجارب الرأسمالية فى التقدم تلازمت تلازما كاملا مع الاستعمار · فلقد وصلت بلدان العالم الرأسمالى الى مرحلة الانطلاق الاقتصادى على أساس الاستثمارات التى حصلت عليها من مستعمراتها ، وكانت ثروة الهند التى نزح الاستعمار البريطانى النصيب الأكبر منها هى بداية تكوين المدخرات البريطانية التى استعملت فى تطوير الزراعة والصناعة فى بريطانيا ·

واذا كانت بريطانيا قد وصلت الى مرحلة الانطلاق اعتمادا على صناعة النسيج فى لانكشير فان تحويل مصر الى حقل كبير لزراعة القطن كان شريانا

متصلا ينقـــل الدم الى قلب الاقتصاد البريطانى على حساب جوع الفـلاح المصـــــرى ٠

ان عصور القرصنة الاستعمارية التى جرى فيها نهب ثروات الشعوب لصالح غـــيرها بلا وازع من القانون أو الأخلاق قد مضى عهـدها ، وينبغى القضاء على ما تبقى من ذكريات لهــا ما زالت فيها بقية من الحياة خصوصا فى أفريقيـــا ٠

كذلك فان هناك تجارب أخرى للتقدم حققت أهدافا على حسبـــاب زيادة شقاء الشعب العامل واستغلاله ، اما لصالح رأس المـال أو تحت ضغط تطبيقات مذهبية مضت الى حـــد التضحية الكاملة بأجيال حية فى سبيل أجيـــال لم تطرق بعـد أبواب الحياة ٠

ان طبيعة العصر لم تعـد تسمح بشىء من ذلك ٠ ان التقدم عن طريق النهب أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجـــديدة ٠

ان هذه القيم الانسانية أسقطت الإستعمار ٠ كما أن هذه القيمأسقطت السخرة ٠ ولم تكتف هذه القيم الانسانية باسقاط هذين المنهجين وانما كانت ايجابية فى تعبيرها عن روح العصر ومثله العليا حين فتحت بالعلم مناهج أخرى للعمل من أجل التقـدم ٠

ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمــة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم ٠ ان أى منهاج آخر لا يستطيع بالقطع أن يحقق التقـــدم المنشود ، والذين ينادون بترك الحرية لرأس المـال ويتصورون أن ذلك طـــريق الى التقدم يقعون فى خطأ فادح ٠ ان رأس المـال فى تطوره الطبيعى فى البلاد التى أرغمت على التخلف لم يعـد قادرا على أن يقود الانطلاق الاقتصادى فى زمن نمت فيه الاحتكارات الرأسمالية الكبرى فى البلدان المتقـــدمة اعتمادا على استغلال موارد الثروة فى المستعمرات ٠

ان نمو الاحتكارات العالمية الضخم لم يـترك الا سبيلين للرأسمالية المحلية فى البلاد المتطلعة الى التقدم :

أولهما أنها لم تعد تقدر على المنافسة الا من وراء أسوار الحمايات الجمركية العالية التى تدفعها الجماهير ٠

وثانيهما ـ أن الأمل الوحيد لها فى النمو هو أن تربط نفسها بحركة الاحتكارات العالمية وتقتفى أثرها وتتحول الى ذيل لها وتجر أوطانها وراءها الى هذه الهاوية الخطيرة ٠

ومن ناحية أخرى فان اتساع مسافة التخلف فى العالم بين السابقين والذين يحاولون اللحاق بهم لم تعد تسمح بأن يترك منهاج التقدم للجهود الفردية العفوية التى لا يحركها غير دافع الربح الأنانى ٠

ان هذه الجهود بالتأكيد لم تعد قادرة على مواجهة التحدى ، ان مواجهة التحدى لا يمكن أن تتم الا بثلاثة شروط :

١ ـ تجميع المدخرات الوطنية ٠

٢ ـ وضع كل خبرات العلم الحديث فى خدمة استثمار هذه المدخرات ٠

٣ ـ وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج ٠

ومن الناحية الأخرى المقابلة لجانب زيادة الانتاج ، وهى ناحية عدالة التوزيع ، فان الأمر يقتضى وضع برامج شاملة للعمل الاجتماعى تعود بخيرات العمل الاقتصادى ونتائجه على الجموع الشعبية العاملة ٠ وتصنع لها مجتمع الرفاهية الذى تتطلع اليه وتكافح لكى يقترب يومه » ٠

بعد أن أوضح الميثاق الجانب الفلسفى أو الجانب النظرى لاختيار سبيل معين للتنمية دخل مباشرة فى تصوره للجانب التطبيقى ٠ واذا أمعنا النظر فى الجانب التطبيقى وجدنا تحديدا أكثر للجانب النظرى واطارا واضحا لمفهوم الطريق الاشتراكى المصرى للتنمية ٠ انك بعد أن تقرأ تصور الجانب التطبيقى تدرك على الفور أن حوارا عقائديا يمكن أن ينشب بين الاشتراكيين العلميين أقصد « الماركسيين » وبين الميثاقيين المصريين ٠ ان الاختلاف واضح فى عدة أمور جوهرية وهى اعتماد التنمية المصرية على جميع العناصر لا على الطبقة العاملة وحدها ٠ وان البدء بالصناعات الثقيلة وربط الحزام لسنوات

طويلة غير وارد · وان توزيع الفائض يقتضى وضع برامج شاملة للعمل الاجتماعى · يعود بخيرات العمل الاقتصادى ونتائجه على الجموع الشعبية العاملة وليس احتكارا لطبقة واحدة · ثم حق الارث وتذويب الفوارق وغير ذلك من أوجه الاختلاف ·

والأمر مع « الليبراليين » وهم دعاة الحرية الفردية أو محبذى الرأسمالية أيسر فى وضوح الخلاف بينهم وبين الميثاقيين المصريين · ولعل ذلك بسبب اللهجة أو النبرة العالية التى اتخذها الميثاق فى الهجوم عليهم برغم أنه يأخذ ببعض ما عندهم فى التنمية ·

ولقد بدأ تصور الميثاق للجانب التطبيقى برفض ترك التنمية لعفوية رأس المال الخاص ورفضه ترك توزيع فائض العمل الوطنى توزيعا عادلا للتطوع القائم على حسن النية · وخلص من ذلك الى نتيجة رآها محققة هى ضرورة سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج وتوجيه فائضها طبقا لخطة محددة ·

ولكن الميثاق أراد أن يكون أكثر تحديدا فذهب الى القول « بأن سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج لا تستلزم تأميم كل وسائل الانتاج ولا تلغى الملكية الخاصة ولا تمس حق الارث الشرعى المترتب عليها ، وانما يمكن الوصول اليها بطريقتين :

أولهما ـ خلق قطاع عام قادر يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية ·

وثانيهما ـ وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال ·

على أن تكون رقابة الشعب شاملة للقطاعين ، مسيطرة عليهما معا » ·

ومن هنا تبرز بوضوح شديد فكرة الاقتصاد المختلط القائم على دعامتين · ولكن الميثاق لا يريد أن تتوه الأدوار بين الدعامتين المتمثلتين فى القطاعين العام والخاص فيشير الى التخطيط الاشتراكى كوسيلة لتحديد دور كل قطاع بل ان التخطيط فى نظر الميثاق ينبغى أن يكون عملية خلق

علمى منظم يجيب على جميع التحـــديات التى تواجه مجتمعنا ، فهو ليس مجرد عملية حساب الممكن ، لكنه عملية تحقيق الأمل ٠

ويطالب الميثاق التخطيط فى مجتمعنا بأن يجـد حلا للمعادلة الصعبة التى يكمن فى حلها نجاح العمل الوطنى ماديا وانسانيا ٠ هذه المعادلة هى : كيف يمكن أن نزيـــد الانتـاج ٠٠ وفى نفس الوقت نزيـــد الاستهلاك فى السلع والخدمات ؟ هـــذا مع استمرار التزايد فى المدخرات من أجل الاستثمارات الجـــديدة ؟ ٠

يجيب الميثاق بأن هـذه المعادلة الصعبة ذات الشعب الثلاثة الحيوية تتطلب ايجاد تنظيم ذى كفاية وقدرة تستطيع تعبئة القوى المنتجة ورفـــع كفايتها ماديا وفكريا وربطها بعملية الانتاج ٠

ان هذا التنظيم مطالب بأن يدرك أن غاية الانتاج هى توسيع نطـــاق الخدمات ، وأن الخدمات بدورها قوة دافعة لعجلات الانتاج ٠ وأن الصـلـة بـــين الانتاج والخدمات وسرعتها وسهولة جريانها ، تصـنع دورة دموية صحية لحياة الشعب ولحياة كل انسان فرد فيـه ٠

« ان هـــذا التنظيم لابد له أن يعتمـد على مركزية فى التخطيط وعلى لا مركزية فى التنفيذ ٠ تكفل وضع برنامج الخطـة فى يـد كل جموع الشعب وأفـــراده » ٠

ويرى الميثاق نتيجة لذلك انه يجب أن يقع النصيب الأكبر من خطـة التنمية على كاهل القطاع العام ٠ ثم يجمل الخطوط والحدود التى يتصورها للقطاعين العام والخاص فى خمس مجالات هى :

أولا ـ فى مجال الانتـاج عموما :

يجب أن تكون الهياكل الرئيسية لعملية الانتاج ، كالسكك الحديدية والطرق والموانى والمطارات وطاقات القوى المحركة والسدود ووسائل النقل البحرى والبرى والجوى وغيرها من المرافق العامة ، فى نطاق الملكية العـامة للشـــعب ٠

ثانيا ـ فى مجـــال الصـــناعة :

يجب أن تكون الصناعات الثقيلة والمتوسطة والصناعات التعدينية فى غالبيتها داخلة فى اطار الملكية العامة للشعب • واذا كان من الممكن أن يسمح بالملكية الخاصة فى هذا المجال فان هذه الملكية الخاصة يجب أن تكون تحت سيطرة القطاع العام المملوك للشعب وفى ظله • ويجب أن تظل الصناعات الخفيفة بمنأى دائما عن الاحتكار • واذا كانت الملكية الخاصة مفتوحة فى مجالها فان القطاع العام يجب أن يحتفظ بدور فيها يمكنه من التوجيه لصالح الشـــعب •

ثالثا ـ فى مجـــال التجـــارة :

يجب أن تكون التجارة الخارجية تحت الاشراف الكامل للشعب ، وفى هذا المجال فان تجارة الاستيراد يجب أن تكون كلها فى اطار القطاع العام وان كان من واجب رأس المـال الخاص أن يشارك فى تجارة الصادرات • وفى هذا المجال فان القطاع العام لابد أن تكون له الغالبية فى تجارة هـــذه الصادرات منعا لاحتمالات التلاعب • واذا جاز تحديد نسب فى هذا النطاق فان القطاع العام لابد له أن يتحمل عبء ثلاثة أرباع الصادرات مشجعا للقطاع الخاص على تحمل مسئولية الجزء الباقى منها •

يجب أن يكون للقطاع العام دور فى التجارة الداخلية ، ولابـــد للقطاع العام على مدى السنوات الثمانى القادمة ، وهى المدة المتبقية من الخطة الأولى للتنمية الشاملة من أجل مضاعفة الدخل فى عشر سنوات ، أن يتحمل مسئولية ربع التجارة الداخلية على الأقل منعا للاحتكار ليفسح مجالا واسعا فى ميـدان التجارة الداخلية للنشاط الخاص والتعاونى ، على أن يكون مفهوما بالطبع أن التجارة الداخلية خـــدمة وتوزيع مقابل ربح معقول لا يصل الى حـــد الاستغلال تحت أى ظرف من الظروف •

رابعا ـ فى مجـــال المـــال :

يجب أن تــكون المصارف فى اطار المــلكية العامــة فان المــال وظيفته وطنية لاتترك للمضاربة أو المغامرة ، كذلك فان شركات التأمين لابد أن تكون فى نفس اطار الملكية العامة صيانة لجـزء كبير من المدخرات الوطنية وضمانا لحسن توجيهها والحفاظ عليهـا •

خامسا ـ فى المجــال العقــارى :

يجب أن تكون هناك تفرقة واضحة بين نوعين من الملكية الخاصة : ملكية مستغلة أو تفتح الباب للاستغلال ، وملكية غيرمستغلة تؤدى دورها فى خدمة الاقتصاد الوطنى كما تؤديه فى خدمة أصحابها » .

ويعود الميثاق الى تأكيد عدم الغاء دور القطاع الخاص بل ويذهب الى الاعتراف بحقه فى حماية الدولة له بقوله :

« ان القطاع الخاص له دوره الفعال فى خطة التنمية من أجل التقدم ، ولابد من الحماية التى تكفل له أداء دوره . والقطاع الخاص الآن مطالب بأن يجدد نفسه ، وبأن يشق لعمله طريقا من الجهد الخلاق لا يعتمد كما كان فى المـاضى على الاستغلال الطفيلى » .

ويخلص الميثاق فى نهاية الأمر الى نقطة جوهرية هى أن الطـريق الاشتراكى ـ كما رسمه الميثاق ـ يتيح فرص حل الصراع الطبقى سلميا بما يتيح من تذويب الفوارق بين الطبقات وبتوزيع عائد العمل على كل الشعب طبقا لمبدأ تكافؤ الفرص .

وعنـــدما نضع كل ما تصوره الميثاق وذكره عن الطـريق الاشتراكى المصرى للتنمية على مائدة الاقتصاد نجد أنه تعبير عن الاقتصاد المختلط . ومن ثم نحكم على التنمية المصرية بأنها تنمية مختلطة .

يبقى بعد ذلك سؤال لابد وأن يطرح نفسه .. ومن هذا السؤال .. وهو التناقض بين الميثاق وبين ما حدث فعلا وأسبابه ؟ تأتى العلة وراء عديد من الأسئلة والانتقادات التى توجه الى تجربة التنمية المصرية .

ان اجابة هذا السؤال هى أخطاء التطبيق التى وصلت فى بعض الأحيان الى درجة الخطايا المركبة . ويوم تفتح ملفات هذه الخطايا وتعرض وتناقش ستستفيد التنمية والاعلام قدر ما تستفيد الديمقراطية من التجارب المريرة .

ان الممارسة الديمقراطية ضرورية لنجاح التنمية ، وقد أخفقت التنمية المصرية بقـــدر ما كبتت الحرية وتبوأ الاستبداد . ونجحت بقـدر ما أتيح للديمقراطية أن تترعرع .

ولقد عبرت ورقة أكتوبر التى قدمها الرئيس السادات كوثيقة ثورية للشعب المصرى فى أبريل عام ١٩٧٤ عن تغيير الواقع المصرى بعد انتصار أكتوبر ١٩٧٣ وهى وثيقة هامة لأنها مراجعة للتجربة برمتها فى جانبيها الفلسفى والتطبيقى • ونعرض الآن للجانب الفلسفى • وأول ما أكدته هذه الوثيقة هو أهمية الاستفادة من حركة المد التاريخى الذى صاحب انتصار أكتوبر فى التنمية بقولها :

« علينا أن نستخدم التعبئة الشاملة لكل القوى الوطنية على اختلاف منابعها الفكرية ومواقعها الاجتماعية ، لنخوض حربا فاصلة ضد بقايا التخلف ، ونبدأ فى أسرع وقت مرحلة الانطلاق » •

وعندما تناولت هذه الوثيقة من مواثيق ثورة ٢٣ يوليو تحليل الواقع المصرى تحت عنوان معالم على الطريق أكدت أن مصر عاشت قرونا طويلة يحكمها نظامان ثابتان وان اختلفت الوجوه والمظاهر : نظام اقطاعى ونظام استعمارى •• حتى نهاية الحرب العالمية الثانية • وبرغم الثورات والانتفاضات الوطنية المتوالية ، الا أن هذين النظامين بقيا بشكل أو بآخر يحددان نوع العلاقات الاجتماعية فى مصر ونمط النشاط الاقتصادى فيها • وأى أيدى يتركز فيها الثراء الناتج من عرق الشعب بأكمله • وحظ أبنائها المحدود فى توجيه سياسة بلادهم • وقد كان هناك على الدوام نضال وطنى حاد لم ينقطع • ولكن مصر مع ذلك دخلت النصف الثانى من القرن العشرين وقد بدا أن الطرق أمامها والحريات السياسية شكلية ، والمشاكل الاجتماعية تتفاقم ازاء تزايد السكان وتعاظم التطلعات وعدم وجود أى تفكير فى التنمية، والأحزاب التقليدية عاجزة عن استيعاب الأفكار الجديدة • وتشكيل أى حكومة مصرية أو سقوطها رهن برغبة السفير البريطانى • وكان لابد أن تهب النزعات المتطرفة فى كل اتجاه ، وأن تقع انقسامات خطيرة فى صفوف الشعب ، تهدد بتمزق حاد فى نسيجه الوطنى •

وقامت ثورة ٢٣ يوليو تكسر الحلقة المفرغة • وتوالت الاجراءات التاريخية : من قانون الاصلاح الزراعى ، الى تأميم قناة السويس ، الى انشاء القطاع العام ، ووضع برامج التنمية ، واقامة المصانع بالمئات ، واقامة الدولة الاشتراكية التى تتلاءم مع تراثنا وظروفنا وواقعنا التى هى

فى جوهرها تلك الدولة التى تعتبر نفسها مسئولة عن كل أبنائها ، الضعيف منهم قبل القوى ، مسئولة عن منحه فرصة متكافئة وتأمين حقه فى العمل ، وتوفير الخـــدمات اللازمة له ، وتحصينه بمظـــلة من التامينات العلاجية والضمانات الاجتماعية ، لن تتوقف عن الاتساع حتى تشمل كل المواطنين ».

وعنـــدما تتعرض ورقة أكتوبر الى مستقبل التنميـــة يرد الرئيس السادات على السؤال : الى أين نسـير ؟ قائلا : انه يجب علينا أن نتحـرك فى اتجاهين :

الأول : تخليص تجربتنا الوطنية من كل السلبيات التى شابتهـا أو عاقت حـركتها .

والثانى ـ أن نوائم بين حركة العمل الوطنى وبين الظروف الجـديدة التى نعيشها ويعيشها العالم من حولنا .

ويخلص الرئيس السادات فى تحليله للسلبيات التى لحقت بالتجربة بأن من حق شبابنا بالذات أن يـــدرك التقييم الموضوعى للتجربة ليعرف بالدقة ماذا حقق الجيل الذى قاد الثورة وعاصرها ؟ وماذا كان مقدار جهده ؟ وما تعرض له العمل الوطنى من نواقص ليتخذ عن اقتناع مكانه الطبيعى فى حركة العمل الوطنى بـدل أن تمزقه التيارات التى تحاول أن تنكر التجربة جمـلة وتفصيلا .

وعن الاتجاه الثانى وهو أن نوائم بـــين حركة العمل الوطنى وبـين الظروف الجديدة التى نعيشها ويعيشها العـــالم من حولنا ، يرى الرئيس السادات .. انه علينا أن ننفض كل عقد الخوف وأن نتعامل مع العالم أجمع فى ثقة بالنفس واطمئنان الى قـدرتنا على الحفاظ على استقلالنا السياسى والاقتصادى ومالرتضيناه لأنفسنا من نظام لجتماعى من خلال أوسع أشكال التعاون مع كل من يبدى الرغبة فى التعاون معنا .

لعـل فى ذلك القول الاجابة الكافية لفلسفة الانفتـــاح الاقتصادى التى تتحدث عنها وسائل الاعلام المختلفة . ويدور حولها الكثير من الاستفسارات والمخاوف والآمال فى نفس الوقت .

وتوضح ورقة أكتوبر أبعاد التنمية الاقتصادية بشيء كثير من التفصيل فتقول :

« وقضية التنمية تكتسب اليوم وضعا أكثر أهمية بسبب المعركة ضد العدوان ، فقد تحمل الاقتصاد المصرى منذ ١٩٦٧ حتى ١٩٧٤ ما يزيد عن خمسة آلاف مليون جنيه انفاقا عسكريا مباشرا ، وتحمل من الخسائر ومن فقد فرص الربح التى ضاعت بسبب العدوان ما يقارب هذا المبلغ • أى أن الشعب المصرى قد تحمل فى سبيل ردع العدوان أكثر من عشرة آلاف مليون جنيه ، فضلا عن أرواح شهدائه التى لا تقدر بثمن •

ان عبء الانفاق العسكرى قد هبط بمعدل التنمية فى مصر من ٦ر٧٪ وهى النسبة التى سادت الفترة من ١٩٥٦ ـ ١٩٦٥ الى أقل من ٥٪ سنويا • وكان أفدح ما أصاب الاقتصاد المصرى فى هذه الفترة هو التخلف فى عمليات الاحلال والتجديد فى المرافق الأساسية والوحدات الانتاجية والخدمات ، مما يلقى على اقتصادنا فى المرحلة المقبلة عبئا ضخما فى هذا المجال وحده » •

وأهم ما تضيفه ورقة أكتوبر فى المجالات الجديدة التى تطرقها سعيا وراء دفع عجلة التنمية هو تحديد دور كل قطاع اقتصادى فى المجتمع فتقول :

« ان لدينا قطاعات الاقتصاد القومى الثلاثة ، القطاع العام ، والقطاع الخاص ، والقطاع التعاونى ، وبسياسة الانفتاح الاقتصادى يتسع المجال أمام الاستثمارات العربية الأجنبية وهذا كله فى اطار من التخطيط الذى يرسم أهدافا استراتيجية لتغيير صورة البلاد تغييرا جذريا • ويضع الخطط التفصيلية التى تكفل تحقيق هذه الأهداف » •

أما عن القطاع العام ، فقد سبق القول أنه :

« بما توافر له من وضع قيادى فى اقتصادنا القومى كان الأداة الفعالة فى التنمية • وبفضله تحققت الزيادة الضخمة فى الانتاج ، وقامت المشروعات الكبرى • ومن عائده استمر تمويل التنمية • وهو الذى حقق الصمود الاقتصادى بعد العدوان » •

ويتطرق الرئيس السادات الى تصحيح تجربة القطاع العام قائلا :

« ولا شك أن تجربة القطاع العام قد شابتها بعض الشوائب • فقـــد تسللت البيروقراطية الادارية الى الكثير من مواقعه ، وتحمل القطاع العـام عبء ضم مرافق ما كان لها أن تدخل فيه ، ولا طاقة لأجهزته على ادارتها ، سواء لتبعثرها ، أو صغر حجمها أو لأنها مما يحسن تركه للقطاع الخاص ، لأنه لا يمثل أهمية اقتصادية تتفق مع جوهر مهمة القطاع العام • كذلك فان بعض قرارات الضم الى القطاع العام قـــد دفعت اليها نزعة عقابية شوهت فكرة القطاع العـــام التى لا تمت الى العقاب بصلة ثم أنه كان عليـــه أن يستوعب ويتحمل الكثير ممـا يمت بصلة الى مشاكل قومية أخرى ، فهو الذى دفع ثمن أخذنا بسياسة العمالة الكاملة ، وتثبيت الكثير من أســـعار السلع لتكون فى متناول يـد الجماهير • على أننى أود أن أؤكد أن تجـــربة القطاع العــام فى التحليل الآخير ايجابية تماما • وما يحـــدث أحيانا من انحرافات أو قصور فى الأداء لا يجوز أن يطمس فى أذهاننا الصورة الحقيقية لمنجزات القطاع العام ولكفاءة رجاله الذين شكلتهم تجربته بمئـــات آلاف من مديرين وخبراء وفنيين وعمال ، يعدون الآن ثروة قومية تعتد بها البلاد ، ورصيدا ضخما فى بنـــاء مستقبلها » •

هـــل يتعارض الدور القيادى للقطاع العام مع سياسة الانفتاح ومع تشجيع الاستثمار الأجنبى ؟ يجيب الرئيس السادات فى ورقة أكتوبر بقوله:

« ودور القطاع العام فى المرحلة المقبلة بالغ الأهمية • ففى ظل سياسة الانفتاح ، وتشجيع القطاع الخاص والاستثمار العربى والأجنبى ، يظـــل القطاع العام هو الأداة الأساسية لتنفيذ أى خطة للتنمية ، وهو الذى يتولى المشروعات الأساسية التى لا يقـــدم عليها غيره • ذلك أن القطاع العام هو وحده الذى يمكن أن تلزمه الخطة الزاما مباشرا،فى حين أن التخطيط للقطاعات الأخرى له معنى مختلف ، ويتم بأساليب غـير مباشرة كالضرائب والائتمان والأسعار ، والحوافز والاعفاءات • كما أن القطاع العام يظل الأداة الأساسية للتعبـــير عن الارادة الوطنية فى تشكيل اقتصادنا القومى • انه الضـــمان الرئيسى لأن تظل القرارات الاقتصادية الهامة قرارات مصرية ، تعبر بالفعل عن استقلال مصر الاقتصادى ، فى اطـــار القوانين الثابتـــة التى تكفل الاستقرار لسائر القطاعات ، ودون اللجوء الى سياسة الاجراءات الاستثنائية التى تم العدول عنهـــا •

=

ثم ان القطاع العام ، خصوصاً فى البلاد النامية ، هو الذى يقدم للقطاع الخاص وللاستثمارات الأجنبية خدمات لا يمكن الاستغناء عنها ، فالاستثمارات لا تتجه الى البلاد التى تفتقد مقومات البيئة الاستثمارية اللازمة ، انما تتجه الى البلاد التى تتوفر فيها هذه البيئة من هياكل انتاجية كافية ، ومرافق حيوية ، ودرجة كافية من التصنيع وخبرات فنية محلية ، وأيدى عاملة ماهرة • وكلها عناصر لعب القطاع العام الدور الأساسى فى تشييدها وايجادها فى مصر على نطاق غير متوفر فى كثير من البلاد الأخرى النامية • ان القطاع العام ظاهرة معروفة فى كل البلاد ، وهو عندنا السند القوى الذى نستند اليه لننفتح اقتصادياً بغير عقد ، وفى حرية حركة كاملة » •

وبعد تمهيد عن أهمية القطاع الخاص فى التنمية ، وعن أهمية الاستفادة من كل الموارد الطبيعية والبشرية المصرية ، وبالاستفادة من كل مبادرة فردية خلاقة ، وتشغيل كل طاقة قادرة على العطاء ، وترشيد الاستهلاك عن طريق ايجاد مجالات انتاجية تتجه اليها المدخرات وتشجيع على المزيد من الادخار ، وأن فى هذه المجالات المختلفة يستطيع القطاع الخاص أن يؤدى دوراً كبيراً •• بعد هذا التمهيد الذى يشد اهتمامات المستثمرين ويبصرهم برحابة المجالات التى يمكنهم الاستثمار فيها يزيدهم الرئيس تشجيعاً بقوله عن القطاع الخاص :

« ولا بد من أن نقر بأننا لم نف دائماً باحتياجاته ، ولم نوفر له كل الظروف التى تشجعه على مضاعفة نشاطه الانتاجى ، ثم أن تعاقب القرارات والتصرفات المتناقضة بشأنه قد عطل فاعليته كطاقة انتاجية ، فصرفه الى استثمارات طفيلية ، أوجد لدى أصحابه أنماطا استهلاكية مسرفة ، حين كانوا لا يجدون سبيلا الى استثمار ما لديهم فى انتاج مستقر • وقد آن الأوان أن تختفى هذه الظروف نهائياً ، وأن يجد القطاع الخاص من الاستقرار الفعلى والتشجيع ، ما يشجعه على الاندفاع بأقصى ما لديه فى مجال الانتاج وسد حاجات المجتمع » •

وتكشف ورقة أكتوبر القضايا الجديدة المطروحة على التنمية المصرية وأهمها :

المال العربى والاستثمار الأجنبى والانفتاح فتقول :

« اننا نريد للتعاون الاقتصادى العربى أن يدخل مرحلة نشيطة وقوية ، تحقق معدلات تنمية عالية فى كل الأقطار العربية ، وتجعل من العرب قـوة متعاظمة الشأن فى الاقتصاد العالمى ، تكون الأساس المادى لقوتهم السياسية ، ولذلك فاننا نوفر للمستثمر العربى كل الضمانات التشريعية ، ونوفر لـه ما هو أهم من ذلك وهو القدرة الاستيعابية للاقتصاد المصرى فى ظل استقرار سياسى واجتماعى وتنمية اقتصادية مطردة ٠

أما عن رأس المـال الأجنبى ، فليس عندى من رد على المتشككين خـير مما جاء فى الميثاق من أن سيادة الشعب على أرضه ، واستعادته لمقـدرات أموره ، يمكنه من أن يضع الحدود التى يستطيع من خلالها أن يسمح لرأس المـال الأجنبى بالعمل فى بلاده ٠

كذلك فان الانفتاح الذى أعلناه هو انفتاح على العالم كله شرقه وغربه ، لأننا ندرك تماما أن تنوع علاقاتنا الاقتصادية الدولية هو الأسـاس المـادى لحرية حركتنا السياسية » ٠

ثم تتناول ورقة أكتوبر التصنيع والزراعة والسياحة فتحدد الأمل فى انطلاق جديد نحو التصنيع السريع والمكثف ٠ اعتمادا على سياسة الانفتاح الاقتصادى التى ترى أنها سوف تزودنا بأحدث وسائل التكنولوجيا الحديثة وتمكننا من زيادة الصادرات عن طريق رفع مستواها ، واعتمادا على سياسة اقامة المناطق الحرة التى ترى أنها ستجلب لنا صناعة حديثة ، وتساهم فى تشغيل الأيدى العاملة ، وتجعل لدينا مراكز تخزين وتوزيع عالمية بحـكم موقعنا الجغرافى الفذ ، وهى أيضا سوف تساهم بهذا كله فى الاسراع بسياسة التصنيع وتطوير صناعاتنا المحلية وتحديثها ٠

وفى مجال الزراعة تحدد ورقة أكتوبر تصورها لدفع عجلة التنمية فيها بما تقدمه الصناعة ، من آلات وأسمدة حتى يمكن أن نطور الزراعة المصرية تطويرا جذريا يزيد من انتاجها ، بمعدل يواكب معدل التنمية الصناعية ، حتى لا يختل بنيان الاقتصاد المصرى ، وحتى نحد من اعتمادنا على الاسـتيراد فى المنتجات الزراعيـة ٠

وفى مجال السياحة تشير ورقة أكتوبر الى أنه لا بد من دفعـة ثورية

لتطوير نشاط السياحة فى مصر • فنحن فى وضع ممتاز من حيث امكانيــات السياحة على مدار السنة ، وبمختلف أنواعها من تاريخية ودينية وطبيــة وترفيهية • ونحن بموقعنا الجغرافى فى قلب العالم وملتقى طرقه وعلينا أن نوفر للسائح التسهيلات والاتصالات التى تربطه بالعالم • وأن نطور البيئة الحضارية التى يحتك بها السائح •

هذه هى الجوانب الفلسفية لورقة أكتوبر ، فمذا عن الجانب التطبيقى ؟

ان الاجابة الموضوعية تتلخص فى أن التجربة ما زالت تشكل نفسها بنفسها وأن الحكم عليها فى يد التاريخ ، وليس هذا افلات من الحكم أو توجيه النقد أو الدعوة الى التأييد أو الرفض ، وانما علمتنا التجــارب المصرية أن التطبيق هو المقياس الحقيقى لسلامة الأفكار • وبقدر ما تحقق التجربة من عدالة اجتماعية ومن مصلحة الغالبية العظمى بقدر ما تحقق من نجاح • وبقدر ما يتاح من ديمقراطية حقيقية بقدر ما تحرز التنمية انطـلاقا وازدهارا • ومصلحة الجماهير وحرية الجماهير هما ــ فيما أرى ــ التعبير الصحيح عن شعار الاشتراكية الديمقراطية •

البعـــد البشرى للتنميــة :

الانسان هو صانع التنمية ، وهو فى نفس الوقت هـدف التنمية ٠٠ بمعنى أن الجهد البشرى هو العنصر الحاسم فى عملية التنمية ، وأن هـدف خطط التنمية هو اسعاد الانسان ، وتلبية حاجاته المتزايدة على الدوام ٠٠ فان ما كان من الكماليات أمس أصبح اليوم من الضروريات ، ولا شـك أن الكثير من كماليات اليوم ستصبح غداً فى قائمة الضروريات ٠

وتتكيف أحوال الانسان بتطور الاختراعات وتقـدم العلم بصـــورة مستمرة ، ويحدث الاختراع الجديد تأثيرا مباشرا على حيـــاة الانســـان باستعماله ، لأنه يحقق رغبته ، ويعتاد الانسان على الاختراع الجـديد ، ويكيف أحواله على أساسه ، ثم يصبح الانسان عنصرا ضاغطا لتطـوير الاختراع والبحث عن اختراع جديد يفوقه قدرة وكفاءة ٠٠

ولا شك أن الطيران يضرب لنا أوضح مثل على ذلك ٠٠ ان الانســان يرى الآن فى السفر بالطائرة نصف النفاثة فى المسافات الطويلة عذابا وعناء ، وهو يفضل الطائرة الأسرع من الصوت فى السفر الطويل ٠٠ واذا قارنا أبطأ طائرة ركاب بسرعة السيارة لا سرعة الخيل لرأينا كم أصبح الانســـان طامحا فى المزيد ٠٠

وكما وضعنا حدودا فاصلة للاعلام تفصله عن الدعاية أو التعليم أو الثقافة ، لا بد وأن نضع شيئا من التحديد حول البعـد البشرى للتنميـــة ، ونفصله عن مفهوم الحضارة أو مفهوم التحديث أو مفهوم التمدين ٠ ذلك لأن الانسان هو صانع كل ذلك ، الا أن مفهوم التنمية يختلف عن مفهوم الحضارة وعن مفهوم التحديث أو التمدين ٠ تتفق اذن هذه المسميات فى العنصر البشرى ، وتتفق أيضا فى أنها تصب فى بحيرة الحضارة الواسعة ٠ ولكن الاختلاف هو أن لكل منها محتوى لا يتعداه ٠ فالتحديث مثلا يعنى أن يأخذ المجتمع بأساليب الحياة الحديثة ، والتمدين مثلا هو أن تنتقل أساليب حياة المدينة العصرية الى الريف ٠٠ وكلا الأمرين يتم فى التنمية وفق الظروف الموضوعية الرشيدة لكل

مجتمع يقطع خطوات متوثبة فى التنمية • أما الحضارة فهى أشمل من ذلك وأوسع دائرة •• انها بحيرة صبت فيها كل هذه الروافد سنوات طويلة واختمرت فيها هذه المفاهيم وغيرها ونبتت وتأصلت حتى أصبحت تراثاً متميزا ومتكاملا •

فلنقف اذن قليلا أمام معنى الحضارة • ما هو مفهوم الحضارة ؟

« انها(٨) جملة الانجازات الملموسة التى يقدمها مجتمع من المجتمعات خلال عهد معين ، فى شتى مظاهر الحياة من سياسية واجتماعية وعمرانية ودينية ، نتيجة لتفاعل أبناء هذا المجتمع مع البيئة التى يعيشون فيها بشكل جيد • أى أن عناصر الحضارة الرئيسية هى : البيئة الملائمة ، والانسان ، والحياة الاجتماعية » •

وكلمة « حضارة » مشتقة فى اللغة العربية من « الحضر » ــ وهم سكان المدن • ونجد الكلمة فى اللغة اللاتينية مشتقة من نفس المفهوم تقريبا حيث أن كلمة «civilisation» الفرنسية وكلمة «civilization» الانجليزية مشتقتان من كلمة civitas اللاتينية ومعناها « مدينة » •

ولكن مدلول الحضارة فى لغتنا المعاصرة أكثر تعقيدا وتركيبا من مدلول اللفظ فى لغتنا العربية ، أو فى الأصل اللاتينى الذى اشتقت منه اللغات الأوربية لفظ الحضارة •

ويرى بعض مؤرخى الحضارة وفلاسفة التاريخ أن هناك فارق بين كلمة « حضارة » وكلمة « مدنية » حيث أن المدنية ــ فى رأيهم ــ هى الحضارة بعد أن تجف وتتحجر وتتوقف عن العطاء والابداع •

ان الانسان هو صانع الحضارة ، وحالة الحضارة ، كما يحددها بول بوريل(٩) هى مضادة لحالة الطبيعة وليست لحالة البربرية التى هى فقط تسمية تحقيرية تنعت بها حضارة ما حضارة أخرى •• وبول بوريل يرى أن

---

(٨) د • أحسان هندى ــ كلمات فى الحضارة ــ مجلة العربى ــ العدد ٢٢٤ ــ بتاريخ يوليو ١٩٧٧ •

(٩) بول بوريل ــ ثورات النمو الثلاث « ترجمة اديب العاقل » مطبعة وزارة الثقافة السورية ــ دمشق ــ ١٩٧٠ ــ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ •

شرط الحضارة يتمثل فى السيطرة على الطبيعة وفى وجود جانب ثقافى وفى وجود جانب أخلاقى ، وعلى ذلك فالحضارة فى رأيه مصنوعة من مستوى ما من العلاقة مع الطبيعة والسيطرة عليها ، ومن تطلع ذى قيمة انسانية ، ومن نماذج عمل وتفكير ، لا بد اذن من الأقطاب الثلاثة : الطبيعة ، والأخلاق ، والثقافة حتى يستطيع الانسان انجاز الحضارة ٠

وسأضرب لكم مثلا مصرياً يشرح بطريقة ملموسة التصور الذى تصوره الكاتب الفرنسى لمفهوم الحضارة ، لقد زرع فتحى كامل الأمين العام الأسبق لاتحاد العمال العرب وجماعة من صحبه فى العقد السابع من هذا القرن شجرة الكاتب الفرنسى لمفهوم الحضارة ، لقد زرع فتحى كامل الأمين العام الأسبق أمام المقهى الذى تعودوا الجلوس عليه فى أحد شوارع وسط القاهرة ، وكان ذلك فى وقت أبعدت فيه بعض مراكز القوى هذا المناضل المصرى عن مواقع الخدمة ولكن الشجرة التى أضرب لكم بها مثلا واقعة حضارية ٠٠ لماذا ؟ لأن نقل هذه الشجرة من المشتل الى مكان غرسها نوع من السيطرة على الطبيعة أستخدم فيه علم الزراعة ٠٠ وزراعة هذه الشجرة قيمة أخلاقية تعبر عن استمرار الخدمة الوطنية بأبسط نموذج ممكن ٠ ولعل ذلك يذكرنا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم بأن اماطة الأذى عن الطريق صدقة ٠٠ ثم فى زراعة هذه الشجرة قيمة ثقافية كأسلوب عن التعبير يصبح مثلا للأجيال القادمة ٠

ان جوهر البعد البشرى للتنمية يتلخص فى وعى الناس بضرورة التنمية وبأهدافها وبدورهم فيها ، ويستتبع ذلك تغيير الظروف المعوقة للتنمية سواء فى داخل الناس ٠٠ من أفكار وقيم ومعتقدات وسلوك ، أو فى خارج الناس فى واقعهم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى وما شابه ذلك ٠ ويستتبع ذلك بذل جهد بشرى سريع ومكثف لتدور عجلة التنمية الشاملة بأقصى سرعة ممكنة ٠

وسنجد أن الوعى ، والتغيير ، والجهد السريع ، ـ وهى جوهر البعد البشرى للتنمية أو هى محتوى هذا البعد ـ تتدافع فى عملية التنمية معاً كما تتدافع القدمان واليدان عندما يجرى الانسان ٠ ولأن التنمية ديناميكية وفعالة ، ولأن عناصر الوعى ، والتغيير والجهد السريع المكثف ليست منفصلة بعضها عن بعض ، لذلك نجد أن أطراف البعد البشرى للتنمية يمسك بعضها

ببعض ويسبب بعضهـــا البعض ويؤدى بعضهـــا الى البعض ويكمـل بعضها بعضـاً ٠

ان الانتقال من حالة التخلف الى حالة التقدم يتطلب جهداً بشرياً عقلياً قبل كل شيء ٠ والنمط الاجتماعى أو السيكولوجى الذى يصحب انتقال الفرد من المجتمع التقليدى فى القرية الى مجتمع المدينة وما يصاحب ذلك من تفاعل وتطور يرتكز على الانسان ٠ ان الانسان الذى يتغير فى المجتمع عادة يتميـز بشخصية متحركة لها قدرة كبيرة على التخيل وتصـور نفسهـا فى ظـروف الآخرين ، هذه القـدرة على التخيل هى الوسيلة التى تمكن العناصر الجديدة المتحركة على العمل بكفاءة فى العالم المتغير ٠

وهـذه مهارة لا غنى عنها للشعب الذى يتخلص من الاطار التقليدى ، فالقدرة على التخيل هى أسلوب الحياة السائد الذى يميز الأفراد فى المجتمع الحديث ٠٠ المجتمع الذى يتميز بصناعة متطورة ونسبة كبيرة من سـكانه تعيش فى المدن ٠٠ ونسبة التعليم مرتفعة كما أن نسبة الذين يساهمون فى النشاط السياسى عالية ٠

ان ما نسميه بالجهد البشرى العقلى أو بالشخصية المتحركة أو بالقدرة على التخيل ليس حكراً على شعب من الشعوب ٠٠ وليس قدرة خاصة بجنس أو لون ٠٠ وكل مايروجه دعاة التفرقة العنصرية والفاشيون من أن التخلف خصيصة عرقية فى بعض الشعوب ، وأن أجناساً من الناس لا تستطيع الفكاك من التخلف ٠٠ كل ذلك مجرد كذب وتزوير ٠ لـماذا ؟

اذا كان التخلف لدى بعض الأجناس من البشر خصيصة عرقية فهـو مسبب ، بمعنى : هل الزنوج فى الولايات المتحدة مثلا قـد حولوها الى دولة متخلفة ؟! وهذا غير صحيح ٠٠ التخلف عند اقوام اذن هو نتيجـــة وليس بسبب خصيصة عرقية ٠٠ ما دام التخلف نتيجة ، فالأمر يختلف ، انه نتيجة لظروف اجتماعية وتاريخية وجغرافية واقتصادية وثقافية وغير ذلك ٠٠ وكلها ظروف فرضها السيد الأبيض وفرضها فى مواقع عديدة ٠

ولقد وصف بعض الخبراء التنمية بأنها (استيقاظ الوعى) وأن مجتمعاً ما يتطور ، اذا نمى الأفـراد الذين يتالف منهم قـدراتهم الحقيقـة وكانوا مستعدين لأن يمنحوا أنفسهم للجهد الاجتماعى والجماعى الذى يشعرون انهم معنيون به شخصياً وبشكل مباشر ، والذى يجدون فيه ارتباطا بمصائرهم ،

آنئذ يندمج الاعلام بمفهوم الادراك ويغدو عندئذ واضحا أن الاعلام سيكون عاملا حاسما فى جميع الطرق التى تجعل مساهمة الفرد أساسا فى التنمية ٠

والتنمية تعتمد أساسا على الجهد الذاتى للمجتمع ، ففى اليوم الأول لوصول الجيش السوفيتى الى كوريا الشمالية فى أواخر الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ للعمل على تصفية الوجود العسكرى اليابانى بها أعلن الجيش السوفيتى بيانا يقول فيه (١٠) :

« أيها الشعب الكورى ٠٠ لقد أصبحت كوريا بلدا للحرية ، ومع ذلك فان هذه هى الصفحة الأولى فحسب فى التاريخ الكورى ٠ ان بستانا وفيراً ومثمراً وجميلا هو نتاج جهد الانسان وهمته ٠ ولذلك فان سعادة كوريا أيضاً يمكن أن تتحقق فقط عن طريق الجهود البطولية التى ستقومون بها أنتم يا أبناء الشعب الكورى ، تذكر أيها الشعب الكورى أن سعادتك بين يديك ٠ لقد حصلت على الحرية والتحرر ٠ والآن فان كل شىء يتوقف عليك ٠ ان الجيش السوفيتى سوف يهيىء للشعب الكورى كل الظروف للعمل الحر والخلاق الذى سوف يشرع فيه ٠ ان الكوريين يجب أن يجعلوا من أنفسهم صانعى سعادتهم » ٠

ان الجملة الأخيرة على وجه الخصوص هى ما ينبغى أن يضعها كل شعب أمام عينيه وهو يفكر فى التنمية ٠

ولقد أبرز الرئيس المصرى أنور السادات فكرة اعتماد التنمية على الجهد الذاتى للمجتمع بصورة أكثر شمولا وتحديداً ووضوحاً بقوله :

« ان التنمية الحقيقية للشعوب فى كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية يرتبط نجاحها بشروط أساسية : فمن ناحية ينبغى أن تنبع التنمية من الارادة الوطنية الحرة(١١) ، وأن تنطلق من واقع كل مجتمع وظروفه ، وأن يشارك فيها كل أبناء الوطن ، ومن ناحية أخرى فان التنمية تعتمد أيضاً على التعاون الدولى ، والتضامن الحقيقى بين الشعوب وتبادل الخبرات والخدمات ٠٠٠ » ٠

---

(١٠) كيم ايل سونج ــ حول مسالة التوحيد السلمى فى كوريا ــ دار الطليعة ــ بيروت ــ بدون تاريخ ــ ص ٤ ٠

(١١) من رسالة الرئيس انور السادات الى اعضاء المجلس التنفيذى لليونسكو الذى عقد بمبنى الجامعة العربية بالقاهرة يوم ١٣/١٠/١٩٧٥ ٠

فالتنمية أولا وقبل كل شيء قضية وطنية تعتمد على جهـــد الشعب نفسه ، وكل مساعدة خارجية يجب أن تضاف الى هذا الجهد لا أن تكون بديلا عنه • وبهذا المفهوم يمكن أن تتم التنمية فى اطار الحضارة القومية وليس بالتنكر لها ومحاكاة غيرها وبه أيضا يكون تنشيط الطاقات الخلاقة للمنتجين وتطوير وخلق التكنولوجيا المحلية وتطويع التكنولوجيا المستوردة • وفكرة الاعتماد على النفس لا تقتصر على مستوى الشعب فى مجموعــه بل يجب أن تستقر فى كل تجمع بشرى داخله : فى القرية والمصنع والمدرسة والمستشفى وما شابه ذلك •• والوجه المكمل لأسلوب الاعتمــاد على النفس هو تعبئــة الناس من أجل التنمية • ولا تأتى هذه التعبئة بمجرد الوعظ ولا بمجــــرد التثقيف السياسى ، ولكن من خلال الممارسة الديمقراطية فى أرقى صورها : مشاركة المواطنين فى كل تجمع فى تسيير أمورهم ، ومشاركتهم على مستوى الدولة فى تصريف شئون البلاد السياسية والاقتصادية(١٢) •

وعندما نتحدث عن البعد البشرى للتنمية تبرز أمامنا عــدة قضــــايا رئيسية أهمهـا :

أولا : المشكلة السكانية •

ثانيا : مشكلة الادارة المتخلفة والقوانين القديمة •

ثالثا : مشلكة العمالة وهجرة العقول والأيدى العاملة •

أولا ـ المشــكلة السـكانية :

السكان كظاهرة اجتماعية تتكون من ثلاثة أوجه رئيسية(١٣) •

١ ـ أرقام واحصاءات سكانية ذات طابع اجتماعى •

٢ ـ سلوك انســانى معين نتــج كـرد فعـل للمشكلة السـكانية ذات الطابع الاجتماعى •

٣ ـ سياسة سكانية معينة يضعها الأفراد والحكومات علاجا لمـا تقدم من مشاكل سكانية اجتماعية • ويدخل ضمن ذلك تنظيم النسل والسياسات السكانية وغير ذلك •

---

(١٢) د• اسماعيل صبرى عبد الله ـ ملتقى الجزائر والنظام الاقتصادى العالمى الجديد ـ جريدة الأهرام ١٩٧٥/٧/٢٧ •

(١٣) د• صلاح الدين نامق ـ اقتصاديات السكان ـ دار المعارف ـ ١٩٧٠ ـ ص ٥ ، ص ١٥ •

أما السكان كظاهرة اقتصادية فانها تدور حول أسئلة وموضوعـات أهمهـا ما يلى :

- العـدد الأمثل للسكان فى دولة ما وفى وقت ما ٠
- الى أى مدى تؤثر زيادة السكان على الاقتصاد القومى ؟
- ما هى العلاقة بين تزايد السكان وتوافر الطعام ، والاستهـلاك والادخار والأجـور ؟

وفى الواقع ان المدخل الى المشكلة السكانية كظاهرة اقتصـادية يؤدى بنا مباشرة فى هذا العصر الى النظر اليها نظرة أيدلوجية ٠

فقـد وضـع المفكر الانجليزى توماس روبرت مالتس فى سنة ١٧٩٨ نظريته المعروفة فى السكان ، والتى كان مؤداها أن السكان فى حالة عدم وجود العوائق يزيدون طبقا لمتوالية هندسية كل خمسة وعشرين سنة ، بينما يزيد الانتاج الغذائى فى نفس الفترة طبقاً لمتوالية حسابية فقط ٠

ومعنى هذا أن نسبة الزيادة فى عدد السكان الى نسبة زيادة الانتاج الغذائى خلال قرنين من الزمان ستكون كنسبة ٢٥٦ : ٩ وبعد ثلاثة قـرون ٤٠٩٦ : ١٣

لأن النسب التى كانت فى ذهن مالتس هى :

- السكان : ١ ـ ٢ ـ ٤ ـ ٨ ـ ١٦ ـ ٣٢ ـ ٦٤
- وسائل العيش : ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ٠

وكانت الوحدات الزمنية التى يمكن أن يتضاعف خلالها السـكان فى وجهة نظره هى ٢٥ عاما ، ورأى مالتس أن حدوث ذلك سيؤدى الى الحروب والمجاعات والأوبئة والأمراض والخراب ٠ وبطبيعة الحال أثبتت التجـربة التاريخية خطأ مالتس وتقديراته ٠ فقد أثبتت التنمية فى معظم بلدان العالم أن معدلات الزيادة فى الدخل أعلى من معدلات الزيادة فى السكان ٠

وتطورت نظريات السكان فى المجتمعات الرأسمالية بعد مالتس ٠ وفى القرن التاسع عشر على وجه الخصوص انتشرت النظريات السكانية ذات الطابع الاقتصادى ، كدراسة جانبية للنظرية الكلاسيكية فى الاقتصـاد

السياسى • وكان لابد للفكر الماركسى أن يكون له رأى مخالف فى المشكلة السكانية • فالفكر الماركسى ينكر أصلا وجود مشكلة سكانية وانما يرى أن المشلكة هى مشكلة توزيع الانتاج على السكان فى المجتمع الرأسمالى ، حيث تستأثر قله من الرأسماليين بغالبية الدخل القومى ، وترى الماركسية أنه لو تم توزيع الدخل القومى بطريقة عادلة لما وجدت مشكلة فى زيادة السكان•

ويرى الماركسيون أن تجربة تطبيق الاشتراكية أكدت وجهة نظرهم ، فبالقضاء على الرأسمالية زالت مشكلة البطالة والأفواه الزائدة وأصبحت كل زيادة فى عدد الأيدى العاملة تجد لنفسها مجالا للعمل فى الاقتصاد الوطنى الاشتراكى •

والنظريات المالتوسية وما بعدها ثم الماركسية لا تفسر مشكلة السكان فى البلدان النامية • لأن أيدلوجيات البلدان النامية ، وظروفها التاريخية والموضوعية تختلف فى مشكلتها السكانية • ولكنها برغم ذلك جزء من المشكلة السكانية العالمية •

ان جوهر المشكلة السكانية بالنسبة للتنمية هو أنه لابد من التوازن بين المواليد وخطة التنمية • أين تقع البلدان النامية على خريطة العالم السكانية ؟ • تنقسم دول العالم من حيث الدخل والكثافة الى اربع مجموعات :

(أ) الدول ذات الدخل المنخفض والكثافة المنخفضة •• ومن أبرز دول هذه المجموعة الكنغوليوبولدفيل ، والبرازيل ، وأكوادور ، وكينيا ، وبيرو •

(ب) الدول ذات الدخل المنخفض والكثافة المرتفعة • ويمثل هذه المجموعة الهند وأندونيسيا والفليبين والصين واليونان ومصر •

(ج) الدول ذات الدخل المرتفع والكثافة المرتفعة وتمثلها : بلجيكا ، وسويسرا ، والملكة المتحدة •

(د) الدول ذات الدخل المرتفع والكثافة المنخفضة وتمثلها استراليا ونيوزيلندا وكندا والنرويج والولايات المتحدة •

وتنتمى الدول النامية الى المجموعتين الأولى والثانية •

وقد تشكلت فى عام ١٩٦٨ ، لجنة رأسها ليستربيرسون رئيس وزراء كندا السابق تضم مجموعة من كبار المفكرين الاقتصاديين الغربيين الى جانب هيئة من أربعة عشر خبيرا فى مختلف ميادين التنمية ، وبعد عدة اجتماعات ، واجراء عدة دراسات وضعت اللجنة توصياتها والنتائج التى توصلت اليها وضمنتها تقريرا وافيا فى التنمية الدولية ٠٠ وخصت ابطاء النمو السكانى فى الدول الكثيفة السكان بتوصية خاصة ، أكدت فيها أن المعرفة المرتبطة بتنظيم الأسرة ووسائله يجب أن تتاح للجميع ، وأنه لا يجب أن يولد طفل غير مرغوب فيه ٠ فالنمو السكانى السريع لا يؤثر فقط فى الوالدين والأسرة ، بل يؤدى الى الابطاء فى التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى كثير من الدول النامية ، ويتعين على الدول التى لم تدرك بعد أبعاد مشكلاتها السكانية أن تعرف أثرها على مجهودات التنمية فيها ، وأن تقوم بالعمل الملائم ، ويجب أن تمنح الدول التى بدأت فى تطبيق سياسات طموحة للاقلال من معدلات المواليد التأييد الفعال ٠ فلا يمكن للدول التى تقدم المساعدات أن تكون غير عابئة بما اذا كانت المشكلات السكانية تلقى الاهتمام اللازم ، ويجب على الوكالات الثنائية والدولية أن تسرع فى اجراء تحليل ملائم لتلك المشكلات وأثرها على برامج التنمية ٠ وعلى المنظمات الدولية أن تلعب دورا كبيرا وخاصة فى تدريب خبراء السكان وتنظيم الأسرة ، ورأت اللجنة أن معالجة وكالات الأمم المتحدة للمشكلات السكانية تحتاج الى توجيه وتنسيق حازمين ٠

ان الأبعاد الكاملة للمشكلة السكانية تتحدى تنظيم الأسرة وتتطلب اهتماما أكثر عمقا ٠٠ فالسياسات الاجتماعية التى تقلل من الاعتماد على الأسرة كمصدر وحيد للأمان ستخفض من الحاجة الى الأسر الكبيرة والرغبة فى تكوينها ٠

وفى مصر تضاعف عدد السكان خلال الثلاثين عاما الأخيرة ٠٠ وتشير التقديرات بأن تعداد المصريين سيصل الى ٦٠ مليون عام ألفين ، وما زال الحد من الانفجار السكانى فى مصر يمثل خطوات بطيئة ٠٠ والمشروع القومى لتنظيم الأسرة حديث العهد فى مصر ٠٠ فقد صدر به قرار جمهورى

فى ١٣ نوفمبر عام ١٩٦٥ ، ويقيم الدكتور على عجوه(١٤) هذا المشروع فيرى أنه اعتبارا من عام ١٩٦٧ بدأ معدل المواليد فى الانخفاض بانتظام حتى وصل الى ٣٤ر٦ فى الألف عام ١٩٧١ مما أدى الى منع انجاب ما يقرب من مليون طفل خلال هذه الفترة ٠

وحقيقة أن هذا الانخفاض لا يمكن أن يعزى الى المشروع القومى لتنظيم الأسرة وحده ، فهناك عوامل أخرى ساعدت عليه فى مقدمتها :

(أ) حرب ١٩٦٧ والظروف اللاحقة عليها ٠

(ب) اجتذاب الخدمة العسكرية لعدد كبير من الشباب المقبل على الزواج ٠

(جـ) ارتفاع نسبة الزوجات المتعلمات ٠

(د) اضطرار كثير من الشباب الى تأجيل الزواج بسبب صعوبة العثور على مسكن ، بالاضافة الى ضخامة نفقات تأثيث البيت بالنسبة لامكانيات الشباب ٠

(هـ) تقدم الخدمات الصحية وأثره فى خفض نسبة وفيات الأطفال ، مما أدى الى اطمئنان الزوجة الريفية على حياة طفلها ٠

وبالاضافة الى كل هذه العوامل ، فقد كان للمشروع القومى لتنظيم الأسرة دورا ملموسا بينها ، يؤكد ذلك ارتفاع عدد المترددات على مراكز تنظيم الأسرة ٠

ثانيا ـ مشكلة الادارة المتخلفة والقوانين القديمة :

الادارة لازمة لكل جهد جماعى سواء كان خاصا أم عاما كبيرا أوصغيرا ٠ ولكن تبرز أهمية الادارة بصفة خاصة فى البلدان النامية التى تجاهد وتقاوم كل ظروف التخلف لتطوير اقتصادها وتنميته ٠ وتزداد هذه الأهمية بالنسبة للبلدان التى تتخذ الطريق الاشتراكى سبيلا الى تقدمها الاقتصادى والاجتماعى ٠ ذلك لأن هذه البلدان تبدأ فى تشييد أجهزة ادارية لتنفيذ

(١٤) د٠ على عجوة ـ دور الاعلام فى تنظيم الأسرة بالريف المصرى ـ رسالة دكتوراه من قسم الصحافة بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة عام ١٩٧٤ ص ٣٦ ٠

مشروعات جديدة ومتطورة ، ومن ثم تحتاج الى خبرات ادارية ممتازة لادارة هذه المشروعات • وتستعين الحكومات والمؤسسات بخبراء الادارة الوطنيين والأجانب لدراسة وسائل إصلاح وتطوير أجهزتها الادارية ، واقتراح ما يجدونه مناسبا من لوائح وقوانين ، تيسر سبل الانتاج والخدمات • وكثيرا ما أعان أمثال هؤلاء الخبراء الحكومات فى تطوير أجهزتها الادارية ، كما أعانوا مؤسسات وشركات تجارية كانت على وشك الافلاس بسبب ضعف الانتاج أو سوء الخدمة الذى يرجع الى سوء الأساليب الادارية •

وعندما نتحدث عن أهمية الادارة بالنسبة للبلدان النامية فان ذلك لا ينفى أهميتها لسائر بلدان العالم ، بل على العكس من ذلك فان البلدان المتقدمة لديها من الأساليب الادارية ومن الاطارات المتخصصة • فى علم وفن الادارة ما يفوق كثيرا تلك البلدان التى تسعى الى تجاوز التخلف • ولكن الادارة فى البلدان النامية تبدو مشكلة اجتماعية وسياسية لأن بعض المشروعات الحيوية والهامة تدار بطريقة ارتجالية ، وقد يرتفع شعار التجربة والخطأ ، أو يرتفع شعار مدير من أهل الثقة خير من مدير من أهل الخبرة • وفى مثل هذين الشعارين البعد كل البعد عن الادارة العلمية وأساليبها ، بل ان استخدام مثل هذه الشعارات يعد تغطية لجهل بعض المديرين بأسس الادارة وأساليبها العلمية ، والتماسا لمبرر يضع الرجل فى غير ما يستحق من مناصب ، وعندما تملأ الوظائف الرئيسية فى الادارة بالمحاسيب والأصدقاء والمعارف ، وتلقى الكفاءات والقدرات الادارية فى سلة المهملات •تصبح القاعدة هى عدم الكفاءة ، وتنتقل هذه الظاهرة أو العدوى الى الهرم الادارى حتى قاعدته فى مستويات التنفيذ الصغيرة • ويصبح الفشل أمرا مؤكدا • ان الأصول العلمية لا ترسم طريق النجاح للاداريين وحسب بل وتبرز الضوء الأحمر الذىيجنبهم انهيار وفشل المشروعات • وهكذا نرى أنه لا يمكننا فصل الادارة عن الظروف التى يعيشها أى مجتمع بأبعاده الاقتصادية والثقافية بل والتاريخية أيضا •

ان مشكلة الادارة فى البلدان النامية تبدأ بأن الاستعمار دائما يترك هذه البلدان وهى فى الحضيض اقتصاديا واجتماعيا ، والتخلف يؤدى الى مزيد من التخلف كما أن التقدم يؤدى الى مزيد من التقدم،فالعجلة الاقتصادية

الدائرة تزيد سرعتها بالدوران ، أما العجلة الراكدة فانها تحتاج الى جهد هائل لتدور وتنطلق ·

ويؤثر مستوى الثروة على امكانية الادارة(١٥) فى استخدام التسهيلات مثل المبانى والطرق والكبارى والسدود والموانى والمزارع والموارد الاقتصادية من فحم وحديد وخشب وغير ذلك · كما أن مستوى الثروة العقلية (رأس المال البشرى) له تأثير فى القدرة على الابتكار والانطلاق ·

وتؤثر القدرة أو الوفرة تأثيرا كبيرا على حرية الاداريين فى التصرف · ففى المجتمعات الغنية يستطيع الادارى استخدام التليفون فى دقيقة ليجرى محادثة تليفونية للموردين للحصول على المواد الخام · ويمكن للادارى الالتجاء الى سوق العمل والمكاتب المتخصصة ليحصل على عمال مهرة فى كل صناعة · أما فى البلاد المتخلفة فقد لا يكون هناك موردون متخصصون · فاذا وجدوا فقد لا يكون لديهم تليفون · وان وجد التليفون فقد يكون معطلا · واذا وجد التليفون فقد لا توجد وسائل النقل السريعة · ويجب أن ندرك تماما أن الادارة وهى تواجه هذه المشاكل فى البدان النامية مسئوليتها الأولى هى حل هذه المشاكل وايجاد الوسائل البديلة والحاسمة ·

وكما تسبب الندرة مشاكل فان الوفرة فى المجتمعات الغنية تسبب مشاكل ادارية من نوع مختلف · فان وفرة الموارد والانتاج الزائد قد يؤدى الى افلاس بعض المؤسسات فى النظم الرأسمالية · أو على الأقل التأثير على هذه المؤسسات تأثيرا بالغا · والتغييرات الفنية مثلا قد تؤدى الى بطالة جزئية وانتاج زائد عن الحد · وهذه المشاكل الادارية فى البلدان الرأسمالية والغنية تجد من يحاول ايجاد الحلول لها ·

ويهمنا أن نؤكد مسئولية الادارى فى المجتمعات النامية من زاويتين رئيسيتين الأولى هى ضرورة تغليب المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، لأن مصلحة المجتمع لابد أن تقود فى النهاية الى مصلحة الجميع ، ولأن الفساد يدب فى المنشآت عندما يصبح تنفيذ المشروعات على أساس مدى مساهمتها

---

(١٥) د· سيد محمود الهوارى ــ الادارة ، الأصول والأسس العلمية ــ الطبعة الخامسة ــ مكتبة عين شمس ــ ١٩٧٣ ــ صفحة ٩٨ ·

فى تحقيق مصالح بعض الأفراد وايجاد المناصب لهم ، وبذلك يتم تحوير المصالح العامة لخدمة المصالح الشخصية • والزاوية الثانية فى مسئولية الادارى هى الرغبة فى التغيير والعمل على تغيير الواقع المتخلف الى واقع متقدم • والبعد عن قبول الأمور كما هى والتواكل المتنافى مع القيم الدينية فى العمل والاتقان •

هذه هى مسئولية الادارة بصفة عامة فى المجتمع ككل ولكن ما هى المسئولية الاجتماعية لادارة ما بشىء من التحديد ؟ ان الادارة (ادارة أى منشأة) تجد نفسها أمام عدة مصالح غالبا ما تكون متعارضة ، وهى مصالح العاملين فى المنشأة ومصالح المستهلكين ومصالح المستثمرين • ان العاملين يرغبون فى أن تدفع لهم الادارة أجرا أعلى وتوجد لهم ظروف عمل أحسن وتقدم لهم خدمات أكثر ، والمستهلكون يرغبون فى أن تقدم لهم الادارة بضائع أو خدمة أجود وبأسعار أرخص ، والمستثمرون يرغبون فى أن تحقق لهم الادارة الربح •

والاقتصاديون يعتبرون أن مسئولية الادارة هى(١٦) فى الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية ، وتعتبر الحكومة أن المسئولية الاجتماعية للادارة ـ فى ظل النظام الحر للأعمال ـ هى المساهمة فى ايجاد جو ملائم للاعمال ، والمساهمة فى التقدم الاقتصادى ، وفى عدم احداث تضخم • بينما تعتبر المسئولية الاجتماعية للادارة ـ فى ظل نظام الأعمال الجماعية ـ هى فى الوصول الى الأهداف الموضوعية من قبل الهيئة المركزية للتخطيط •

ان المسئولية الاجتماعية للادارة تتحقق بمدى التوازن بين مختلف عناصر المجتمع من عاملين ومستثمرين ومستهلكين • وهو ما تشير اليه المعادلة المشهورة فى التنمية والتى تقول بأن الانفاق الاستهلاكى + الانفاق الاستثمارى + الانفاق الحكومى = كمية الوحدات المنتجة × أسعارها : حيث الانفاق الاستهلاكى هو مجموع ما ينفقه المستهلكون ، والانفاق الاستثمارى هو مجموع الاستثمارات الجديدة ، والانفاق الحكومى هو مجموع ما تنفقه الحكومة وترتيبا على ذلك فان زيادة الأجور للعاملين لا بد وأن تؤدى الى زيادة الانفاق الاستهلاكى • فاذا لم تكن هناك زيادة فى الانتاج فان

(١٦) المرجع السابق •

النتيجة هى ارتفاع الأسعار وهو ما يعرف بالتضخم النقـدى حيث تقـل القيمة الشرائية للنقود .

ومن هنا يبرز دور الادارة ومسئولياتها الاجتماعية فى وقف التضخم النقدى بزيادة الكفاية الانتاجية . وذلك بزيادة الانتـــاج بنفس العناصر المستخدمة . وفى نفس الوقت فان الادارة مسئولة عن المساهمة فى زيادة الرخاء وتقليل أو تخفيف حدة أوقات الكساد ـ فى المجتمعـات الرأسمالية ـ وذلك بالاستمرار فى الاستثمارات الجديدة من أجل تحقيق التوظف الكامل حيث توجد وظيفة لكل قادر على العمل يرغب فيه . والادارة تحقق كل ذلك فى اطار حركة المجتمع وبتحقيق التوازن والانسجام بين مصالح الناس .

وتقف البيروقراطية والقوانين العتيقة حجر عثرة أمام التنمية . لذلك لا بد من أن تصاحب التنمية ثورة ادارية . وأن يكون تحقيق الأهداف هـو جوهر العمـل الادارى بغض النظـر عن الاهتمام بالشـكل الذى يقود غالبا الى المظهـــرية .

وأصل المشكلات الادارية فى البلدان النامية لا بد أن ينبع من واقعهـا ومن ظروفها الادارية . نضرب مثلا بمشكلة المركزية ومشكلة اللامركزية . ولكل ايجابياتها وسلبياتها . فكيف تواجه الادارة فى البـــلدان النـــامية هـذه المشـكلة ؟

ان التوازن بين المركزية واللامركزية فى اطار المشاركة الجمـــاهيرية فى التنمية(١٧) ضرورة واقعية . « ان جهاز التخطيط الاقتصـادى والادارى فى معظم الدول النامية ، يعتمد على جهاز مركزى موحـد مسئول عن وضـع الخطط ـ وفى أغلب الأحيان ـ تنفيذها أيضا . هذه الأجهـــزة لها فى بعض الأحيان دور استشـارى (مجلس تخطيط) أو دور ادارى وتنفيـــذى (وزارة تخطيط) ولكن الجدير بالاهتمام هو أن المركزية الشديدة مضرة لأنها تضـع خطة واحدة لقطر كامل واسع مختلف الاقاليم فى حين أن اللامركزية تراعى الظروف الاقليمية لكل اقليم داخل القطر ، والمشـكلة هى أن خلق أجهـــزة لامركزية عديدة يترتب عليه أعباء مالية ، كما أن كثرة الأجهـزة اللامركزية

---

(١٧) Yves Prats - Decentralisation et development - Editions Cujas — 1973 p 17.

لا يحل مشكلة البيروقراطية بل فى أحيان كثيرة يعطل التنميـــة ويقلل من نشاط الأجهـزة » ٠

ولأن العمل الادارى يحوى عنصرا ماديا يتمثل فى المواد الخام والآلات وما شابه ذلك ، وعنصرا بشريا يتمثل فى العمـــال والمهندسـين والمفـكرين والاداريين ، لذلك لا بد من أن يكون العنصر البشرى فى الادارة على أعلى قدر من الكفاية والتطوع الاختيارى والحماسى لاحراز التقـدم ٠

ثالثا ـ مشكلة العمالة وهجرة العقول والأيدى العاملة :

ان الدول النامية لا تصدر الى البلدان الغنية المواد الخام وحسب وانما تهاجر العقول والأيدى العاملة من مناطق التخلف الى مناطق التقدم بحثا وراء فرص أوسع أو انسياقا لاغـراءات عـديدة أو هروبا من عقـد ومضـايقات الادارة المتخلفـة ٠

وتحاول بعض الدول النامية عندما تأخذ بأسباب التقدم أن تشجـع عودة علمائها المغتربين ، كما تفعل العراق من خلال القوانين التى أصدرتهـا عام ١٩٧٤ وشملت العلماء العرب جميعا ٠ أو تحاول الدول النامية الاستفادة بخبرات علمائها المغتربين من خلال مؤتمرات يحضرها العلمـاء المغتربون فى أوطانهم ، وتناقش فيها قضـايا التنمية ويسهمـون بأفكارهم وآرائهم فى القضايا المطروحة للنقاش ، كما فعلت مصر عام ١٩٧٤ أيضا ٠

وبرغم البطالة المقنعة التى يعانى منها المجتمع النامى وبخاصـــة فى الريف نجد أن ندرة العمال الفنيين المدربين تشكل عقبة فى سـبيل التنمية ٠ فكم تسوء الأحوال عندما يهاجر عدد من هذه القلة المدربة !! ومن الحلول لهذه المشكلة التى تصاحب التنمية أن الدولة فى خطتهـا تزيد العمـــالة فى بعض المصانع الجديدة عن العدد اللازم وذلك بهدف الاستفادة من العمالة المدربة فى التوسعات وفى اقامة مصانع أخرى ٠ ومن هنا نرى أهمية القطاع العـام فى التنمية والمعنى التطبيقى للقول بأن القطاع العام ينبغى أن يقود عملية التنمية.

المشكلة اذن ذات شقين : أولهما هجرة العقول ، وثانيهما هجرة الأيدى العاملة ٠ وهجرة العقول تتخذ مظهراً عالميا ، فى حين تتخذ هجرة الأيدى العاملة مظهراً جغرافياً أو مظهر العلاقة الاستعمارية بين الدولة الأم ومستعمراتها ٠

وعلى مدى التاريخ تهاجر العقول فراراً من ظروف القهر المحـلى ٠ أو

تهاجر الى مراكز الاشعاع يشدها نور المعرفة ٠ أما فى عصرنا هذا فان الدولار الامريكى يمثل أكبر جذب للعقول المهاجرة ٠ فبريطانيا مثلا تأتى فى أول القائمة التى تخرج منها الكفايات الفنية العالية الى الولايات المتحدة تليها المانيا الغربية ٠

هكذا الحال بالنسبة لبريطانيا والمانيا الغربية فكيف حال هجرة العقول من البلدان النامية ؟ ان الاحصائيات التى تنشر بين الحين والآخر ، والتى تزداد يوما بعد يوم تقدم صورة خطيرة لاستنزاف القوى البشرية فى العالم الثالث واحتوائها فى العالم المتقدم ٠ ان ٨٠٪ مثلا من الطلبة الآسيويين ممن ترسلهم بلدانهم فى بعثات الى الولايات المتحدة يبقون فيها بعد حصولهم على الدرجات العلمية والتخصص الدقيق ٠ ويقرب عدد الأطباء الأجانب من أبناء العالم الثالث فى بريطانيا من النصف ٠

وتنحصر أسباب هجرة العقول والكفاءات الفنية من العالم الثالث الى العالم المتقدم الرأسمالى فيما يلى :

١ ـ سوء الأوضاع السياسية والعلمية والادارية فى بلدانهم مما يجعل الباب أمامهم مسدوداً فى التقدم أو البحوث العلمية وربما كانت الأبواب المفتوحة دائماً فى بعض بلدانهم هى أبواب المعتقلات بسبب ما يحملونه من آراء وما يعتقدونه من أفكار ٠

٢ ـ البطالة المقنعة فى الأوساط العلمية فى البلدان النامية بسبب عجز الادارة والحكومة عن خلق أوجه النشاط العلمى أو استكمال وتجهيز المراكز العلمية ٠

٣ ـ المرتبات المغرية التى يتقاضاها هؤلاء الخبراء بالنسبة لمرتباتهم فى أوطانهم والتى تبلغ ٢٠ ضعفا فى بعض الأحيان ، هذا الى جانب ما توفره البلدان الغنية فى مراكزها العلمية والأكاديمية من فرص تحقيق الذات للعلماء ٠

ولقد أصبحت هجرة العقول والكفاءات من البلدان النامية الى البلدان المتقدمة مرضا مزمنا يحس به المواطن العادى فى البلد النامى ٠ ولا شك أن مواجهة هذا الاستنزاف يقتضى وضع الحلول المناسبة والمقنعة لهذه الثروة البشرية فى عدم استمرار الاستنزاف من جانب ، وفى محاولة الاستفادة ممن استوطنوا البلدان المتقدمة من جانب آخر ٠ ومهما اغترب الانسان وتحت أية ظروف فان وتر الوطنية يظل باقيا ويحتاج الى من يجعله مشدوداً ومفيداً ٠

أما هجرة العمال فالصورة الاساسية فيها هى هجرة أبناء البلدان النامية من المغرب العربى الى فرنسا ، وهجرة الباكستانيين والهنود الى بريطانيا والاتراك الى المانيا الغربية ، الى جانب أبناء المستعمرات الافريقية الموزعين على البلدان الأوربية الثلاثة وعدد من أبناء المغرب العربى يعملون فى المانيا الغربية ٠ هذه بصفة عامة الملامح الرئيسية للعمال المهاجرين من أبناء العالم الثالث ، وبخاصة المغرب العربى الى أوربا الغربية ، ويقدر عدد العمال المهاجرين من البلدان النامية الى أوربا الغربية رسميا بما يقرب من ٢ مليون ولكنهم فعليا أكثر من ذلك ٠

وبقاء هؤلاء العمال فى بلدان المستعمرات هو امتداد للاستنزاف الاستعمارى لهذه البلدان فى مختلف الوجوه ، وهم يعملون ـ فى غالبيتهم العظمى ـ أعمالا يرفض الأوربى عادة أن يقوم بها ، مثل النظافة وأعمال البناء وبقية الاعمال الشاقة التى يأنف الأوربى بصفة عامة أن يؤديها ٠ وبقاء هؤلاء العمال فى بلدان المستعمرات مرتبط أيضا بالظروف السيئة التى تعانيها أوطان هؤلاء العمال ، والتى لا تتيح لكل طالب عمل فرصة للعمل ٠

والقضية التى ينبغى أن تطرح على قيادات البلدان النامية التى تكثر هجرة عمالها الى البلدان المتقدمة هى كيفية الاستفادة من هذه الطاقة البشرية فى المهجر ؟ كيف ترعى هذه القوى البشرية وكيف تقيم جسورا بينها وبين الوطن وتربطهم بالمستقبل الحضارى لأوطانهم ، وتضمن لهم اقامة معقولة فى المهجر وعودة كريمة عند العودة ، وتجعل من بقائهم فى المهجر عنصرا ايجابيا وليس عبئا ونقطة ضعف مزمنة ؟٠

البعـد الدولى للتنميـة :

يبدو البعد الدولى للتنمية أمام الباحث وكأنه مشكلة ملتهبة أشـــد التهاباً من موضوع نزع السلاح أو الحرب الباردة ٠ وهذه حقيقة وواقع أكيد ، فنحن نسمع التهديد من بعض الدول الغنية باحتلال منابع البترول فى البلدان النامية سافراً بغير حياء ، ونحن نشهد الحوار بين الدول الغنيـة والبلدان النامية أشبه بمنطق تارب الحياة الذى تحدثنا عنه فى نظريات التنمية ٠

لمـاذا يبدو البعد الدولى للتنمية مشكلة ملتهبة ؟

لأنها مشكلة متشابكة شديدة التشابك ، ولأنها صورة من صور الصراع بين استغلال الأغنياء للفقراء ، وبين حق الفقراء فى نظام اقتصادى أكثر عدلا ، وهى ملتهبة لأن الأغنياء لا يريدون الاعتراف بحق الفقراء ، ولأنهم لا يصدقون أو يعترفون باليـوم الذى أصبح فيه أبنـــاء مستعمرات الأمس شركاء فى التنميـة اليـوم ٠

لقد تعود الغربيون لفترة طويلة(١٨) ولا سيما منذ أواخر القرن الماضى ـ أن يعتبروا أن حدود العالم هى حدود أوروبا وامتدادها فى أمريكا الشمالية ٠ وكانت دولهم هى وحدها التى تشكل مجتمع الأمم ٠ أما العالم الثالث فلم يكن الا مستعمرات ، لذلك فان أكبر العوائق أمام الجهود الرامية لاقامة نظـــام اقتصادى عالمى جديد هو عدم اعتراف الأوربيين والأمريكيين بحقائق التاريخ وواقع العصر ٠ فشعوب العالم الثالث لا تقتنع باستقلال شكلى ، وانمـا هى تحس بأنها أغلبية البشرية ، وأن أرضها وبحارها تضم كثيراً من الموارد التى لا غنى عنها للصناعة الحديثة ٠ انها ترحب بالتعاون وترفض الاستغلال ، ولم تعد القوة تخيفها ٠ فقد تزعمت دول الأوبك لأول مرة فى التاريخ الحديث المبادرة بقرارات توثر فى الاقتصاد العالمى كله ٠ ويحاول منتجو كثير من المواد الأولية الأخرى أن يسلكوا نفس السبيل ٠

---

(١٨) د٠ اسماعيل صبرى عبد الله ـ ملتقى الجزائر والنظام الاقتصادى العالمى ٠ جـــريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٥/٧/٢٧ ٠

ولقد أصبح الكثير من خبراء السياسة والاقتصاد لا يكتفون بتسمية الدول النامية بالعالم الثالث ، على أساس أن العالم الأول يمثل البلدان الغنية الرأسمالية ، والعالم الثانى يمثل الكتلة الشيوعية المتقدمة ، وأصبح اصطلاح العالم الرابع على ألسنتهم تعبيراً عن الدول الأكثر فقراً والتى يقل دخل الفرد فيها منسوباً الى الدخل القومى عن مائة دولار فى السنة ٠

والبعد الدولى للتنمية الذى أبرزته وقائع التاريخ المعاصر كمشكلة ملتهبة نتيجة لبروز دول العالم الثالث الى الساحة الدولية ، أبرزته أيضا وسائل الاتصال الحديثة التى جعلت ـ العالم بأسره أشبه بقرية واحدة ٠

ومشاكل التنمية على المستوى الدولى تشغل الدول الغنية أكثر مما تشغل الدول الفقيرة ٠٠ لأن الدول الغنية تسعى الى تصريف منتجاتها فى أسواق العالم الثالث ٠ فماذا يحدث لو وصل الفقر ببلدان هذا العالم الثالث الى الحد الذى لا يستطيعون فيه شراء ما تنتجه مصانع الدول الغنية ؟!٠ وتريد الدول الغنية أن تحمى مستقبلها بأن تطور حياة الدول الفقيرة بالقدر الذى لا يسمح بانهيار النظام الاقتصادى العالمى الذى يخول للاغنياء استمرار وازدهار ثرائهم وتفوقهم ٠

وعندما نستعرض مظاهر البعد الدولى للتنمية ، سنجدها فى غالبيتها تمثل الصراع بين رغبة الأغنياء فى احكام طوق الاستغلال وبين الفقراء فى محاولة كسر طوق التخلف ٠ فما هى أهم هذه المظاهر ؟

نستطيع أن نجملها فيما يلى :

أولا : اتساع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة ٠

ثانيا : أزمة الطاقة ٠

ثالثا : أزمة الغذاء ٠

رابعا : الانفجار السكانى ٠

اولا ـ اتساع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة :

فى عرف الأمم المتحدة تعد الدول النامية أو المتخلفة هى التى يبلغ دخل الفرد فيها سنويا أقل من ٣٠٠ دولار ويحصل الفرد فى معظم بلدان العالم الثالث على

١٨٠٠ (كالورى) سعرا حراريا لغذائه فى اليوم فى حين أنه اذا عاش فى أوربا الشمالية فسيحصل على ٤٠٠٠ سعرا حراريا ٠ ومعدل الأطبــــاء فى البلدان النامية يبلغ واحد لكل ٣٥ ألف من السكان ، بينما يزيد عدد الأطباء فى بلــد كتشيكوسلوفاكيا أو الاتحاد السوفيتى ٦٠ ضعفا بالنسبة لعدد السكان عنه فى البلدان النامية ٠

ولعل الاعلان الصحفى يقدم لنا مثلا واضحا للهوة السحيقة بين الدول الغنية والدول الفقيرة ٠ اذ يبتلع الاعلان فى الولايات المتحدة(١٩) يومياً من ورق الصحف ما يساوى تقريباً ما يستهلكه العالم كله يومياً من هذا الورق عـدا الولايات المتحدة ٠ وهكذا نجد أن الاعلان الموجه الى ما يقرب من ٦٪ من سكان العالم يستهلك من الورق القدر الذى تستهلكه الأخبـــار والمقــالات وأبواب التسلية والاعلانات المخصصة لـ ٩٤٪ من سكان العالم ٠

ونظرة الى الاحصائيات التالية تقدم لنا صورة للهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة :

● فى عام ١٩٨٠ يصبح دخل الفرد فى البلدان المتقدمة أكثر من ٣٦٠٠ دولار أمريكى فى حين يقل فى نفس الوقت عن ١١٠ دولار فى بلد مثل الهند ٠

● معدل التجارة الخارجية يشير الى زيادة واردات الدول النامية من الدول المتقدمة ٠ هذا الى جانب أن المخزون الاستراتيجى لدى الدول الغنية يفيدها كثيرا فى ارتفاع الأسعار المستمر ٠

● تبين أن المساعدات الأمريكية الخارجية للدول الفقيرة يزيد قليــلا عن المبالغ المخصص للخدمات فى مدينة نيويورك ٠

● بلغ اجمالى ميزانية مدينة نيويورك عن السنة المـالية ٧٦/٧٥ ما قيمته ١٢٫٣ ألف مليون دولار ٠

● وصل فائض مدفوعات دول الأوبك عام ١٩٧٨ الى ٢٥ مليار دولار٠

---

(١٩) د٠ خليل صابات ـ الاعلان ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٦٩ ـ صفحة رقم ٩ ٠

● ان ٥٪ من الحبوب المستهلكة فى السوق الأوربية المشتركة كانت كافية لسـد المجاعـة فى غرب أفريقيـا التى راح ضحيتـها مئـات الألوف عـام ١٩٧٤ ٠

● بلغت مساعدات الدول الغنية للدول الفقيرة بين ٥ ، ٦ بليون دولار فى حين أن الانفاق على التسليح ٢٣ بليون دولار فى عام ١٩٧٤ ٠

● يستهلك الطفل الأمريكى ٥٠ ضعفا لمـا يستهلكه الطفل الهندى ٠

● فى نيويورك عمارة بها برج دائرى تستهلك من الكهرباء ما يكفى مدينة أمريكية سكانها ٢٠٠ ألف شخص ٠

● ومن احصائيات الثقافة والترفيه فى موسكو التى يبلغ عدد سكانها ٧ ونصف مليون نسمة أنه يوجـد ٢٩ مسرحا ، ١١٩ دار سينما ، ٤ آلاف مكتبة ، ٦٢ متحفا وحوالى ٤٠٠ ألف فدان مساحات خضراء ٠

● ينفق العالم على التسليح حوالى ٢٥٠ بليون دولار سنويا وهو رقم يبلغ أكثر من ثلاثين ضعفا من مجموع مساعدات أغنياء العالم لفقرائه ٠ ان الأغنياء وهم صناع السلاح فى العالم ينفقون على أبحاث التسليح ٢٥ ألف مليون دولار سنويا بينما ينفق العالم أربع آلاف مليون دولار على أبحـاث الطب و ٥٠ مليون دولار على تطوير ماكينات الطباعة وأن المواد المتفجرة من مخزون السلاح يبلغ نصيب الفرد الواحد منها فى العالم ١٥ طنـا من مادة « تى ٠ ان٠ تى » ٠

● تصل نسبة تجارة السلاح الى ٩٪ من حجم التجارة العـالمية ٠ ويستطيع العالم أن ينقذ ٣٠٠ ألف شخص من الجوع كل عام لو خصص ٤٪ من نفقات تسليحه نحو الغذاء ٠ ويستطيع العالم انقاذ مائة ألف طفل من العمى كل عام بثمن حاملة طائرات واحـدة ٠

● ان جملة الانفـاق العسكرى للدول النامية فى عام ١٩٧٦ بلغت ٥١ مليار دولار ٠ وهذا المبلغ يمثل ثلاثة أضعاف معـونات التنميـة التى تحصل عليها هـذه الدول ٠

● ان نصيب ما يقرب من نصف سكان العـالم الذين يعيشون فى البلدان النامية لا يزيد عن ٧٪ من الاستهلاك العالمى للطـاقة ، وان نسبة

نصيب الفرد فى البلدان الصناعية المتقدمة الى نصيب الفرد فى البلدان النامية من الطاقة هو ٢٥ الى ١ ٠

● تقول احصائيات اليونسكو المنشورة فى مارس ١٩٧٥ أن نسبة ، الأمية بين نساء العالم ابتداء من سن ١٥ سنة فما فوق كالآتى :

٨٤٪ فى أفريقيا ، ٥٧٪ فى آسيا ، ٢٧٪ فى أمريكا اللاتينية ، ٥٪ فى أوربا والاتحاد السوفيتى ، ٢٪ فى أمريكا الشمالية ٠

وتزداد الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة اتساعا كل يوم ٠ فوفق احصائيات عام ١٩٧٣ نجد الآتى :

الانتاج العالمى منسوباً الى نسبة السكان فى الأقاليم المختلفة فى عام ١٩٧٣

الأقـــاليم	عدد البلدان	نصيب الفرد من الدخل القومى بالدولار	نسبة السكان الى سكان العالم فى المائة		النصيب من الدخل العالمى فى المائة	
البــلا دالغنيــة :				٢٩ر١		٨٢ر٤
الولايات المتحـدة وكنـدا	٢	٦١٣٠	٦ر١		٣٠ر١	
اليـــابان	١	٢٦٣٠	٢ر٨		٨ر٣	
جـزر المحيط الهادى	١٥	٣٤٠٠	٠ر٥		١ر٥	
أوربا فيما عدا الاتحـــاد السوفيتى	٣٤	٢٩٩٠	١٣ر٢		٣١ر٩	
الاتحــاد السوفيتى	١	٣٠٣٠	٦ر٥		١٠ر٦	
البلــدان الناميــة :				٧٠ر٩		١٧ر٦
الشرق الأوسط	١٤	١٠٨٠	٢		١ر٧	
أمريكا الجنوبية	١٣	٨٤٠	٥ر٣		٣ر٦	
المكسيك وأمريكا الوسطى	٢٨	٨٠٠	٢ر٦		١ر٧	
أفريقيـــا	٥٤	٢٩٠	١٠ر٢		٢ر٤	
آسـيا فيما عـدا اليابان والشرق الأوسط	٢٦	٢٠٠	٥٠ر٨		٨ر٢	
	١٨٨			١٠٠		١٠٠

ان البلدان الغنية وهى تمثل ٢٩ر١٪ من سكان العـــالم تحصل على ٨٢ر٤٪ من دخل العالم ٠ وقد كانت عام ١٩٧٠ تمثل ٣٠٪ مقابل ٧٠٪ ٠ ولا شك أن العقد التاسع من القرن العشرين سوف يجعـــل نصيب البلدان الغنية من دخل العالم أكثر مما هى عليه الآن ٠ وان ٥٠ر٨٪ من سكان العالم فى آسيا يحصلون على ٨ر٢٪ من دخل العالم ٠

واذا نظرنا الى المؤشرات الاحصائية للاحتياجات الأساسية فى الوطن العربى مقارنة بدولتين متقدمتين هما المـانيا الاتحادية واليابان لأمكننا أن ندرك الهوة السحيقة بين التقـدم والتخلف برغم ما يقال عن بترول العـرب وفوائضهم فى بنوك العـــالم ٠

الاحتياجات الأساسية فى الوطن العربى

أ ـ التعليم (١٩٧٥)

اسم البلد	عدد المسجلين فى المرحلة الابتدائية كنسبة مئوية من الفئة العمرية للمرحلة	عدد المسجلين فى المدارس الثانوية كنسبة مئوية من الفئة العمرية للمرحلة	عدد المسجلين فى مرحلة التعليم العالى كنسبة مئوية لفئة العمر ٢٠ ـ ٢٤	النسبة المئوية للملمين بالقراءة والكتابة بين الكبار
مصر	٧٢	٤٠	١٣	٤٠
السودان	٤٠	٢٧	٢	١٥
ليبيا	١٤٥	٤٥	٧	٥٥
الجزائر	٨٩	١٩	٣	٣٥
المغرب	٦١	١٦	٣	٢٦
تونس	٩٥	٢٠	٤	٥٥
موريتانيا	١٦	٣	١	٢٠
الصومال	٥٨	٢	١	٣٠
العراق	٩٣	٣٥	٩	٢٦
سوريا	١٠٢	٤٨	١١	٥٣
لبنان	١٣٢	٣٨	٢٣	٦٨
الأردن	٨٣	٤٢	٤	٦٢
السعودية	٤٤	١٦	٣	١٥
اليمن الشمالى	٢٥	٣	١	١٠
اليمن الجنوبى	٧٨	١٩	١	١٠
الامارات	١٢٤	١٠	٣	١٥
الكويت	٩٥	٦٠	٧	٥٥
البحرين	٧٧	٤٥	٧	٤٧
قطر	٩١	٢٠	١	٢٠
عمان	٣٠	٣	١	١٠
المانيا الاتحادية	١٢٩	٧٠	٢١	٩٩
اليابان	١٠٠	٩٥	٢٥	٩٩

الاحتياجات الأساسية فى الوطن العربى

ب ـ الصحة (١٩٧٥)

اسم البلد	الوحدات الحرارية فى الغذاء المستهلك يوميا (١٩٧٣)	سنوات الحياة المتوقعة عند الولادة	نسبة وفيات الاطفال فى كل الف مولود	عدد السكان لكل طبيب	النسبة المئوية للسكان المزودين بالمياة النقية
مصر	٢٨٧٠	٥٢	١٠١	٢٣٤٠	—
السودان	٢٠٩٠	٤٩	١٣٢	١٢٣٧٠	—
ليبيا	٢٥٤٠	٥٣	١٠٠	١١٤٠	٨٧
الجزائر	١٨٩٠	٥٣	٨٠ (عام ١٩٧٠)	٨١٣٠ (عام ١٩٧٠)	٧٧
المغرب	٢١٨٠	٥٣	١١٧	١٢٨٠٠	—
تونس	٢٢١٠	٥٤	٦٣	٩٨٠	٤٠
موريتانيا	١٨٠٠	٣٧	١٨٧	٢٥٠٠٠	١٠
الصومال	١٧٧٠	٤١	—	١٥٥٦٠	٣٨
العراق	٢٠٥٠	٥٣	١٠٤	٢٣٧٠	٦٦
سوريا	٢٠٥٠	٥٤	٢٢	٢٩١٠	٦٥
لبنان	٢٣٦٠	٦٣	٨٢	١٣٣٠	٦٦
الأردن	٢٤٠٠	٥٣	٢٢	٢٤٤٠	—
السعودية	٢٠٨٠	٥٤	—	٦٦٦٠	٦٤
اليمن الشمالى	١٨٠٠	٤٥	١٦٠	٢٦٤٤٠	١٠
اليمن الجنوبى	١٨٠٠	٤٥	١٤٠	١١٤٦٨	—
الامارات	٢١٠٠	٤٥	—	٩٩٥	—
الكويت	٣٤١٠	٦٧	٤٤	١١٤٠	٨٩
البحرين	٢٣٥٠	٦٥	٥٠	١١٦٠٠	٩٨
قطر	٢٠٠٠	٥٠	—	١١٢٥	—
عمان	١٨٠٠	٤٥	١٥٠	٥٥٨٦	٢٠
المانيا الاتحادية	**٢٩٤٠**	**٧٥**	**١٠**	**٨٥**	**١٠٠**
اليابان	**٢٤٥٠**	**٧٣**	**١٠**	**٨٧**	**١٠٠**

لعل هذه الاحصائيات التى نشرها كتاب الاحصاء السنوى للأمم المتحدة عن التنمية تبين لنا الهوة التى تزداد اتساعا بين الفقراء والأغنياء . ولو ضربنا مثالا آخر ببلدان آسيوية أو أفريقية لبدت الصور أكثر فروقا وظلاما .

ثانيا ـ أزمـة الطـــاقة :

تتصدر أزمة الطاقة كافة الأزمات الأخرى مثل أزمة الغـــذاء العالمى ، وأزمة النقد الدولى ، وأزمة التلوث ، وما شابه ذلك · لمـاذا ؟ لأن الضجيج الاعلامى المصاحب لهـــذه الأزمة يفوق كل ما نشر أو أذيـــع حول مختلف الأزمات الأخرى ·

وما هو سر ذلك ؟

يكمن السر فى أن خطـــة الاحتكارات الدولية النفطية تريد تحقيـق استراتيجية محددة تتركز فى نقطتين الأولى هى السيطرة على منابع النفط بشكل أو بآخر ، والثانية زيادة أسعار البترول بمـا يعود عليهـا بمليارات الدولارات أرباحا · ومن خلال هذه الاستراتيجية أمكن للدول النامية البترولية أن تحقق أرباحا بزيادة أســـعار البترول ومن خـــلال هذه الاستراتيجية وبسببها لبست الأزمة ثوبا سياسيا بل وعسكريا بالتهديد باحتلال مناطق البترول ، وتصفية أى حركات وطنية فى الدول البترولية ·

وأصبحت أزمة الطاقة فى كافة وسائل الاعلام الغربية محصورة فى أزمة البترول ، وانساقت فى ترديد ذلك وسائل اعلام البلدان النامية ، وكأنمـــا البحوث العلمية لايجاد بديل للبترول من طاقة شمسية أو ذرية موضوعات لا تستحق النشر أو لا تستحق التشجيع بالسير فيها خطوات جادة وسريعة ·

وقبل أن نستطرد فى تحليل الأزمة نطرح سؤالا قد يبدو مشككا هو هل هنـاك أزمة طاقة عالمية ؟ ·

ان أزمة الطاقة ليست عالمية ولكنها تنحصر فى الولايات المتحدة وأوربا الغربية واليابان أى أنها تتركز فى الغرب الغنى بصفة مباشرة ، ثم عكست بعض آثارها على البلدان الفقيرة غير البترولية · ان خريطة الطاقة فى العالم تقول ان الاتحاد السوفيتى والصـين الشعبية يتمتعان بالاكتفاء الذاتى من الوقود والطاقة · والدول النامية المتخلفة ليست لديها المصانع التى تحتـاج الى البترول وليست لديها المرافق التى تحتاج الى الطاقة ·

المشكلة اذن هى مشكلة الرأسمالية المتقدمة الغنية ، ولكن كيف بدأت الأزمة وما هى جذورها ؟ ·

ـ ان بذور أزمة البترول والغاز الطبيعى فى العـالم الرأسمالى الغنى صاحبت التطور السريع والضخم فى الانتاج والعمران فى النصف الثانى من القرن العشرين بعـد أن تخلى الفحم عن دوره التاريخى وأصبحت الحضارة المعاصرة توصف بأنها حضـــارة بترولية وساعد على بروز الأزمة جنـــون الاستهلاك فى الولايات المتحدة وفى الحضارة الرأسمالية المعاصرة بصفة عامة ٠ وبرغم أن الولايات المتحدة دولة غنيـــة بتروليا الا أن اسرافها فى الاستهلاك ابتـداء من السيارات الفارهة التى يصفها ابن البلد المصرى عندما يراها فى شوارع وطنه بأنها تحتاج الى محطـة بنزين تجرى وراءها ، الى القاذفات العملاقة مثل ب ٥٢ التى استخدمتها فى حرب فيتنام والتى تستهلك كميات هائلة من الوقود ٠٠ مثل ذلك من أنماط الاستهلاك أبرز الأزمة ٠

وبرغم أن أزمة الطـــاقة فى الدول الرأسمالية الغنية تشـبه الأمراض المتوطنة فى البلدان النامية الا أن تفجيرها قبل حرب أكتوبر ٧٣ فيما بين عامى ١٩٧١ و ١٩٧٣ ثم تحويلها الى سعير اعلامى بعـــد الحرب يدل على تدبير محـــــكم ٠

لقـد بدأت المؤامرة قبـــل أكتوبر ٧٣ بعامين تقريبا ٠ « وفى(٢٠) عام ١٩٧٢ أنفقت شركات البترول الأمريكية ١٥ مليون فرنك فرنسى (الفرنك الفرنسى يوازى ١٥قرشا مصريا تقريبا) علىالصحف والاذاعات والتليفزيون داخل الولايات المتحدة فى محاولة لاقناع المواطن الأمريكى العادى بوجود أزمة طـــاقة » ٠

وقـد صاحب الحمـــلات الاعلامية(٢١) فى الولايات المتحـدة اجراءات مثيرة ٠ فقـد انعدم الوقود لتدفئة الـــكثير من العمارات السكنية ، وأغلقت بعض المدارس أربعة أيام فى الأسبوع ، واقتصرت الدراسة على ثلاثة أيـــام أسبوعيا بحجة توفير الوقود اللازم للتدفئة ٠ وشهدت بعض الولايات المتحدة الأمريكية نقصا حادا فىالبترول أدى الى اغلاق الكثير من المؤسسات والمصالح اغلاقا مؤقتا ٠ واختلت حركة القطارات فى بعض الولايات كمـا اختلت حركة

---

(٢٠) حـربى محمـد ـ النفط العربى وأزمة الطاقة فى العالم ـ دار الثـورة بغـداد ـ ص ٣٩ وذلك نقلا عن مجلة الاكسبريس الفرنسية فى عددها الصادر فى ١٩٧٣/٨/٢ ٠

(٢١) المرجـع الســـابق ص ٢٧ ، ٢٨ ٠

وسائل نقل الركاب داخل المدن•ووجه وزير التجارة الأمريكى فريدريك دينت رسالة الى ١٤٥ ألف أمريكى من رجال الأعمال تضمنت ١٩ طريقة يمكنهم بواسطتها الاقتصاد فى اطفاء المصابيح الكهربائية فى المناطق التى لا تحتاج الى اضاءة • وتنظيم أجهزة السيطرة على درجات الحرارة الى أقل حرارة ممكنة •

لماذا لم تنفجر أزمة الطاقة فيما بين عامى ١٩٧١ و ١٩٧٣ فى أوربا الغربية أو اليابان بالصورة المفاجئة والمدبرة التى تفجرت بها فى الولايات المتحدة برغم أن الولايات المتحدة دولة غنية بتروليا ، ولديها فائض تدفنه تحت الأرض ، فى حين أن بلدان أوربا الغربية واليابان تستورد الكميات الهائلة من البترول لحاجتها الماسة اليه ؟ •

الجواب يوضح استراتيجية المصالح الاحتكارية العالمية • وتبين الاحصائيات الدولية أن استثمارات البترول تدر أرباحا خيالية للشركات المسيطرة عالميا على البترول والتى يبدأ نشاطها من البئر وينتهى بالمستهلك وتسيطر ثمانى شركات احتكارية كبرى على بترول العالم غير الشيوعى منها خمس شركات تشكل فيما بينها احتكارا عملاقا متكاملا فاذا أضفنا الى ذلك أهمية البترول فى الحرب وأهميته فى صناعة البتروكيماويات لتأكدنا أن الاحتكارات البترولية كوجه للاستعمار الجديد لابد من أن تحاول احكام سيطرتها على الدول النامية المنتجة للبترول •

ان استنزاف الاحتكارات البترولية لحقوق البلدان النامية أشبه بقصص الخيال ، فعلى سبيل المثال بينما كانت الأسعار ترتفع عالميا والتضخم يقفز قفزات متلاحقة فى البلدان الرأسمالية كانت شركات البترول الاحتكارية تخفض سعر البترول بالنسبة لحق البلدان المصدرة عاما بعد آخر • لقد خفضت سعر البترول فى فبراير عام ١٩٥٩ ثم خفضته مرة أخرى فى أغسطس عام ١٩٦٠ ، وقد اخترعت الشركات الاحتكارية سعرا للبترول أسمته السعر المعلن ، تعلنه الاحتكارات من جانبها دون اعتبار للمنتجين أو عوامل السوق •

وفى مواجهة هذه السيطرة الاحتكارية لجأت الدول المنتجة للبترول الى انشاء « الأوبك » كمنظمة للدول المنتجة للبترول عام ١٩٦٠ وبلغ عدد

أعضائها حتى عام ١٩٧٣ ، ١٣ دولة ، وعلى نسقها تكونت الأوبك العـربية عام ١٩٦٨ وخلال أعوام قليلة ضمت كل البلدان العربية المنتجة للبترول بغية تحقيق التضامن البترولى العـــربى مع استمرار انضمام الدول البتروليـة العربية الكبرى للأوبك ٠

وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ بفرصه ذهبية للأوبك فى استرداد حقوق الدول صاحبة البترول ورفع سعر البترول ٠ وبذلك ضعف الدور التاريخى للاحتكارات البترولية وتصـــدت الدول الغنية المستهلكة للبترول بـزعامة الولايات المتحدة الأمريكية لاقامة تكتل قوى يمنع الدول البترولية من السير فى الشوط الى غايته ، واسترداد حقوقها ٠ وتم انشاء وكالة الطاقة الدوليـة عام ١٩٧٤ تضم ١٦ عضوا يمثلون الـــدول الرأسمالية الغنيـــة المستهلكة للبترول لتتضامن جميعا أمام أية مصاعب بترولية تواجهها ٠

وبرغم كل ما تثيره الدول الاستعمارية من أن زيادة سعر البترول هى سبب التضخم والانكماش وأزمة النقـــد الدولى وكل مشـاكل الاقتصـــاد الرأسمالى والاحتكارى ٠٠ برغم كل ذلك فان الحقـــائق الاحصائية تقول ان سعر البترول لا يصل الى أيـــدى الشعوب أو حكامه بحجمه الحقيقى ٠ ان الدولار وهو العملة التى يحسب على أساسها سعر البترول يخفض عمـــــدا بصفة مستمرة ، والتضخم فى أوربا الغـــربية يبلغ ٥ر١٤٪ سنويا والمواد المصنعة التى تستوردها الدول البترولية النامية من الدول الرأسمالية المتقدمة تزداد أسعارها بصفة منتظمة ، وفى النهاية نجد أن فاتورة البترول لا تعبر تعبيرا صحيحا عن ثمنه وعن حق أصحابه ٠

ان الهدف الاحتكارى من تفجير أزمة الطاقة(٢٢) فيما بين عامى ١٩٧١ و ١٩٧٣ يتمثل فيما يلى :

● اعداد المواطن الأمريكى بوجـه خاص والأوربى الغربى بوجه عام اعدادا نفسيا لتقبـــل أية مخططات عدوانية ضـد البلدان المنتجة للبترول وبخاصة فى منطقة الشرق الأوسط ٠ وتصفية حركات التحرر الوطنى بهـذه الحجـــة ٠

---

(٢٢) المرجـع الســـابق ص ٢٩ ، ٣٠ ٠

● ربط منطقة الشرق الأوسط الغنية بالبترول ربطا وثيقا بالولايات المتحـــــدة ٠

● الاستعانة بالأمم المتحـــدة ـ اذا لزم الأمر ـ فى محاولة لتـدويل البترول وتحويله من سلعة محلية ،الى سلعة دولية استراتيجية بحيث تدخل الأمم المتحدة طرفا بين المنتج والمستهلك ٠

● تستغل الولايات المتحـــدة الحاجة المتزايدة الى الطاقـــة فى أوربا الغربية لفرض زعامتها وسيطرتها على القارة الأوربية ٠

ولكن هل قلة موارد الطاقة تهدد بكارثة عالمية كما تزعم وسائل الاعلام فى البلدان الرأسمالية الغنية ؟ ٠

ان ما تؤكده التقارير والدراسات العالميـــة حول مصادر الطاقة ـ من البترول والغاز الطبيعى ـ أن ما هو مكتشف حتى الآن من احتياطى البترول المؤكد والمحتمل يكفى استهلاك العالم لمدة ٥٠ عاما ، على الأقل ، بل ان معظم خبراء البترول يؤكدون أن الاحتياطى البترولى يكفى لمـائة عام ٠

والأهم من ذلك أن الكرة الأرضية تحتوى على أنواع عديدة من مصادر الطاقة غـــير البترول والغاز الطبيعى مثـل الفحم واليورانيوم المستخدم فى المفاعلات النووية والحرارة الباطنيـــة للأرض والطاقة الشمسية ٠ وتطوير الطاقة الكهربائية ، ومزيد من الاستفادة من مساقط المياه فى تطويرها ٠ وكل ما يكتشفه العلم من جـديد ٠

ثالثا ـ أزمـة الغـــذاء العالمى :

هل توجد مشكلة غذاء فى البلدان الرأسمالية الغنية ؟

ان المواد الغـــذائية فى البلدان الرأسمالية الغنية مطروحة بـكثرة فى الأسواق من كل صـــنف وشكل ولون ، والمظهر الوحيـــد اللافت للنظر هو الإرتفاع المستمر فى أسعار الأغذية ـ وهذه سمة ملازمة للمجتمع الرأسمالى ٠

هل توجد مشكلة غذاء فى البلدان الشيوعية ؟ ٠

باعتراف كتابهم لا توجد مشكلة ٠ ومن روايات الذين عاشوا فى بلادهم من العرب يتأكد لنا عـــدم وجود مشكلة من حيث الكم ، وأن الكيف يتطور

عاما بعـــد عام • والبلدان الشيوعية ليست طـــرفا فى سرقة موارد البلدان النـــامية •

المشكلة اذن ترتبط بالعالم الثالث • فمـا هى طبيعة مشكلة الغـــذاء بالنسبة للبلدان النامية ؟ •

فى احصائيات بعض المنظمات الدولية نجـــد أن ٦٠٪ من أبناء الدول النامية يعانون من الجوع الواضح وغير الواضح ، ويموت سنويا من تأثير الجوع وسوء التغذية ٣٥ مليون شخص ، وهـذه النسب والأرقام فى ازدياد مســتمر •

ما هو السبب ؟ وما هى الجـــذور التاريخية للمشكلة ؟ لقـد حرص الاستعمار القـــديم والجديد على أن يظل اعتمـاد أكثر البلدان النامية على محصول واحد فرضه الاستعمار من قبـــل ، فجواتيمالا متخصصة فى الموز وكولومبيا فى البن • ان الأطعمة من أمريكا اللاتينية تتدفق على موائدجيرانها الأغنياء ، فى حـــين تذهب الأرباح الى جيوب الشركات الأجنبية التى تتولى التسويق والتصدير • وفى وطننا العـــربى يذكر التاريخ أن الجزائر كانت تبيع القمح لفرنسا ، والآن نرى حقول الكروم لانتاج النبيذ تغطى مساحات شاسعة من أرض الجزائر ، ولكنها بدأت تتقلص عندما بدأت الجزائر بعـــد الثورة تقتلع الكروم لتحل زراعة القمح وغيره من الزراعة المرتبطة بغـــذاء السكان لا بكأس النبيـــذ •

وهكذا دأب الاستعمار القديم والجـــديد على ضرورة أن تنتج البلدان النامية زراعة للتصدير ، وأن تبتعد عن تطوير وانتاج المواد الغذائية القادرة على اشباع السكان المحليين •

ولقـد وضع خبراء منظمة « فاو » (منظمة الأغذية والزراعة التابعـــة للأمم المتحدة) تقديراتهم حتى نهاية القرن الحالى ليتم تحسين الغـــذاء فى البلدان النامية الى مجـــرد ٢٤٠٠ سعر حرارى للاستهلاك الفردى اليومى ، فذكروا أنه لكى يتم ذلك مع زيادة السكان المتوقعة لابد من زيادة انتـــاج الأغذية فى أفريقيا بنسبة ١٦٠٪ وفى أمريكا اللاتينية ٢٤٠٪ • ويؤكد كثير من الخبراء والعلماء الاشتراكيين كمـــا يؤكد بعض العلمـاء الرأسماليين أن ذلك ممـــكن •

ويثير بعض الخبراء مشكلة تناقص خصوبة التربة . ولكن العـــلم الحديث وتكنولوجيا الزراعة أكدا أنه يمكن التغلب على تنـــاقص خصوبة التربة فمثلا قلت مساحة الأراضى المزروعة فى الولايات المتحـدة منـذ عـام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٦٤ بنسبة ١٧٪ وقل عـــدد العاملين فى الزراعة أكثر من مرتين بينما زاد انتاج المزارعين بنسبة ٨٢٪ ٠

ان بعض خبراء الزراعة يؤكدون أنه لو تمت زراعة الأراضى الصالحة للزراعة بالمستوى الراهن للهندسة الزراعية فقط ، لأمكن اطعام ٣٥ ألف مليون نسمة على ظهر الأرض ٠ وهناك تقديرات أكثر تفاؤلا ٠

هذا بالاضافة الى اصـــلاح الأراضى الجديدة وتجفيف المستنقعات ٠ كما يرى العلماء الى جانب ذلك أن البحار والمحيطات تحتوى على امكانيات هائلة لانتاج المواد الغذائية ٠

ولكن المشكلة التى تحير أذهان بعض أبناء العالم الثالث هى اقـــدام الدول الرأسمالية الغنية على احراق الطعام ، فى الوقت الذى يعانى فيـــه الكثير من أطفـــال العالم الثالث الموت جوعا ٠ ومن جانب آخر تبرع بعض بلدان العالم الرأسمالى الغنى والولايات المتحدة على وجه الخصوص ببيـــع فائض غذائهم بتسهيلات كبيرة للبلدان النامية ولكن فى مقابل تنفيذ سياسة الولايات المتحـــدة ٠

كنـــا نقرأ فى كتب التاريخ أنه خـــلال الأزمة الاقتصادية العالمية فى السنوات من ١٩٢٩الى١٩٣٤ وقد كان الكساد والبطالة من مظاهرها الحادة٠ خلال هذه الأزمة أحرق الرأسماليون القمح وسكبوا اللبن فى الأنهار ، وأحرقوا مصنوعات مثل الملابس والأحذية ٠ كل ذلك ليمنعوا هبوط الأسعار ، وكانت تطالعنا الصحف بعد الحرب العالمية الثانية ، بأن الأغنياء من بـــلدان العالم الرأسمالى يقذفون بالتفاح فى البحر وبالقمح والبن حتى لا تهبط أسعاره ٠ ولكننى لم أكن مستعدا لقبول مثل هذه الأفكار أو الأخبار عام ١٩٧٦ عندما أوفدتنى جامعة القاهرة فى مهمة علمية الى فرنسا ضمن اتفاق التبادل الثقافى بين مصر وفرنسا ، وروعت حقا عندما شاهدت اعدام « الخوخ » هناك لأنـــه لو لم يعدموه لانخفض سعره ٠ وتناقشت مع العرب الذين أمضوا فى فرنســا

سنوات عديدة فى جامعاتها ، ومع الفرنسيين أيضا حول هـذا الاعدام الذى شمل الخوخ وغيره ، فكان ردهم ببساطة ، هكذا معظم الدول الرأسمالية الغنية ، وهكذا قواعد السوق الرأسمالى ٠٠ !

ان بلدان العالم الثالث بما لديها من امكانيات بكر لم تستثمر بعد فى الزراعة وتربية الماشية وانتاج الطعام بصفة عامة يمكنها لو قامت بقدر من التنسيق والتعاون فيما بينها أن تهزم الجوع فى بلدانها ٠ ولا شك أن المشكلة محلية فى المقام الأول ثم هى تمس البلدان النامية فى المقام الثانى ثم فى النهاية يمكن الحصول على معونة الدول الغنية وخبراتها فى سبيل القضاء على الجوع وتوفير وتحسين الغذاء للبلدان الفقيرة بل وللبلدان الغنية أيضا ٠

رابعا ـ الانفجار السكانى :

يشهد الربع الأخير من القرن العشرين مؤشرات الانفجار السكانى بوضوح كامل ٠ ففى سنة ١٦٥٠ م كان تعداد العالم ٥٠٠ مليون نسمة وفى عام ١٧٥٠ أصبح التعداد ٧٠٠ مليون نسمة ، زاد الى ١٢٠٠ مليون نسمة عام ١٨٥٠ وبعد قرن واحد تضاعف التعداد الى ٢٥٠٠ مليون نسمة ، ثم صار ٤ آلاف مليون نسمة فى عام ١٩٧٥ م وفى نهاية هـذا القرن سيصبح تعداد العالم ٦٥٠٠ مليون نسمة ٠ والمشكلة فى ثنايا هذا الانفجار أن الفقراء يزدادون بنسبة أكبر من نسبة زيادة الأغنياء ٠

ويرسم الجـــدول التالى مؤشرات الانفجار السكانى حتى نهاية هذا القـــرن :

تعـــداد ســـكان العـــالم وتوقعـــاته

فى المســـتقبل بالمليـــون

	١٩٧٠		١٩٨٠		٢٠٠٠	
البلدان النامية	٢٥٤٥	٧٠٪	٣٢٥٨	٧٣٪	٥٠٦١	٧٧ر٧٪
جنوب آسـيا	١١٢٦		١٤٨٦		٢٣٥٤	
شرق آسـيا	٨٢٧		٩٧٩		١٢٩١	
أفريقيـــا ..	٣٤٤		٤٥٧		٨١٨	
أمريكا اللاتينية وبعض الجــزر	٢٥٨		٣٣٦		٥٩٨	
البلدان المتقـدمة	١٠٩٠	٣٠٪	١٢١٠	٢٧٪	١٤٥٣	٢٢ر٣٪
أوربـــا	٦٤٢		٤٩٧		٥٦٨	
الاتحـــاد السوفيتى	٢٤٣		٢٧٠		٣٣٠	
أمريكا الشمالية	٢٢٨		٢٦١		٣٣٣	
آخـــرون	١٥٧		١٨٢		٢٢٢	
اجمـــــالى	٣٦٣٥		٤٤٦٨		٦٥١٤	

وتعد مشكلة الانفجار السكانى المظهر الدولى للمشكلة السكانية فى بلدان العالم كل على حدة · وهى فى حقيقتها مشكلة البلدان النامية بصفة أساسية · فقد ساعد التقدم الصحى النسبى والاستقلال على وقف النزيف البشرى فى بلدان العالم الثالث · ذلك النزيف الذى اتخذ صورا عدة منها صور صيد العبيد ، أو صور السخرة المفضية الى الموت كما حدث فى حفر قناة السويس ، أو صور الاستشهاد فى حروب التحرير كما حدث فى ثورة الجزائر · أو صور اجبار أبناء المستعمرات على خوض الحروب العالمية التى يشنها المستعمرون بعضهم ضد بعض ولم يكن لأبناء المستعمرات ناقة فيها ولا جمل ·

والانفجار السكانى يرتبط بمساحة الأرض وهى محدودة ، ويرتبط بما يخرج من الأرض من رزق وهذا يمكن تطويره وزيادته · لذلك ينبغى لأبناء العالم الثالث أن ينظروا بجد الى مشكلة الانفجار السكانى ، وأن يحددوا بدقة السياسات السكانية وتنظيم النسل بما يحقق التوازن بين الثروة البشرية متمثلة فى السكان وبين الثروات الطبيعية متمثلة فى كل ما تنبت الأرض وما يخرج منها ·

ومشكلة السكان لها جانب احصائى يربط بين أعداد السكان وتزايدهم وبين مواردهم المتاحة والمحتملة · ولكن لها جانب ايديولوجى يرتبط بسياسة المجتمع وتنظمه الاقتصادية ، وهو ما عالجه البعد البشرى للتنمية ، ولكن ينبغى ألا يغيب عن الأذهان أن المشكلة فى وجه من وجوهها تهم العالم بأسره، وأن التعاون الدولى فى حلها ضرورة لازمة ·

وقد أولت الأمم المتحدة مشكلة السكان قدرا كبيرا من العناية ، فالى جانب الصندوق الخاص بالأنشطة السكانية ، خصصت عام ١٩٧٤ لتكثيف الاعلام والاهتمام والتعريف بالمشكلة وبحجمها وجوانبها المختلفة ·

وحول موضوع السنة الدولية للسكان عقدت الأمم المتحدة مؤتمرا عالميا ضخما فى بوخارست عاصمة رومانيا فى أغسطس ١٩٧٤ · حضرته وفود عن دول العالم ووفود حركات التحرير وممثلون عن وكالات الأمم المتحدة ومكاتبها والهيئات المتخصصة التابعة لها ، وقد بلغ عدد المشاركين فى المؤتمر ٣٥٠٠

فردا وغطى أعماله ٩٠٠ صحفى يمثلون أجهزة الاعلام فى العالم ، وقد استمرت أعمال المؤتمر أسبوعين،ونتج عنها ٢١ قرارا وخطة عمل عالمية احتوت على ١٥٩ فقرة مثلت آراء الجميع واقتراحاتهم لتجنب الأخطار المتعلقة بمشكلة السكان، وقد أوصت الخطة بتدعيم وسائل التنمية وتطوير وسائل الحياة بتنسيق العمل بين كل القطاعات الرئيسية الاقتصادية والاجتماعية بما فيها السكان التى تعد معينا لا ينضب للابداع وعاملا حاسما من عوامل التقدم ٠ ومن مبادىء الخطة أنها تقرر أن وضع وتنفيذ سياسات السكان فى العالم هى حق من حقوق السيادة لكل شعب ، وأنه يجب أن يمارس هذه السياسة وهذا الحق طبقا للأهداف والاحتياجات الداخلية دون تدخل خارجى ٠ وتؤكد على اعتبار أن الهدف الرئيسى للتنمية التى تعد التنظيمات والسياسات السكانية جزءا لا يتجزأ منها ، هو تحسين مستويات المعيشة ٠ ونوعية حياة الأفراد وأن السكان والتنمية موضوعان متداخلان فتؤثر المتغيرات السكانية على متغيرات التنمية والعكس صحيح ٠

كما تقوم خطة العمل على عدد آخر من المبادىء تمثل أساس أهدافها وتؤكد على ما يلى :

١ ـ احترام الحياة الانسانية حق أساسى لكل المجتمعات الانسانية، وهو حق مستقل عن تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية ٠

٢ ـ لكل المتزوجين حق أساسى فى تقرير عدد أطفالهم بحرية وبمسئولية وكذلك الفروق بين أعمارهم ، وأن يتوفر لهم الاعلام والثقافة ، ومسئولية الأزواج فى ممارسة هذا الحق يجب أنتضع فى اعتبارها احتياجات حياتهم ومستقبل أطفالهم ومسئولياتهم تجاه المجتمع ٠

٣ ـ ان الأسرة هى الوحدة الأساسية للمجتمع ويجب حمايتها بالتشريعات والسياسات المناسبة ٠

٤ ـ للنساء الحق فى الاندماج الكامل فى عملية التنمية ٠ من خلال الاشتراك المتساوى فى الحياة التعليمية والاجتماعية والحضارية والسياسية مع اتخاذ الاجراءات الضرورية لتسهيل هذا الاندماج والقيام بالمسئوليات العائلية التى يجب أن يشترك الزوجان فيها معا بالكامل ٠

أما التوصيات المتعلقة بدور التعاون الدولى فأهمها ما يلى :

١ ـ على الجمعية العامة للأمم المتحدة والمجلس الاقتصادى والاجتماعى ومجلس ادارة برنامج الأمم المتحدة للتنمية وصندوق الأمم المتحدة للنشاطات السكانية وبقية الأجهزة التشريعية والهيئات التى تضع السياسة فى الوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة والهيئات العديدة والحكومات أن تنظر بعناية فى هذه الخطة للعمل وأن تضمن تجاوبا مناسبا معها ٠

٢ ـ إن الدول ذات الظروف والمشكلات السكانية المتشابهة مدعوة لتبادل النظر فى هذه الخطة للعمل وتبادل الخبرات المتعلقة بالسكان ، وأن تطور جوانب الخطة ذات الصلة الخاصة بها ٠ كما أن على اللجان الاقليمية والاقتصادية للأمم المتحدة وبقية الهيئات الاقليمية التابعة للامم المتحدة أن تؤدى دورا هاما لتحقيق هذه الغاية ٠

٣ ـ هناك حاجة خاصة للتدريب فى مجال السكان ٠ وعلى جهاز الأمم المتحدة والحكومات ، وحينما يكون ذلك مناسبا ، والمنظمات غير الحكومية ، أن تعترف بهذه الحاجة وأولوية الاجراءات الضرورية للقيام بها بما فى ذلك الاعلام والتعليم وخدمات تعليم الأسرة ٠

* * *

ما هى الحلول التى يراها المفكرون لأزمة التنمية دوليا ؟ وما جهود الهيئات والمؤتمرات الدولية لحل التناقضات الرئيسية بين الغرب الغنى المتقدم وبين العالم الثالث الفقير المتخلف لتذليل العقبات التى تعترض تنمية العالم الثالث ؟ ٠

لقد تعرضت لجنة الخبراء التى رأسها عام ١٩٦٨ ليستر بيرسون رئيس وزراء كندا الأسبق فى تقريرها للسؤال : ما هو هدف التعاون من أجل التنمية الدولية ؟ ٠

وأجابت بأنه ليس سد كافة الفجوات وازالة جميع الفوارق ، فذلك على أية حال أمر مستحيل ، ولكن الهدف هو تقليل الفوارق وازالة القصور وعدم المساواة ، وهذا يكمن فى مساعدة الدول الفقيرة فى التحرك الى الأمام ،

بطريقتها الخاصـــة الى العصر الصناعى والتكنولوجى • ويضـيف هؤلاء الخبراء بأن الحرب ضـد الفقـــر والعوز تبدأ من الداخل ولكنها لا ينبغى أن تنتهى هناك • وهم يؤكدون على الحافز الأخلاقى وعلى أهمية التعاون الدولى والتجارة الدولية للدول الغنية • وهم يقولون أن هـدف جهد التنمية الدولية يتركز فى وضع الدول الأقل تقدما بأسرع ما يمكن فى مكان يمكنها من تحقيق آمالها بصدد التقدم الاقتصادى دون الاعتماد على المساعدات الأجنبية(٢٣) •

والواقع أن مشكلة المساعدات الخارجية المشروطة للدول النامية أثبتت عكس ما كان يؤمل منهـــا • سواء كانت الشروط لتقديم المساعدة علنيـــة أو سرية • فتأييد الولايات المتحـدة الأمريكية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية للنظم الديكتاتورية التى قامت فى بعض بلدان العالم الثالث حيث ظن الساسة الأمريكيون أنهـــا نظم مستقرة ومعادية للشيوعية ومصادقة لرس المـــال الأمريكى • كل ذلك أثبت تناقضه مع الديمقراطية من جانب ، وعوق التنمية فى العالم الثالث من جانب آخر • لذلك ينبغى النظـر فى المساعدات الخارجية نظرة شاملة ونظرة استراتيجية حتى لا تصبح فخا للدول النامية برغم قلتها من حيث الكم •

لقـــد طالبت أصوات عديدة منـــذ عام ١٩٥٨ فى المجتمع الدولى بأن تخصص الدول الغنية ١٪ من دخلها القومى لمساعدة البلدان النامية فى صور قروض ومنح • وفى عام ١٩٦٠ اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحـــدة قرارا بهذا المعنى • وفى أول اجتماع لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية عام١٩٦٤ تم تنقيح هذه الفكرة وأيدها مجلس المعونة من أجل التنمية • ولكن كل هذه الجهود لم تسفر عن بلوغ الهدف المطلوب ، اذ بلغت مساعدات التنمية بعـــد عشر سنوات من بروز هذه الفكرة فى المجتمع الدولى عام «١٩٥٨» ٣٩ر٪ ويبين الجدول التالى مساهمات الدول الغنية بالتفصيل فى عام ١٩٦٨ •

---

(٢٣) لستر بيرسون (اعداد ابراهيم نافع) ـ ماذا يجرى فى العـالم الغنى والعـالم الفقير ؟ ـ شركاء فى التنمية ـ دار المعـارف ـ ١٩٧١ ص ١٣ •

مساعدة التنمية الرسمية كنسبة من اجمالى الناتج القومى

١٩٦٨

الدولة	النسبة	الدولة	النسبة
استراليا	٥٧ر٠	اليابان	٢٥ر٠
النمسا	٢٠ر٠	هولندا	٥٤ر٠
بلجيكا	٤٢ر٠	النرويج	٢٩ر٠
كندا	٢٨ر٠	السويد	٢٨ر٠
الدنيمارك	٢١ر٠	سويسرا	(١٠ر٠)
فرنسا	٧٢ر٠	المملكة المتحدة	٤٢ر٠
ألمانيا	٤٢ر٠	الولايات المتحدة	٣٨ر٠
ايطاليا	٢٣ر٠	**المجموع**	**٣٩ر٠**

ماذا تنتظر الدول النامية من دول الغرب المتقدمة ؟ وماذا تنتظر الدول المتقدمة من الدول النامية ؟ ٠

لقد عقد فى روما فى نوفمبر ١٩٧٥ مؤتمر طرحت فيه هذه القضية بعنوان صفقة الكرة الأرضية(٢٤) على أساس ترتيب العالم الى ناد غربى يشمل الدول المتقدمة وعضويته غير مفتوحة للجميع ، وفى مواجهته العالم النامى ٠ وعلى أساس أن الحوار بين العالمين يبدأ بالاتفاق على منهج هذا الحوار ٠ ويتلخص ما تنتظره الدول النامية من دول الغرب فى :

١ ــ على المستوى الداخلى : ضبط النفس (أى الاحجام عن دق طبول الحرب أو دعوات العدوان على الدول النامية فى السياسة الداخلية) ٠

٢ ــ على المستوى الدولى : العدل (فى التعامل مع الدول النامية) ٠

---

(٢٤) د٠ لويس عوض ــ ترتيب العالم ــ جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٥/١٢/٢٦ ٠

أما ما ينتظره الغرب من الدول النامية فهو :

١ ـ على المستوى الداخلى : الاعتماد على النفس ٠

٢ ـ على المستوى الدولى : التنبؤية (فى القرارات والأفعال وردود الأفعال) ، أى أن الدول المتقدمة حائرة مع الدول النامية لأن سياساتها كثيرا ما تكون مفاجآت غير منتظرة أو غير متوقعة ٠

فاذا استمر تكتل دول العالم الثالث فمن الطبيعى أن يحمى الغرب نفسه بالتفكير فى اقامة أمم متحدة صغيرة لا تشتمل الا على الدول العظمى ٠ وقد توصلت الدول الكبرى اقتصاديا وهى أمريكا وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وايطاليا واليابان وبلجيكا وهولندا الى تكوين ما يشبه النقابة المصرفية من بنوكها المركزية لضمان حد أدنى وحد أقصى لقيمة النقد فيما بينها بحيث تتكافل فى تجنب الهزات التى يمكن أن تدمر عملة هذه البلاد فى سوق النقد الدولية » ٠

وفى حلقة روما هذه طرح السفير « هارلاند كليفلاند » على المجتمعين تصور خبراء أحد المعاهد الأمريكية لترتيب العالم لوقايته من الاضطرابات الاقتصاديه ، وأهم نقاط هذا التصور كما يلى :

١ ـ انشاء بنك الطعام ومهمته تنمية وتنسيق موارد العالم من الغذاء عن طريق مجلس الغذاء العالمى ، لتوفير الطعام لكل فم ، بحيث تزيد احتياطيات العالم من الطعام ولا سيما من الحبوب ، وذلك لمواجهة السنين العجاف بصفة خاصة ٠ مع اعطاء أولوية خاصة فى معونات الغذاء للبلاد المتعرضة للمجاعات ولا سيما الهند وبنجلاديش ودول أفريقيا جنوب الحزام الصحراوى ، وكذلك تحديد حد أقصى وحد أدنى لأسعار الأغذية الأساسية فى السوق الدولية ٠

٢ ـ انشاء بنك البترول والمواد الخام ، ومهمته تثبيت أسعار المواد الخام بوضع حد أقصى وحد أدنى لهذه الأسعار بانتظام لتتمشى مع الحالة الحقيقية للعرض والطلب فى العالم ، ومع ضبط الأسعار يكون أيضا ضمان حصول الدول الصناعية عليها من الدول النامية بعقود طويلة الأجل بين الطرفين ٠

٣ ـ انشاء هيئـــة مفوضة من الأمم المتحدة لمراقبة نشاط الشركات الاستثمارية المتعددة الجنسيات التى استفحلت منذ الحرب العالمية الثانية ، حتى أن نشاطها يمثل الآن خمس تجارة العالم ، هذه الشركات الاستثمارية المتعددة الجنسية فى الصناعة وغيرها ، وأكثرها مقره فى البلاد المتقدمة ، قـد بلغ بعضها من الجسامة أنها أصبحت أكبر حجمـــا وأكبر قوة من كثير من البـــلاد النامية التى أصبحت تتحرج من التعامل معها والانفتاح لها ، خوفا من ثقلها السياسى الذى يمكن أن يغـــير أو يحدد مجرى الأمور ونظم الحكم فى الدول الصغيرة ، وكذلك لقدرتها على التهرب من الضرائب وعـدم احترام قوانين البلدان النامية ٠

٤ ـ انشاء صندوق دولى للمعونات يمول من فرض رسوم وضرائب دولية على كل استثمار له طابع دولى ، مثـــل استغلال قاع البحـار ومرور السفن فى المياه الدولية والطيران المدنى فى المجال الجوى المدنى ، وعلى مصايد المحيطات وعلى المواصلات السلكية واللاسلكية الدولية ٠٠٠ الخ والغرض من صندوق المعونات الدولى هو تعزيز قـــرار الأمم المتحـدة أن تخصص الدول الصناعية ١٪ من اجمالى دخلها القومى لمشروعات التنمية فى الدول النامية ٠ عن طريق المعونات والقروض الطويلة الأجل ، لم يعد هـذا القرار ينفذ الا فى حدود ثلث الواحد فى المـائة ، بسبب اقتناع الدول الواهبة أو المقـرضة بأن هـذه المعونات لا ينتفع منها فى البلاد النامية من يجب أن ينتفعوا منهـــا ، وهذا الصندوق يقوم جنبا الى جنب مع البنك الدولى وبرنامج التنمية التابع للأمم المتحدة وليس بديلا عنهما ، ومهمته معاونة الدول النامية على تمويل مشروعات التنمية الأساسية فيها لسد حاجتها الحيوية ٠

٥ ـ اعادة التوزيع الجغـرافى للصناعة ، فالصناعة حتى الآن مركزة فى الدول المتقدمة ، وقـد كانت الدول المتقدمة تقليديا تحاول احباط التنميـة الصناعية فى الدول المتخلفة ٠ والحل الآن هو أن تغير الدول المتقدمة هذه السياسة وتبـــدأ فى تشجيع تصنيع الدول النامية بالاستثمار فيها بشرط اطمئنانها على أموالها وأرباحها ، وبذلك تتفـرغ الدول المتقـدمة لدخول عصر ما بعـد الصناعة ، وهو عصر العقل الالكترونى ، وصناعات المعلومات ٠ وبذلك تنتقل الصناعات والتكنولوجيا التقليدية الى البـلاد النامية فتمر البلاد النامية فى نفس الثورة الصناعية التى مرت فيها ٠

٦ ـ التعاون الدولى للاستثمار فى المجال المشترك بين جميع الدول وهو المحيطات وقاع البحار للانتفاع المشترك من موارده الطبيعية٠ ولكى يتم ذلك لابد من الاتفاق على قانون البحار الذى يمكن من هذا الاستثمار المشترك٠

ويعلق الكاتب المصرى الدكتور لويس عوض(٢٥) الذى حضر المؤتمر على هذه النقاط ويفندها وينقدها ٠ فيرد على فكرتهم حول بنك الطعام بقوله :

« وهذا بالطبع كلام جميل ولكنه يفجر مشاكل كثيرة خطيرة ذلك لأن سلاح القمح أو الحبوب بصفة عامة الذى تملكه بعض الدول العظمى وفى مقدمتها أمريكا يمكن أن يكون سلاحا أفعل فى الضغط على الشعوب الفقيرة من سلاح البترول فى الضغط على الشعوب الغنية ٠ ولهذا فالسيطرة على بنك الطعام أى هذا المخزن العالمى أو هذه المخازن العالمية للأغذية الأساسية قد تترتب عليها أخطر النتائج ثم أن اشتراط توجيه التنمية الزراعية فى البلاد المتخلفة والنامية لتغطية حاجاتها من الطعام ، برغم أنه يصون استقلال هذه البلاد بضمان الكفاف ، الا أنه كفيل بأن يجعل البلاد النامية عاجزة عن دخول عصر الصناعة لتركيزها على الزراعة » ٠

أما عن انشاء بنك البترول والمواد الخام لتخزين رصيد دولى من البترول والمواد الخام لطرحه فى السوق الدولية كلما نقص العرض عن الطلب ، فان معنى هذا لو طبق ، فانه يجرد الدول البترولية من أقوى سلاح تملكه فى وجه الدول القوية ، كما أنه يضمن منع حظر تصدير البترول من الدول النامية الى الدول الصناعية كما حدث فى حرب أكتوبر ، ولما كانت البلاد النامية أو المتخلفة هى مصدرة المواد الخام للدول المتقدمة ، فان نظرية العقود الطويلة الأجل مهما كانت مرنة سوف تكبل الفقراء الضعفاء لحساب الأغنياء الأقوياء ، لعدم تكافؤ الطرفين فى القدرة على المساومة ، كذلك فان هذا النظام سوف يكسر نهائيا فاعلية منظمة الأوبك ويضع حدا لاحتكار الطاقة ٠

أما الشركات المتعددة الجنسية فالدكتور لويس عوض يسميها الاحتكارات المتعددة الجنسية ٠ ويرى أنها الوباء الذى استفحل فى نصف القرن الأخير ، « وهو الوباء الذى يحفر قبر الديمقراطية الليبرالية فى العالم

---

(٢٥) المرجع السابق ٠

اليوم وحتى منذ الحرب العالمية الثانية ، لعلنا نذكر أن الاسطول البريطانى لم يغرق بعض السفن التجارية الالمانية لأن رأسمالها كان انجليزيا أو لأنه كان مؤمنا عليها فى شركة اللويدز الانجليزية • وقد كانت الطائرات الأمريكية تدمر كل شبر فى برلين ومع ذلك كانت تتجنب اسقاط قنبلة واحدة على مصانع تليفونكن لأنها كانت استثمارا أمريكا أو متعددة الجنسية ، ومن بعد ذلك السوق الأوربية المشتركة ، والاستثمارات الأمريكية فى كل ركن من أركان أوربا ، وفى عديد من دول العالم النامى •• فهل تجدى مع هذا الاخطبوط الاحتكارى سلطة أدبية مثل اقامة محكمة عدل دولية جديدة ؟ وماذا يحمى الدول النامية من أن تسلم مصيرها لاستثمارات أجنبية ميزانية كل منها أكبر من ميزانية كثير من دول العالم النامى » •

ويصف الكاتب المصرى التصور لاعتبار الكرة الأرضية كلها مجالا لاستثمارات الدول المتقدمة فى الصناعة بأنه تصور خطر ففيه يتمثل حلول الاستعمار الجديد محل الاستعمار القديم ، واعتبار مواطنى العالم النامى بروليتاريا عالمية لمواطنى الدول المتقدمة ، الأولون يدربون على الانتاج الآلى والآخرون وهم مالكو رأس المال ، يجنون فوائض القيمة من هذه البروليتاريا العالمية • ومثل هذا التصور يكون مقبولا لو أن هناك تكافؤا فى القوة بين البلدين المتقدم والمتخلف ، بما يخضع رؤوس الأموال الأجنبية لسيادة الدول النامية ، أما والحال عكس ذلك فالأرجح أن رأس المال الأجنبى كفيل بأن يشكل دولة داخل الدولة فى كل بلد نام • لم تعد هناك حاجة فى هذا التخطيط لكرة الأرض لنقل العبيد من أفريقيا للعمل فى مزارع ومصانع البلدان الغنية ، اذ الأرخص الآن اقامة المصانع لهم فى محال اقامتهم ، مادامت هذه المصانع فى حراسة عواصم الدول المتقدمة • ويؤكد الدكتور لويس عوض على أن تبنى الدول النامية صناعاتها بأموالها وبعمل أبنائها ، وأن تقتصر معاونة الدول المتقدمة فى تقديم آلاتها وخبرتها التكنولوجية بالأسعار التى لا تشمل النمو الصناعى فى بلاد العالم الثالث •

ويطرق **الكاتب المصرى الكبير توفيق الحكيم** باب البعد الدولى للتنمية عندما يعرض رأيه فى مشكلة تغيير النظام الاقتصادى العالمى ، ورأيه فى توفير الطعام لكل فم • ويشير الحكيم الى عبارة وردت فى كتاب العالم نحو التغيير

الذى طبعته اليونسكو هى : « ان وضع نظام جديد للاقتصاد العالمى فرصة للسلام لا ينبغى أن تضيع » كما يشير الحكيم الى عبارة مقـابلة هى : « ان فكرة وضع نظام جديد للاقتصاد العالمى ضرب من الخيال » ٠

ويرى الحكيم أنه لكى نطرح عنا اليأس يجب ألا نزدرى الخيال ، وأن نتذكر أن كل تقدم عملاق فى تاريخ البشرية قد أعتبر فى أول مرة من قبيـل الخيال ، وأن « اينشتين » قال أن الخيال أهم من المعرفة لأنه يعلم أن المعرفة الخلاقة ثمرة للتخيل ٠ ومن ثم يدعونا الحكيم الى التمسك بالشجاعة والايمان بمستقبل السلام ٠ هذا السلام الذى ينظر اليه اليوم على أنه خيال بعيد ٠ ولكن ما السلام ؟ هنا يدخل الحكيم الى جوهر فكرته التى ينادى بها ورؤيته للحل فيقول : « ان السلام ليس سوى نتيجة لنظام اقتصادى جديد ، يقوم على العدل الانسانى ، اذن لا سلام بغير عدل ٠ ولكى نحقق هذا العدل يجب البحث فى نظام جديد للاقتصاد ٠ كل هذا مرتبط ـ منطقياً ـ بعضه ببعض ، ولكن ـ عمليا ـ تحقيق ذلك فى منتهى الصعوبة ، أولا : من الذى سيتركنـا نغير أو على الأصح نهز دعائم النظام الاقتصادى الحالى ؟ ٠٠ ان تغيير الواقع الحاضر للاقتصاد العالمى معناه بكل بساطة انهيار البناء الضخم للمجتمـع المشيد على هذا الاقتصاد القائم ، فلا بد اذن لكى ننشىء نظـاماً اقتصـادياً جديداً أن ننشىء مجتمعا جديدا ٠ ويبقى أن نعرف بماذا نبدأ ؟٠٠ هل نبدأ بالمجتمع الذى يخلق الوضع الاقتصادى الجديد ؟ أم نبدأ بالنظام الاقتصادى الجديد الذى يشكل المجتمع الجديد ؟ » ٠ والحكيم يحدد ما يقصده بالمجتمع هنا بأنه مجتمع البلدان الغنية المتقدمة التى تستطيع اعطاء العدل ٠ وهنـا يصل الكاتب الى ذروة المشكلة ويعترف بها فى شكل الأسئلة التى يطرحها : من الذى يرغم البلدان القوية الغنية على تغيير المراكز التى تحتلها ؟

ويجيب الحكيم بترك ذلك الى الرجال ذوى العزائم المدافعين عن السلام ، فهم بما ينطوون عليه من اخلاص وأمانة فى حمل القضية يستطيعون تغيير العالم ٠ ويترك ذلك الى العلم الذى يغير وجه الاقتصاد ومن ثم يغير العالم ٠ ويؤكد الكاتب فكرته بما يسوقه من أمثلة فيقول : « لقد قام العلم فعلا بأبحاث محدودة حتى الآن لاكتشاف موارد جديدة للطعام ٠٠ ولكن هذه الأبحاث لم تزل ، مع الأسف ، فى نفس المرحلة التى كانت عليها الأبحاث النووية منـذ خمسين سنة ٠٠ لماذا اذن قفزت الأبحاث النووية كل هذه القفزات الجبارة ؟٠٠

الجواب هو أن الدول القوية لها مصلحة فى تشجيع ودفع هذه الأبحاث لأغراض سياسية وعسكرية ، فى حين أن توجيه هذه الأبحاث لاطعام البشر واقرار العدل الاقتصادى لم يزل بعيداً عن اهتمام القوى العظمى ، التى يهمها فى المكان الأول انفاق المليارات من أجل تحسين سلاح رهيب مدمر ، قادر على تأكيد التفوق والسيطرة ٠

يجب اذن أن نبحث فى مكان آخر عن الموارد اللازمة لتمويل البحوث العلمية المتقدمة التى تقفز القفزات الجبارة لاكتشاف الطعام لكل البشر ٠٠ وليس أمامنا الا أن نتجه الى الشعوب نفسها ٠٠ شعوب العالم جميعا ٠٠ الشعوب « بملاليمها » ٠ ومعها الأثرياء الكرماء « بملياراتهم » ٠٠ ومن حصيلة هذه الأموال ينشأ صندوق دولى لتنشيط العالم الذى يلغى الجوع فوق كوكبنا الأرض ٠٠ وعلى أصحاب العقول والقلوب تقع اليوم مسئولية الاقناع بضرورة انشاء هذا الصندوق ، فقد آن الأوان لانهاء جوع البشر فوق كوكبنا ، وبغروب شبح الجوع يشرق فجر السلام(٢٦) » ٠

لا شك أن رؤية الأديب والفنان تختلف عن رؤية السياسى وعالم الاقتصاد ٠ وهذا ما جعل رؤية الحكيم انسانية ومثالية ، ولكنها ــ فيما أرى ــ بعيدة عن امكان التطبيق فالعلم مثل الثروة فى يد الأغنياء وهم أشد ضناً به من المال ، وقد وصل الأمر بين مجتمع الأثرياء الى ظاهرة التجسس العلمى لسرقة الاختراعات ٠ وعدد ذوى الرأى وذوى العزائم المدافعين عن السلام أقل من ذوى العزائم المدافعين عن ضرورة رواج تجارة السلاح بل ويملكون من وسائل التأثير أضعاف ما يملك الكتاب النبلاء من أمثال الحكيم ٠ وفيما أرى أن أكبر قيمة لرؤية الحكيم هى أنها تبصرنا بضرورة الثورة ٠٠ ثورة العالم الثالث على الاستغلال محلياً وعالمياً ليتحقق التقدم ويتحقق السلام ٠

ان قضايا التخلف فى العالم الثالث لا تهم المفكر الغربى الا من زاوية السياسة الخارجية لمجتمعه ، أو من زاوية تطور البحث العلمى واهتماماته الشخصية ٠ أما بالنسبة للمفكر المنتمى لبلدان التخلف فهى قضية حياته ومعاشه ٠ ان من يسبح فى النهر ليس كمن يشاهد السباحة من فوق الشاطىء ٠

---

(٢٦) توفيق الحكيم ــ طعام الفم والروح والعقل ــ دار المعارف ١٩٧٧ ص ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ٠

وفى أثناء الاعداد لمؤتمر الأمم المتحدة للتنمية(٢٧) فى استوكهولم فى يونيــة عام ١٩٧٢ فزع بعض خبراء التنمية من أبناء الدول النامية ، عندما تبين لهم أن مشكلات بلدانهم تطرح من وجهة نظر الدول المتقدمة وحدها ٠٠ وقد انعقد عزم هؤلاء الخبراء على أن الطريق لمواجهة المشكلة يبـــدأ بدعوة المشتغلين بقضايا التنمية من أبناء العالم الثالث للتصدى لها بفكر جديد ، يدع جانبا النماذج والأهداف التى تنقل عن العالم المتقدم ، ويحاول فى أصالة أن يكشف عن غيرها ، تكون أكثر التصاقا بالواقع واستلهاما لحضارات العالم الثالث واحتراما لقيمتها الخاصة ٠٠ لقد تبين لهؤلاء الخبراء أن المطلوب لبلدانهم قبل التمويل والتكنولوجيا هو جهد ذهنى مكثف يبذله أبناؤه لتحديد أهـداف التنمية واستراتيجياتها ٠

وقد دعت مجموعة الخبراء هذه لاجتماع حضره حوالى الأربعين من خبراء التنمية فى العالم الثالث فى أبريل عام ١٩٧٣ فى سانتياجو ٠ وقد صدر عن هذا الاجتماع البيان الذى دعا الى انشاء « منتدى العالم الثالث » كتنظيم يهدف فيما يهدف الى تجميع خير الكفاءات الذهنية بين أبنـــائه بقصـــد اقتراح استراتيجيات تنمية جديدة ومناسبة للواقع ٠ وكان جوهر تلك الدعوة هـو التخلص من التبعية الفكرية واستثمار الطاقات الذهنية المتاحة داخل العـالم الثالث وذلك باقتراح أساليب جديدة للتنمية نابعة من الاحتياجات الفعلية للشعوب وأن تتجاوز مجرد التقدم المـادى لتشمل القيم الحضارية والاجتماعية لمجتمعاتها ٠ وأن تستهدف مصلحة الجماهير العريضة من الســكان وليس مصلحة أقلية ذات امتيازات ٠ وأن تعكس التفاعل الخلاق بين الفكر الوطنى والتجارب الخارجية ٠ وأن تعتمد فى المقام الأول على الموارد المحلية وتطوير التكنولوجيا المحلية ٠ وأكدت الوثيقة من ناحية أخرى أن الجهـــد الفكرى المطلوب ضخم ، وأن على المفكرين من أبناء العالم الثالث أن يعتبروا القيام به فريضة عليهم يؤدونها فى صلة وثيقة بجماهير شعوبهم ٠ كما أشارت الى أن الجهد الفكرى يجب أن يشمل أيضا اعادة النظر فى النظام الاقتصادى العالمى ليوفر الحماية لمصالح العالم الثالث المشروعة فى مجال التجـــارة والمـوارد الطبيعية ونظام النقـــد ٠

---

(٢٧) د٠ اسماعيل صبرى عبـد الله ـ منتدى العـــالم الثالث ـ جـــريدة الأهـــرام بتاريخ ١٩٧٥/٥/٢٥ ص ٧ ٠

وبعد جهد شاق فى الاتصالات وتدبير التكاليف اللازمة ، انعقد الاجتماع التأسيسى للمنتدى فى كراتشى فى الفترة من ٦ الى ١١ يناير سنة ١٩٧٥ وحضره عدد من الاقتصاديين العرب ، وقد أقر الحاضرون فى نهايته النظام الأساسى للمنتدى الذى أكد أن منتدى العالم الثالث رابطة تضم على مستوى العالم أبناء البلدان النامية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية المبرزين فى العلوم الاجتماعية والملتزمين التزاما شخصيا ازاء تنمية بلدانهم وازاء ميثاق حقوق الانسان الذى أقرته الأمم المتحدة .

أما أهداف المنتدى كما صورها النظام الأساسى فتشمل :

● توفير الاطار الفكرى لتبادل وجهات النظر حول مختلف استراتيجيات التنمية وما يترتب على كل منها من سياسات .

● معاونة دول العالم الثالث فى تحديد اتجاهات التنمية وأسس التفاوض مع الدول المتقدمة .

● دعم البحوث الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بالتنمية بالاعتماد بصفة خاصة على مراكز البحث القومية والاقليمية فى العالم الثالث .

● تشجيع تبادل الأفكار ونتائج البحوث والكشف عن مجالات التعاون بين بلدان العالم الثالث بهدف معاونة صانعى القرارات على المستويات القومية والاقليمية والدولية لحماية الحقوق والمصالح المشروعة لشعوب العالم الثالث .

● الاسهام فى دعم وتطوير التعاون بين بلدان العالم الثالث وبصفة خاصة فى مجال العلم والتكنولوجيا .

● ابداء الرأى فى القضايا الدولية التى تهم العالم الثالث فى علاقته بالدول المتقدمة وقد نص النظام الأساسى على أن «منتدى العالم الثالث» تنظيم غير حكومى ولا يسعى لتحقيق الربح . ولذلك فان العضوية فيه شخصية بحيث لا يمثل العضو أى حكومة أو هيئة أو تنظيم آخر ، ولا يعبر بالتالى الا عن رأيه الخاص . وفى هذا ضمان لحرية البحث العلمى وتيسير للتفاعل بين الأعضاء . وعضوية المنتدى مفتوحة للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية وغيرهم من المثقفين بشرطين هما : الكفاءة المشهود بها والمبنية على العلم والخبرة ، وتبنى أهداف الندوة والالتزام بها .

وقد حرص « منتدى العالم الثالث » على استقــلاله الكامل ، ونجحت المساعى الأولى فى الحصول على تمويل من السويد وكندا لتنظيم اجتمــاعى سانيتاجو وكراتشى وكانت السياسة المقررة هى محاولة تدبير التمويل من مصادر لا تحاول السيطرة على المنتدى أو توجيه أعماله ۰ وحين عقدت اللجنة التنفيذية التى تم انتخابها فى كراتشى ۰ اجتماعها الأول فى مدينة مكسيكو استقبل اتشفريا رئيس المكسيك أعضاءها وأبدى تحمسه للندوة واقتناعه برسالتها ، وعبر عن ذلك بأن المكسيك مستعدة لتحمل نفقات المنتدى بالكامل فى المرحلة الأولى من حياته على الأقل حتى لا يحتــاج الى تمويل من خارج العــالم الثــالث ۰

الفصل السادس

خطة الإعلام وخطة التنمية

الخطــة والتخطيــط

ان تحديد المصطلحات يلاحقنا عندما نبدأ فصلا جديداً بمصطلح جديد ٠ ما معنى الخطة ؟ وما هو مفهوم التخطيط ؟

يمكننا أن نحدد مفهوم الخطة بأنها التنظيمات والترتيبات التى سبق تحديدها والتى تسعى لتحقيق هدف معين ومحدود ٠ ومن هذا المفهوم لمصطلح الخطة نجد أنه يتضمن عنصرين أساسيين : العنصر الأول هو وجود هدف معين ومحدد تسعى الخطة لتحقيقه ، والعنصر الثانى هو وجود تنظيمات وترتيبات تم اختيارها وتقررت لتحقيق الهدف ٠

أما التخطيط فانه يعنى التنبؤ بالمستقبل والاستعداد له ٠ وهو بهذا المعنى المبسط أمر شائع فى حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات منذ القدم ٠ ويحدثنا الدكتور على المرشدى(١) عن أشهر خطة لتحقيق الأمن الغذائى عرفت لنا فى تاريخ مصر القديمة تلك الخطة التى رواها القرآن الكريم فى قصة سيدنا يوسف ، اذ جاء فى القرآن الكريم على لسان سيدنا يوسف « قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتى من بعد سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون »

لقد كانت هذه الخطة منذ آلاف السنين قبل أن يبرز الفكر الماركسى فيرى مفكروه وفلاسفته أن للتخطيط شروطا لاتتحقق الا فى مجتمع اشتراكى٠ وخلال آلاف السنين من تاريخ العقل البشرى مارست المجتمعات بل والجماعات والأفراد أيضا ألواناً مختلفة من التخطيط للمحافظة على حياتها ولتحقيق نفسها ومصلحتها ٠

ولقد اختلف المفكرون حول مفهوم التخطيط فى علوم الاقتصاد والسياسة والادارة والاجتماع وفق موضوع المعالجة وأيدلوجية المفكر وطبيعة العصر ،

---

(١) د٠ على المرشدى ــ التخطيط ــ مجلة الطليعة ــ يونيــو ١٩٦٥ ٠

ولكن مصطلح التخطيط بصفة عامة يعبر عن تعبئة وتنسيق وتوجيه الموارد والطاقات والقوى البشرية والمعنوية والمادية والمالية المتاحة للمجتمع ـ حاضرا ومستقبلا ـ لتحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية وثقافية ، متفق عليها مترابطة ومحدودة ومرسومة فى اطار سياسى ارتضاه المجتمع ، وفى فترة أو فترات زمنية محددة ·

والعلاقة بين التخطيط والخطة هى أن عملية التخطيط تستلزم وضع مجموعة من الخطط · احداها عامة تمثل الأهداف التى ينشد المجتمع تحقيقها خلال مدة طويلة · كما توضع خطط تفصيلية سنوية تمثل الترجمة التفصيلية لأهداف الخطة ، والمشروعات الواجب تنفيذها فى كل من سنوات الخطة العامة تحقيقاً لأهداف هذه الخطة · وتوضع خطط اقليمة تفصيلية تهدف الى توزيع المشروعات الواجب تنفيذها فى الأقاليم المختلفة للدولة . حتى تتحقق العدالة فى التوزيع الاقليمى لهذه المشروعات ·

ويرى المفكرون الاشتراكيون(٢) أن التخطيط ليس مجرد فن وانما هو أسلوب سير نوع معين من المجتمعات ، وأنه لا يمكن أن يوجد تخطيط الا فى مجتمع تحققت فيه شروط الاشتراكية أو هى بسبيلها الى التحقيق أو على الأقل شروط الشروع فيها · ويفضى ذلك الى ابراز أن التخطيط يمكن أن يتخذ شكلا متطوراً فى حالة المجتمع الاشتراكى المتطور ، أو شكلا انتقاليا فى مجتمع تكون الاشتراكية فيه فى مرحلة البناء عندما ترسى قواعده الأساسية ·

ويطلق المفكرون الاشتراكيون على التخطيط فى المجتمع الرأسمالى البرمجة للرأسمالية نسبة الى البرامج ، على أساس أن شرط التخطيط هو الشمول ، وهو مالا يمكن تحقيقه فى المجتمعات الرأسمالية ، وان تخطيط المنتج لسلعته أو تخطيط الاحتكارات لانتاجها انما هو وضع برامج وليس تخطيطاً بالمعنى الشامل للتخطيط ، وهو المعنى الاشتراكى للتخطيط ·

وفى بعض البلدان الرأسمالية تضع الحكومة خططاً للانتاج القومى وتعرض على البرلمان ، ولكنها غير ملزمة للرأسماليين · وان كان الواقع يثبت

---

(٢) شارل بتلهيم ـ ترجمة د· اسماعيل صبرى عبد الله ـ التخطيط والتنمية ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف ـ ١٩٦٨ ص ٢٠ ·

استفادتهم منها وسيرهم على هداها • كما أن الدول كافة تخـطط لمواردها ومصروفاتها لتضع ميزانياتها على ضوء هذا التخطيط • وعلى أية حال لقـد فرضت طبيعة العصر الاهتمام بالتخطيط فى كافة المجتمعـات • ومع ازدياد تدخل الدولة فى أمور الانتاج والأسواق حتى فى البلدان الرأسمالية الغنيـة أصبح التخطيط ضرورة عصرية ، ولكنه ضرورة أكثر للبلدان النـامية التى يتحتم عليها أن تلم شتات نفسها وأن تضع خططها للتنمية الشاملة •

اعــداد الخطــة :

وعندما يصدر القرار السياسى فى البلد النامى بوضع الخطة الشاملة للتنمية تتولى الوزارات والمصالح والمؤسسات العامة اعداد مشروعات خططها العامة والسنوية • كذلك تقوم هذه الهيئات مشتركةومنفصلة اجراء الدراسات وتقديم البيانات والاحصائيات اللازمة • ومن واقع التجربة المصرية(٣) فان ذلك لا بد وأن يشمل على وجه الخصوص ما يلى :

١ ـ حجم ونوع الموارد المـالية والمـادية والبشرية •

٢ ـ أوجه استخدام هذه الموارد فى الانتاج والاستثمارات والاستهلاك والتصدير والاستيراد •

٣ ـ نظم التمويل فى القطاعين العام والخاص وما يتعلق بذلك من أجهزة الائتمان وتوجيه المدخرات •

٤ ـ وسائل توفير العمـلات الأجنبيـة وما يتعلق بذلك من قـروض وصادرات وواردات منظورة وغير منظورة •

٥ ـ برامج ومشروعات التنمية فى مختلف القطاعـات الاقتصـادية والاجتماعية •

٦ ـ برامج التـدريب الفنى والمهنى ونظم الادارة والاشراف وتوفير الفنيين والعمـال •

٧ ـ وسائل التنسيق بين الأجهزة الاقتصادية والتنفيـذية العـامة والخاصـة •

---

(٣) المـادة ٥ من قـرار رئيس الجمهـورية رقم ١٣٢٩ لسـنة ١٩٦٠ •

وتقدم الوزارات والمصالح والمؤسسات مشروعاتها الى وزارة التخطيط التى تتولى اعداد الخطة العـــامة للسنوات الخمس وكذلك الخطط السنوية التفصـــيلية ٠

وحتى يتسنى لوزارة التخطيط اعداد الخطط فان القوانين تعطى لوزير التخطيط القومى أن يطلب من الهيئات والمؤسسات الخاصة تقديم البيـانات اللازمة لاعداد الخطة العامة والخطط السنوية ٠ واذا كانت البيانات ذات صفة خاصة يخشى عند افشائها الاضرار بمصلحة مقدميها فتعتبر بيانات سرية ولا تستخدم الا فى الغرض الذى طلبت من أجله وبواسطـة الجهـــاز الفنى للتخطيط القـومى ٠

ويراعى فى اعـداد الخطط تقـدير ما يلى(٤) :

١ ـ الانتاج القومى فى القطاعات المختلفة ومستلزماته وأنواع السـلع والخدمات المنتجة وتكليف الانتاج واستخدامه فى الداخل والخارج وأهداف الخطة المختلفة فى هـذه النواحى ٠

٢ ـ الأجور والأرباح المختلفة للأفراد والهيئات بسبب الانتاج والمدخرات التى تنشأ من الدخول فى القطاعات المختلفة ووسائل توجيهها نحو الاستثمار ومصادر التمويل والاستثمار والأهداف العامة للادخار والاستثمار والدخل ٠

٣ ـ العمالة فى المجتمع وتهيئة فرص الدخل والتـــدريب للمـواطنين وانتاجية العامل ورأس المـال ووسائل رفعها تحقيقاً للتنمية ٠

٤ ـ مستوى الاستهلاك الفردى للمواطنين وتوافر السلع والخـدمات اللازمة لتحقيق مستوى معيشة أفضل لأفراد الشعب وخاصـة الطبقـــات محـــدودة الدخـــل ٠

٥ ـ مشروعات الاستثمار والتنمية فى القطاعات المختلفة والعائد المنتظر منها واجراءات تنفيذها وتشغيلها ٠

---

(٤) المـادة ٥ من قـــرار رئيس الجمهـــورية بالقـــانون ٢٣٢ لســـنة ١٩٦٠ فى شـــأن التخطيط القـومى والمتابعـة ٠

٦ ـ دور القطاع العام ممثلا فى الادارة الحكومية وقطاع الأعمال الحكومية واستثمارات القطاع العام والسياسة المالية والاقتصادية والميزانية العامة للدولة ٠

هذا ، ويجب أن يراعى فى اعداد الخطة ، التوافق بين النشاط الاقتصادى العام والنشاط الاقتصادى الخاص تحقيقاً للأهداف الاجتماعية ورفاهية الشعب(٥) ٠

أما الخطط السنوية فانها تبنى على أساس تقدير ما تم من أهداف فى السنة السابقة وما يجب أن يتم من أعمال وأهداف خلال السنة ، حتى يمكن الوصول بالمجتمع الى ما يراد له من تطور فى نهاية الخطة ، وعلى أساس ما تقترحه الوزارات والمؤسسات المختلفة من مشروعات وبرامج للتنفيذ خلال السنة وعلى أساس تطوير أجهزة التنفيذ وتلافى أسباب النقص والقصور التى لم تعمل تلك الأجهزة على تلافيها فى السنوات السابقة ، وعلى أساس ما قدر أن يتاح من الموارد المالية التى تصورها الميزانية العامة للدولة ومقابلها من الموارد الفنية والبشرية سواء من المصادر المحلية أو الخارجية ٠

التخطيط الاعلامى :

يتحدث الدكتور أحمد كمال أبو المجد(٦) من واقع تجربته كوزير للاعلام فى مصر (١٩٧٤) عن ضرورة التنسيق بين أجهزة الاعلام والصحافة والتنظيم السياسى مؤكداً أنه بغير هذا التنسيق يمكن أن ينطلق التنظيم السياسى فى خط ، وأن تنطلق الاذاعة والتليفزيون ومصلحة الاستعلامات مثلا فى خط ، وأن تسير الصحافة فى خطوط متعددة فيكون الانسان المصرى الذى هو المستقبل لهذا ووعاؤه فى حيرة بين من يدعوه الى هنا ومن يشده الى هناك ٠ كما أن استراتيجية التثقيف فى أجهزة الاعلام محتاجة الى مدارسة والى تحديد ٠ أما عن الدور الخارجى لأجهزة الاعلام ولمكاتبنا الاعلامية فى الخارج فانها قاصرة ، وليست مقصرة ٠٠ قاصرة بتكوينها وبعدد الذين يعملون فيها ٠٠ وبالأجهزة

---

(٥) المادة ١٢ من قرار رئيس الجمهورية بالقانون ٢٣٢ لسنة ١٩٦٠ فى شأن التخطيط القومى والمتابعة ٠

(٦) د٠ احمد كمال ابو المجد ـ من محضر اجتماع باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى فى ١٩٧٤/٧/٢ حول الاعلام والصحافة فى مصر ٠

التى تعمل بها وبالمواد الاعـلامية التى تصل اليها ، وبالتمويل الذى يصلها وبدرجة التنسيق مع الشعارات ومع التنظيم السياسى ٠٠ هى قاصرة يقيناً عن أن تؤدى الدور الكبير الذى يتطلع الى أدائه فى الخارج ٠ وعندما يتحـدث الوزير عن قضية الترويح ٠ فانه يقول أن أبناء هذا المجتمع النامى يتعبون ويعملون ، ونطالبهم بمزيد من العمل ، ومن حقهم أن يستريحوا وأن يمرحوا ، وأن يروح عنهم بعد أيام عمل هى شاقة ونريدها أكثر مشقة بمهام المرحـلة المقبلة ٠ ولكن المشكلة هى أن أذواق الناس فيما يتصل بالترويح متباينة » ٠

ان هـذا الطرح المسئول يؤكد لنا أن التخطيط الاعـــلامى ضرورة فى المجتمعات النامية وضرورة أشد بالنسبة لخطة التنمية فيها ٠

ما المقصـــود بالتخطيط الاعــــلامى ؟

ان التخطيط الاعلامى فى دولة نامية هو حصر القوى الاعلامية فيها من طاقات بشرية وأجهزة اعلامية ومعدات ومؤسسات بدءاً من النشرات الحزبية الى المؤسسات الصحفية الى الاذاعة والتليفزيون الى مصلحة الاستعلامات الى قصور الثقافة ونوادى الاستماع والمشاهدة الى دور العـرض السينمائى والاستوديوهات والمسارح وفرق الفنون الشعبية حتى خيال الظل وشـاعر الربابة ، وتعبئة وتوجيه هذه القوى لتحقيق أهداف المجتمع ، ومن بينهـــا أهداف خطة التنمية ومن بينها الأهداف التفصيلية لخطة الاعلام ذاتها ٠

من الذى يقوم بالتخطيط الاعـلامى ؟

لا بد من هيئة قومية تشكل بمنتهى الدقة ، ويتحقق فيها التكامل بين المفكرين والمنفذين ومن بيدهم تقديم العون المـادى لتسيير وتدفق العمـــل الاعلامى ٠ ان نظرة الى تشكيل المجلس(٧) الأعلى للصحافة فى مصر ، تقرب لنـــا تصــــورا لمجلس أعلى للتخطيط الاعــــلامى يضـــم كل من فى مجلس الصحافة ، ووزير الخارجية ووزير التعليم ووزير الثقافة ، وممثلا أو أكثــر للمجالس القومية المتخصصة ٠ ثم ممثلين عن أجهزة الاذاعـــة والتليفزيون

---

(٧) فى الحادى عشر من شهر مارس ١٩٧٥ أصدر رئيس الجمهورية بوصفه رئيسا للاتحـاد الاشتراكى العربى قـرارا بانشاء أول مجلس أعلى للصحافة فى مصر وقـد نصت المـادة الخامسة من القـرار على تشكيل المجلس على النحو التالى :

والسينما والمسرح والثقافة الجماهيرية وغير ذلك من كافة القطاعات العاملة فى الحقل الاعلامى الواسع وممثلين عن الأحزاب ٠

ولا شك أن مجلساً موسعاً كهذا سوف يجد خلال جلسات قصيرة طريق عمله ولائحته والأسس العلمية التى تحقق أهداف تكوينه ٠ ولا شك أن مجلساً كهذا المجلس سوف يشكل لجانا للبحوث تكون ضوءاً دائماً أمام تحقيق أهداف التخطيط الاعلامى وقائمة على أسسه فى التنسق والتكامل والشمول والاستجابة للمتغيرات بالمرونة والتجديد ٠

متى يبدأ الاعلام دوره ؟

ان أول ما يلقاه الباحث الاعلامى فى موضوع أثر الاعلام فى المجتمع والدور الذى يمكن أن تؤديه وسائل الاعلام فى تغيير المجتمع ذلك الخلاف الأيدلوجى بين الباحثين حول هل بناء الانسان يبدأ بتغيير الأوضاع الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية فى المجتمع ، ثم ينعكس ذلك على الوعى والادراك ؟ أم هل يبدأ بناء الانسان بالتأثير فى العقل والوعى وفى الضمير ثم ينعكس ذلك على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى الاجتمع ؟

وهو خلاف تقليدى أسهم فيه الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمؤرخون ، وقد اختلفت الآراء بينهم حول علاقة التتابع بين جانبى التراث الاجتماعى ٠ الجانب المادى والجانب المعنوى ٠ ففى رأى فريق منهم أن الجانب المادى

=

(أ) وزير الاعلام ٠
(ب) أمين الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى العربى ٠
(جـ) وكيل مجلس الشعب ٠
(د) نقيب الصحفيين ٠
(هـ) أحد مستشارى محكمة الاستئناف ٠
(و) ثلاثة من رؤساء المؤسسات الصحفية ورؤساء التحرير ٠
(ز) ثلاثة من المشتغلين بالمسائل العامة ٠
(ح) عميد كلية الاعلام ٠
(ط) اثنان من أعضاء مجلس نقابة الصحفيين ٠
(ك) ثلاثة من الصحفيين ممن تقل مدد اشتغالهم بالمهنة عن خمسة عشر عاما يرشحهم مجلس نقابة الصحفيين ٠
(ل) رئيس النقابة العامة للطباعة والنشر ٠

يسبق الجانب المعنوى ، وعلى رأس هذا الفريق المــاركسيون ، وذهب فريق آخر الى سبق الجانب المعنوى وأشهر القائلين بذلك أرنولد توينبى ٠

ولكن الجدير بالاهتمام أن تجارب العالم الثالث أثبتت أن الأخـــذ بالرأيين معاً ممكن الحدوث ، وأثبت التاريخ ذلك ، ففى الوقت الذى بدأت فيه بعض بلدان العالم الثالث تغيير الأوضاع الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية بدأت فى نفس الوقت فى تغيير العقول والسلوك ، وأثبت ذلك أن التأثير متبادل بين الجانبين المـادى والمعنوى وأن بناء الانسان يرتبط ارتباطاً وثيقاً ببنـــاء التقــدم مادياً ومعنوياً ٠

ولكن أهم ما يجب اضافته هو أن دور الاعلام لا يقتصر فى التنميـــة الشاملة على البناء المعنوى للانسان بل انه أيضاً يســهم فى البناء المـادى ، وأبسط دليل على ذلك استيعاب الاعلام لتكنولوجيا وسائله من أقمار صناعية الكترونية ، ومحاولة تطويرها واخضاع سلطانها للظروف المحلية ٠ بـــل ولا يقف منتظرا حتى تبدأ خطة التنمية فى التنفيذ ٠ ان المجتمع فى حـركة مستمرة وكذلك الاعلام وقبــل أن تتحرك خطة التنميـــة من الاحصائيات والتنسيق الى شكلها النهائى يكون الاعلام قـــد سبقها بأن يجعل المجتمع يحس بمرارة موقفه الحضارى المتخلف ــ كما سبق القول ــ وبضرورة تغيير هذا الموقف المتخلف ، وبخلق ثورة التطلعات بين أبناء المجتمع ٠

الاعـــلام والمجتمـــع :

اذا شبهنا النشـــاط الاقتصادى فى أى مجتمع من المجتمعــات بالدورة الدموية فى جسم الانسان فاننا نشـــبه الاعلام بالجهاز العصبى فى جســم المجتمع ٠ وما ينبغى على الاعلام أن يقوم به هو تفجير الطاقات الخلاقة داخل الانسان وشحذها للبناء ، وذلك فى اطار تغيير القديم المتعفن ، واحلال الجديد القويم من قيم وعادات وسلوك ، وفى اطار بعث القديم الأصيل ودفعــــه فى اتجاه التقـــدم ٠

هــذه هى الوظيفة الاعلامية فى المجتمع ٠ وهذا ما يعنيه تعبير البنـــاء المعنوى للانســـان ٠

ان الاجابة التقليدية عن وظائف الاعـــلام فى المجتمع ، هى الاخبـــار والتثقيف والترويح والاعلان ، ولكن هذه الاجابة التقليدية ، وان عبرت عن المظهر الا أن الجوهر أكثر عمقا وفاعلية ٠

ولقد أولى أساتذة الاتصال أهمية كبرى للدور الذى تلعبه وسائـــل الاعلام فى المجتمع فاعتبر بعضهم الاتصال نسيجا للمجتمع الانسانى برمته ، وكلما تدفق الاعلام بين شرايين هذا النسيج كلما زادت فاعلية المجتمع وقدرته على التنمية ٠٠ وأكد آخرون أن عملية الاتصال لدى المواطن ترسخ شـــعوره بالانتماء الى وطنه وقوميته ، وأن استغلال هـذا الشعور فى التنمية ضرورة من ضرورات نجاحها الى جانب أن وسائل الاتصال تنقل التراث الاجتماعى من جيل لجيل واهتم آخرون(٨) بالمعلومات والأفكار التى تحملها وسائـــل

---

(٨) يرى كثير من الباحثين أن التقمص الوجـــدانى (Empathy) جـزء لا يتجزأ من الاتصال ، لأنه يربط ذهن المرسل وذهن المتلقى ، والتقمص الوجدانى هو المقدرة على فهم الحالة الذهنية لشخص آخر ، كأن تقول لشخص آخر « اننى افهم مشـــاعرك » ٠ كيف يتحقق التقمص الوجدانى ؟ وما هى قيمته للاتصال ؟ يكتسب الفرد المقدرة على التقمص الوجدانى بالتحرك المـادى من مكان الى آخر ، أو عن طريق التعرض لوسائل الاعلام التى تجعل التحرك السيكولوجى يحل محل التحرك المـادى ٠ وقيمة التقمص الوجدانى للاتصال يمكن تلخيصها فى أنه لكى نتصـل ، يجب أن يتوافـر لنـا على الأقـل ثلاثة عنـاصر ٠ (١) وسائل مادية للاتصال ، (٢) ورجع صدى ، (٣) ومقدرة على التقمص الوجدانى ٠

والمقـدرة على التقمص الوجـــدانى ٠ أى عمل استنتاجات عن الآخرين وتغيير تلك الاستنتاجات لتتفق مع الظروف الجديدة ، هذه المقدرة معروفة منـذ القـدم ولكن الجديد هو اكتشاف علاقتها بوسائل الاعلام ٠ اننا حين نتوقع أو نستنتج مشـاعر الآخـــرين بالتقمص الوجدانى ، أى القـدرة على الاسقاط وتصور انفسنا فى ظروف الآخـــرين ٠ ويساعد على تطوير تلك القدرة ، للتحرك المـادى من مكان الى آخر ، لذلك تعمل وسائل الاعلام على تطوير المقدرة على التقمص الوجدانى بين الأفراد الذين لم ينتقلوا من مجتمعاتهم المحلية ابدا ، لأن تلك الوسائل تنقل العالم الخارجى اليهم ٠

وهناك نظريتان عن التقمص الوجدانى : نظرية تقول اننا نجرب الأشياء مباشرة ونفس ما يفعله الآخرون وفقا لخبراتنا أى نفترض أن جميع الناس سوف يتصرفون بنفس الطريقة التى نتصرف بها ، واننا لا نستطيع أن نتنبأ بما سيفعله الآخرون اذا لم نمـر نحن انفسنا بنفس التجربة التى يمرون بها (Inference theory) .

والنظرية الثانية تقول اننا نحاول أن نضع انفسنا فى ظروف ومواقف الآخرين ٠ وفى اتصالنا نتحول من الاستنتاجات الى اخذ ادوار الآخرين ، على أساس تنبئنـا ٠

(أنظر د٠ جيهان أحمد رشتى ـ الأسس العلمية لنظريات الاعـــلام ـ دار الفـــكر العربى ـ ١٩٧٥ ـ ص ٣٦٧ ، ٣٦٨) ٠

الاتصال والتى تعـد العامل الأساسى فى زيادة مجالات المعرفة لدى الجماهير وتوسيع آفاقهم وازدياد قـــدرة أفرادهم على التقمص الوجدانى وتقبـلهم للتغيير واشتراكهم فى التنمية ٠

ويصف العقاد فى كتابه حياة قلم سحر الكلمة المطبوعة ، سحر الصحافة قائلا : وان تعجب لسر من أسرار تلك الدعوة فى بعد مداها للبون الشاسع مثلا فى صحيفة كصحيفة العروة الوثقى أو أبو نظــارة أو الأستاذ ، وريقة ذات مقال وبضعة أخبـــار من قبيل الأخبار البوليسية أو البرقيات المقتضـــبة وتحاول أن تتبع أثرها الى أقصى مداه فلا تستقصيه لأنك قد تسمع صـــداه فى تخوم الصين أو على متون الرمال فى جوف الصحراء ٠ كما تروى الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فى كتابها « قمم أدبية » أن على أمين سافر الى الشرق بعد احتجاب مجلة الرسالة (١٩٣٣ ــ ١٩٥٣) ، وعاد يقول لو أن الحكومةأغلقت سفاراتها فى الشرق وأبقت على الرسالة لكان خيرا لها وأجدى عليها ٠

وينبغى أن ندرك أن بناء الانسان فى أى مجتمع من المجتمعات وان كان وظيفة اعلامية معاصرة الا أن روافد عديدة تشارك مع الاعلام فى عملية البناء هذه ٠٠ تبدأ بالأسرة الصغيرة وما يتلقاه الطفل فيها من قيم سلوك ومزاج ، وبالميراث الحضارى فى الأمة التى ينتمى اليها الفرد ٠ وبالتربية التى تقـدم للصبى نمطا من التعليم ومن السلوك ، ثم بحركة المجتمع الثقافية وأهمهــا تأثير الدين والتنظيمات السياسية القائمة فى المجتمع ٠ كل هـــذه الروافد تصب فى جدول واحد وليس الاعلام الا رافدا من هـــذه الروافد ، ولكن نظرا للتأثير اليومى وللحركة المتجددة وللصوت الأعلى لوسائل الاعلام فى حياتنـــا العصرية فاننا نلاحظ أن مطالب الناس دائما متزايدة فى القاء مسئولية بناء الانسان العصرى فى المجتمعات الحديثة على عاتق وسائل الاعلام ٠

ويرى بعض أساتذة الاعلام(٩) أن دور رجل الاعلام فى التنمية هو دور المعلم فى المجتمع فان لأجهزة الاعلام مهام محددة تترجم الى برامج تفصيلية ، هذه المهام هى التعليم والترفيه والاخبار ٠ والصحفى كمنفذ للسياســـة الاعلامية له كذلك دور المعلم ٠

---

(٩) Dominique Desouches — Information et developpement en Côte Divoire, Thêse, Doctorat d'Etat Paris, 1972.

والنظرة التاريخية لدور الاعلام فى حياتنا تؤكد مسئوليته المعاصرة ٠ وترتبط أهمية الاعلام فى تطوره التاريخى بواقعنا المعاصر ٠

ان تفسير التاريخ كمـــا نعلم ــ نوع من الفلسفة ، وأن الاختلاف فى تفســـير التاريخ هو فى نفس الوقت اختـــلاف للنظر فى تفســـير العلاقات الاجتماعية الكائنة والتى مضت فى المجتمع ونحن فى هـــذا المقام لا نتعرض لتفسير التاريخ وانما نستعرض رأيا للكاتب العالمى هـ٠ج ويلز يعد من الآراء الطريفة التى تفسر التاريخ ، وهو وان كان فى نظـرنا ليس تفسيرا علميـــا للتاريخ الا أنه يرتبط بتطور الاعلام ، ويكاد ويلز أن يرى قصـــة التطور البشرى قصة تطور اعلامى ٠ فان هذا الكاتب العالمى ويلز يرى أن الانسانية مرت بمراحل فى تاريخها ، ولكنه لا يحدد هـــذه المراحل بالعصر القديم ثم العصور الوسطى ثم العصر الحديث كما تعود التقليديون ، ولم يفسر تطور التاريخ تفسيرا ماديا كما يرى التقدميون ٠ وانما نظر الى تطور التاريخ على أساس ظاهرة اجتماعية واحدة وهى التى تنزع بالانسان الى تحطيم الحواجز والاتصال بأخيه الانسان فى مكان آخر وفى مجتمع آخر ٠ وقسم ويلز مراحل التاريخ وفق هذه النظرة الى خمس مراحل :

المرحلة الأولى ــ هى مرحلة الكلام :

وهو يرى أن هـــذه المرحلة الأولى فى حيـــاة الانسانية هى التى تميز الانسان عن غيره من الحيوانات ، لأن الكلام أو النطق نابع من الفـــكر ومن العقل ٠ من هنا يبدأ تاريخ الانسانية بتميز الانسان عن غيره من الحيوانات بالكلام فنقول ان الانسان حيوان ناطق أو حيوان مفكر ٠

المرحلة الثانية ــ هى مرحلة الكتابة :

فبعد مرحلة الكلام تقدم الانسان فاخترع رموزا يعبر بها عن مشاعره وأفكاره ووثائقه عبر الزمان والمكان ، هذه الرموز هى الكتابة ٠

المرحلة الثالثة ــ هى مرحلة اختراع الطباعة :

وفى هذه المرحلة أصبحت الكتابة ذات أثر فعال ٠ واتسعت وظيفتهـا بامكان نقل الكلمة المطبوعة من مكان الى آخر بسهولة ، وبتعدد وكثرة النسخ المطبوعة زادت الفاعلية ٠

المرحلة الرابعة ـ هى المرحلة العالمية :

وهى المرحلة التى استطاعت فيها البشرية أن تجعل نقل الأشياء بصورة عالمية بفضل المخترعات الحديثة من بخار وكهرباء ووسائل المواصلات السريعة ٠

المرحلة الخامسة ـ مرحلة الاذاعة :

يرى ويلز أن هذه المرحلة قمة التقسيم الخامس الذى رآه يمثل تطور تاريخ البشرية ، لأنه يرى أننا بواسطة الاذاعة استطعنا أن نتخطى فى نقل المشاعر والأفكار الحدود والحواجز الجغرافية ٠

واذا كان « ويلز » قد نظر الى قصة التطور البشرى كقصة تطور للاتصال بين البشر ، وأسبغ عليها من شخصيته الروائية هذه النظرة الطريفة فان « ولبور شرام »(١٠) قد تتبع الوظائف الاعلامية عند تفسيره لأهمية الاعلام فى تطوره التاريخى ٠ فهو يرى أنه عندما كان المجتمع الانسانى عبارة عن قبائل بدائية مكدسة فى الكهوف اتقاء البرد والأخطار القائمة على الدوام ، حتى هذا المجتمع كانت له احتياجات اعلامية جوهرية معينة ، الى جانب الاعلام اليومى المتبادل فى الغزل بين المحبين ، وفى نطاق العائلة وبين الأولاد فى لهوهم ، أو فى المحادثة العابرة ٠ كان على القبيلة أن تعين ديدبانا مهمته مراقبة الأفق والابلاغ عن الأخطار وفرص الصيد ٠

ان ما يذكره « شرام » يذكرنا بقصة زرقاء اليمامة المشهورة فى التراث الشعبى العربى ٠ تلك الفتاة الحادة البصر التى كانت تصعد الى ربوة أو تل لتخبر قبيلتها بما ترى من بعيد ، فيستعدون لمن يحاول غزوهم ، أو للفوز بصيد قطيع من الحيوانات ٠ وذات مرة لجأ أعداء قبيلتها للتضليل والتمويه فساروا لهم تحت فروع شجر كثيفة يحملونها فوقهم ٠ وأخبرت زرقاء اليمامة قومها بما رأت ولكنهم لم يصدقوها وظنوا بعقلها الظنون وبأن قدرة بصرها اختلت ٠ ونتيجة لسوء تقديرهم هاجمهم أعداؤهم على غرة ونالوا منهم كل نيل وأوقعوا بهم هزيمة مروعة ٠

---

(١٠) ولبور شرام « ترجمة محمد فتحى » ـ أجهزة الاعلام والتنمية الوطنية ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ ١٩٧٠ ٠

ان زرقاء اليمامة وهى تؤدى وظيفة الاعلام فى المجتمع القديم أصبحت رمزا فى عالمنا الحديث لما يصيب المجتمع عندما يسخر من رأى ذوى الرؤية البعيدة فيه ٠

واذا تتبعنا مهمة هذه الديدبان كما يقررها « شرام » فاننا نجدها تنحصر فى الابلاغ ، ثم بمجرد وصول المعلومة عن قبيلة معادية مثلا ، أو قطيع من الماشية الى القبيلة يبدأ ترتيب معين لتقرير ما يتخذ من اجراء ٠ فشيخ القبيلة أو مجلس قيادتها يقرر بعد مناقشة وأخذ ورد تحديد المسئوليات ويصدر الأوامر وبالطبع لم تكن كل سياسة القبيلة تقرر عن طريق المجلس على اثر حالة طارئة ٠ كان البت فى الكثير منها مرهون بنظام من المعتقدات والتقاليد والقوانين التى يبلغ بعضها من العمر ما يزيد عن عمر أكبر الأحياء فى القبيلة سنا ٠ لذلك كان من أهم الواجبات تعليم هذه المعتقدات والتقاليد والقوانين والمهارات الضرورية فى حياة القبيلة الى الشباب وهم الأعضاء الجدد فى الجماعة ٠ الآباء والأمهات كانوا يعلمون الأطفال ، والكاهن والشيوخ يعلمون الشباب ٠ هذه الأدوار الاعلامية الثلاثة اذن كانت ترى بوضوح فى المجتمع الباكر : دور الديدبان (ليراقب الأفق ويبلغ) ودور السياسى (لتقرير السياسة والقيادة والتشريع) ودر المعلم (ليبصر الأعضاء الجدد بشئون المجتمع من مهارات ومعتقدات يقدرها المجتمع)٠ هذه الوظائف الرسمية نسبيا ترتكز فوق طبقة من الاعلام اليومى لا عيش للقبيلة دونه ، وهو تعابير الصداقة والحب والتحديات والمجادلات والمناقشات والمبادلة والمتاجرة والرقص والغناء والحكايات ، وغير ذلك من الاعلام اليومى الذى يكسب المجتمع اللون والتماسك ٠

ويتساءل « شرام » ماذا يحدث لهذه الوظائف الاعلامية عندما يتسع نطاق المجتمع ويتعقد ويحقق الشىء الذى نسميه حضارة ؟ ٠

ان الوظائف الجوهرية ذاتها تظل باقية ٠ وتبادل الاعلام يصبح أيسر من ذى قبل ٠ وبعض وجوه النشاط التى كانت ودية عابرة تصبح رسمية ٠ بعض ما كان يقوم به الأفراد يتطلب الآن مؤسسات اجتماعية ، أدخلت الآلة فى عملية الاعلام لترى وتصغى وتتكلم وتكتب للانسان ، وحول هذه الآلات نهض عدد من أكبر المؤسسات الاعلامية وهى أجهزة الاتصال الجماهيرية ٠

الا أن الوظائف الاعلامية ذاتها ما تزال هى الاساسية ۰ فوظيفة مراقبة الأفق يعهد بها الآن الى وسائل الاخبار الجماهيرية بكل ما لها من مخبرين ووكالات أنباء ومواصلات سلكية ولاسلكية وطباعة وتسهيلات اذاعية ۰ ووظيفة الوصول الى التراضى الاجتماعى واقامة السياسة وادارة التنفيذ عهد بها بصفة رئيسية الى الحكومة ، ولكن منظمات كالأحزاب السياسية والأجهزة الجماهيرية تحتل مكانا ضخما ضمن عملية تشكيل الرأى العام ودفعه للعمل ۰ ما كان يقوم به نفر قليل من محادثة قصيرة قد يستغرق الآن شهورا من المناقشة ويشمل ملايين الناس وربما يتطلب حملات على نطاق الأمة ۰ ولكن المهمة ما تزال كما كانت أيام القبيلة ـ وهى تقرير السياسة والقيادة ۰ أما مهمة تبصير الأعضاء الجدد بالمجتمع فتتولى المدارس أمرها الآن الى درجة كبيرة ، وكذلك الوسائل التعليمية : الكتب والاذاعة التعليمية والتليفزيون التعليمى والأفلام التعليمية ودوائر المعارف ۰ واتسع نطاق التعليم وتخصص ، وبرغم ذلك لا يستطيع المجتمع الاستغناء عن الخدمات الاعلامية فما تزال مطلوبة وقد زادت تعقيدات ومهارة ۰

أما الاتصال الاجتماعى فما يزال كما كان فى العهد القبلى يكون الطبقة التى ترتكز فوقها الخدمات المذكورة ، ولو أن بعض أجزاء الاعلام هنا أيضا قد نمت وتعقدت واتخذت طابعا رسميا ۰ ما يزال الرجال والنساء يحبون أصدقاءهم فى الشارع ولكن أصبح من المألوف أيضا أن يحيى المرء صديقا بعيدا له بالبريد أو التلغراف أو التليفون ۰ وأن يوجه زعيم وطنى تحيات للسكان جميعها عن طريق الاذاعة ، مايزال الناس يعقدون الصفقات ويبيعون ويشترون ولكن نشأ محل نظام المقايضة القديم اعلام ضخم معقد للشراء والبيع والاقتراض وللاعلان ولنقل تقارير الأسعار ۰ كذلك تحول الكثير من مسئولية الترفيه العام الذى كان مجاله الغناء الشعبى والتقليدى والأسطورة ورقص القبيلة الى الأجهزة الجماهيرية وغيرها من المستحدثات المظهرية كالمسرح والسيرك والملعب الرياضى ۰ فالوظائف الاعلامية بذلك لم تتغير على مدى القرون فيما بين الثقافة القبلية والحضارة العصرية ، وانما برزت مستحدثات وهياكل لتكبير هذه الوظائف ومد نطاقها ۰ نمت الكتابة حتى يحتفظ المجتمع برصيده من المعرفة فلا يضيع فى اعتماده على الاتصالات الشخصية أو على ذاكرة الشيوخ ونما فن الطباعة حتى تضاعف الآلة

ما يكتب الانسان بطريقة أرخص وأسرع • حول هذه الآلة نهضت كل مؤسسات الطباعة والنشر والمدارس العامة • وظهرت الآلات فيما بعد حتى لا يتقيد ما يمكن أن يراه الانسان بالمكان أو الزمان ففى أول الأمر جاءت آلة التصوير (الكاميرا) وأجهزة العرض ، ثم جاء طبع الصور ، ثم استوديوهات السينما والتوزيع ودور العرض • كذلك اخترعت الآلات التى تجعل الانسان يسمع ويرى على بعد مسافات هائلة ، وحول ذلك قامت شبكات التليفون الكبرى والتسجيل الصوتى والراديو • ولما انضمت آلات الاستماع الى آلات المشاهدة وجد الأساس للافلام الصوتية والتليفزيون ، وبعبارة أخرى اكتشف المجتمع فيما بين أيام القبيلة وعهد الحضارة العصرية كيف يشارك فى الاعلام وكيف يخزنه متخطيا بذلك المكان والزمان ليصون التاريخ من الضياع وليزيد كم المجتمع الفعال من العشرات الى الملايين •

ليس فى الامكان أن نتخيل مجتمعا متحضرا عصريا يستخدم نمط التبادل الاعلامى الذى كان يستخدمه المجتمع القبلى ، كما أنه ليس فى الامكان أن نتخيل قبيلة بدائية تستخدم النوع الذى يستخدمه مجتمع عصرى •

ويمكن القول بأن التطور الاقتصادى كان سببا رئيسيا فى تطور الاعلام • كان الاقتصاد البدائى يقوم على أساس الانتاج لاشباع الحاجات المباشرة للفرد ، ولذلك كان التبادل محدودا للغاية ، ففى البيئة الاقتصادية البدائية كان الفرد يستطيع بسهولة أن يشبع معظم حاجاته ، وتفى المقايضة بالقليل من الحاجات التى لم تشبع • فى ذلك العصر وبسبب تلك الظروف كان الاعلام متوازنا فى كمه وكيفه مع شكل التبادل القليل فى صورة القليل من المقايضة • فلما تطور الاقتصاد العالمى وأصبح أساس الانتاج تقسيم العمل ، وأصبح على الفرد أن يسهم فى الانتاج بجزء ضئيل جدا بالنسبة للعملية الانتاجية كلها • من ذلك التطور الاقتصادى ، وما صحبه من أفكار ومبادىء وصراع ، أصبح الاتصال متناسبا فى كمه وكيفه مع الشكل الجديد من أشكال التبادل ، الشكل الذى يتسم بالتعقيد والتركيب والتناقض والتشابك •

واذا نظرنا الى واقع الاعلام فى المجتمعات النامية فاننا نجد أن الدول

المتخلفة ذات نظم اعلامية متخلفة أيضا ، وعندما يأخذ أى مجتمع جـــديد بوسائل التنمية فانه يبدأ ـ فى الاتصال ـ بنظـام وسط بين النظام القبلى والنظام العصرى ، فالقرى تغفو فى أوضاع حياتها التقليدية ، أما فى المـــدن فنجد وسائل الاتصال الجماهيرية والعصرية ٠

ان استعراضنا لأهمية الاعلام فى تطوره التاريخى يبين لنا الترابط بين خطة التنمية وخطة الاعلام ، وخطة التنمية تضع فى حسابها تدعيم أجهـــزة الاعلام وتطويرها ومدها بالمعدات الحديثة وبالخبرات الفنية والمهنيةاللازمة٠ كما تدرج فى الميزانية الأموال اللازمة لانشاء أجهزة اعلام جديدة أكثر فاعلية وأكثر تغطية لقطاعات بشرية ومساحات جغرافية فى الوطن٠وتركز الحكومات فى المجتمعات النامية على أهمية الاعلام فى دفع التنمية لأن وسائل الاتصـــال ووسائل التعبير التقليدية فى تلك البلدان قاصرة ومتخلفة ٠ وبرغم القصور النسبى فى وسائل الاعلام الا أن معالجته ممكنة فى فترة زمنية أقل نسبيا ٠

ويصف أحد الخبراء(١١) حدود وامكانيات وسائل الاعلام فى تغيـــير البشر قائلا :

« لقد بدىء بتنفيذ برامج اعلام فى بعض بلداننا ، بهدف تغيير بعض سمات أسلوبنا فى الحياة ٠ ولقد انصبت هذه البرامج على عادات الغذاء وعلى تصرفات المرء فى مسائل النسل ، ويمكن أن تنفع هـــذه البرامج أو بالأحرى هذه التجارب كأمثلة لاستخلاص النتائج ، سواء فيمـــا يتعلق بقدراتها أو بحدود العمـــل الاعلامى فى مسئولياته الجـديدة فى تعليم الجماهير الذين يتراوحون بين الفلاح الأمى فى الريف ، وربات المنازل فى الضواحى الصناعية الجديدة ٠ يمكن تفسير الفشل النسبى لبرامج الاعلام ، فى مجال التغـــذية كما فى مجال تنظيم الأسرة ٠٠ يمكن تفسيره فى جزء كبير منه من زاوية أن تغيير مظهر واحد لنمط من أنماط الحياة يقتضى التغيير الكلى لنمط الحياة ، هذا مع كل ما يحتمل ذلك من تغيير فى البناء الاجتماعى والثقافى الذى يحكم نمط الحيـــاة » ٠

---

(١١) محمـد رضـا ـ من محـاضرة فى دورة بغداد الاعلامية ـ ١٩٧٤ المركز العربى للدراسات الاعلامية للتنمية والتعمـــير ٠

والواقع أن الدراسات التى أجريت على تغيير سلوك البشر تؤكد ذلك ان غذاء فرد ما ينتمى الى مجتمع معين هو جزء من الواقع الاجتماعى والنفسى لهذا المجتمع ويعكس قيما ومعتقدات ومواقف وتصرفات منغرسة فيه تماما ، وهى ـ غالبا ـ لا تتأثر بضرورة المعرفة العامة لهذا الغذاء ، ومن هذا الواقع فان ما يأكله فرد ما يمكن أن ينم ويكشف عن ثقافته ، وبيئته الاجتماعية وعن وضعه الاقتصادى وعن دينه ، وبالتالى فان تغيير العادات الغذائية يحتمل تغييرات أكثر عمقا بكثير لها صلة بالشخصية الاساسية لهذا الفرد ، وكذلك بكل أسلوب حياته الذى تعبر شخصيته عن نفسها من خلاله ٠

كما أننا فى حقل السكان وتنظيم الأسرة نجد أنفسنا فى وضع مشابه ، فقد وجد مسئولو برامج الاعلام أنفسهم فى مواجهة مواقف تناصر التكاثر دون تحديد للنسل منغرسة منذ آلاف السنين فى البنية الاجتماعية ، وفى الثقافة والدين والواقع الاقتصادى ، وأحيانا فى الواقع المكانى للمجتمعات التى وجهت اليها هذه البرامج ٠ وقد كان مسئولو هذه البرامج فى حقل تنظيم الأسرة يتوقعون أن يحدثوا تغييرات فى (مواقف) وتصرفات ثابتة لها علاقة بالجانب الأكثر حساسية من الحياة البشرية (أى الجانب الجنسى من الحياة) والمحروسة بقلعة شبه مستعصية من المحرمات ومن المخاوف الكامنة تحت الوعى ، الا أن التغيير فى المواقف بازاء التناسل تماما كالتغيير فى مجال التغذية يقتضى تغييرات فى نمط الحياة بكل جوانبه ٠٠ والواقع أنه لابد من سبق النظر ومن المعرفة المسبقة بأن تغيير سمة واحدة من نمط حياة فرد واحد يقتضى تغييرات على مستوى جميع المظاهر والسمات الأخرى ٠

لقد نجح أحد خبراء الزراعة فى استنباط نوع جديد من الذرة طبق زراعته فى احدى قرى المكسيك وجاء بغلة للفدان توازى ثلاثة أمثال النوع المزروع من قبل ، وعلى أثر ذلك أقبل نصف المزارعين فى القرية تقريبا على زراعة التقاوى الجديدة المستنبطة ولكن بعد مرور عامين عاد الجميع الى زراعة النوع القديم برغم قصور محصوله لماذا ؟ لأن العادات الغذائية المتوارثة والمتأصلة فى هذا المجتمع أجبرت الفلاحين على ذلك ٠ فقد تعودت المرأة الريفية المكسيكية أن تصنع خبزها على شكل أرغفة مستوية السطح من الذرة القديمة ، وبمحاولتها صنع نفس الأرغفة من الذرة الجديدة لم تنجح التجربة لأن عجينة الذرة الجديدة لا تصلح لهذا النوع من الخبز ٠

من ذلك نرى أن الفرد فى حد ذاته هدف من أهداف الاعلام لأنه باقناع أكبر عدد من الأفراد يمكن أن ينجح التغيير ٠

وتفسر الدكتورة جيهان رشتى(١٢) وظائف الاتصال الأساسية من وجهة نظر الفرد القائم بالاتصال ، أى المرسل ، بأنها فى أغلب الأحوال هى :

١ ـ الاعلام ٠
٢ ـ أو التعليم ٠
٣ ـ أو الترفيه ٠
٤ ـ أو الاقناع ٠

أما المتلقى أى الطرف الآخر فى عملية الاتصال ، فأهدافه من المشاركة فى عملية الاتصال هى :

١ ـ فهم ما يحيط به من ظواهر وأحداث ٠
٢ ـ تعلم مهارات جديدة ٠
٣ ـ الاستمتاع والاسترخاء والهرب من مشاكل الحياة ٠
٤ ـ وأخيرا الحصول على معلومات جديدة تساعده على اتخاذ القرارات والتصرف بشكل مقبول اجتماعيا ٠

وتقول أنه بينما كانت هذه الأهداف تتحقق فى الماضى قبل اختراع الطباعة بشكل محدود ، عندما كان يقوم بها أفراد ، أصبحت وسائل الاعلام الجماهيرية مسئولة عن القيام بغالبية هذه المهام الى جانب مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى ٠

ـ ماهى المهام التى يؤديها الاتصال للمجتمع ؟

ـ يمكن حصرها فيما يلى :

١ ـ توفير معلومات عن الظروف المحيطة بنا (أخبار) ٠

---

(١٢)د٠ جيهان احمد رشتى ـ الأسس العلمية لنظريات الاعلام ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٥ ـ ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ٠

٢ ـ نقـــل التراث الثقافى من جيل الى جيـل والمساعدة على تنشئة الجيل الجديد من الأطفال أو الوافدين الجدد على المجتمع ٠

٣ ـ الترفيه عن الجماهير وتخفيف أعباء الحياة عنهم ٠

٤ ـ مساعدة النظام الاجتماعى ، وذلك بتحقيق الاجماع أو الاتفـاق بين أفراد الشعب الواحد ، عن طريق الاقناع وليس العنف ، بمعنى الاعتماد أسـاسـا على الاقنـاع فى السيطرة على الجمـاهير وضمان قيامهم بالأدوار المطـلوبة ٠

تلك هى الأهداف الأساسية للاتصال سواء بالنسبة للفرد كمرســل أو كمتلقى أو للمجتمع أو الجماعات المختلفة داخل ذلك المجتمع ٠

ولكن لماذا يساهم الفرد فى عملية الاتصال وما هى أهدافه بشكل عام ؟ بمعنى آخر ، ما الذى يسعى الفرد لتحقيقه من اعلام وتعليم واقناع وترفيه ؟ يساهم الفــرد فى عملية الاتصال لكى يؤثر على الآخرين من حوله ، ولـكى لا يصبح محورا لتأثيرهم فقط ٠ أى أنه يتصل ليؤثر ، يتصل لكى يحس أن له دورا وكيانا وأنه قادر على ممارسة ارادته والتأثير فى الظروف المحيطـة به ٠ ولكى نفهم ذلك المعنى أكثر ، علينا أن نتتبع تطور الانسان ككائن حى منذ طفولته حتى يشب ويصبح له دور اجتماعى ٠

اعـلام الاستعمار والمجتمع الجـديد :

ان البعـد التاريخى للتنمية يقف بنا أمام حقيقة واضحة ، وهى أن التنمية فى العالم الثالث صراع بين الاستعمار الجديد وبين الدول الحـديثة الاستقلال ٠ ماالذى يعمله اعلام الاستعمار الجديد فى مجتمع حديث الاستقلال يتطلع الى التنمية ؟ وما الذى يجب أن تنحو اليه خطة الاعلام الوطنى لتسهم فى عملية التنمية الوطنية ؟ ٠

أولا ـ ماذا يعمل اعلام الاستعمار الجديد فى مجتمع حديث الاستقلال يتطلع الى التنميـة ؟ :

ان الاعلام الاستعمارى يسعى الى صياغة عقول فى البلدان النامية توافق مصالحه من جانب ، ويسعى الى تثبيت قيم ومفاهيم تؤكد استمرار مصالحه أيضا من جانب آخر ٠ ويرتبط الهدفان بعضهما ببعض ارتباطا وثيقا لأنهما

يمثلان هدفا استراتيجيا واحدا ، والاستعمار يغير خططه التكتيكية وينقل من موقف الى نقيضه ما دام ذلك فى خدمة هدفه الاستراتيجى المحدد ٠

ان صياغة العقول صناعة اعلامية قديمة عند الاستعمار ولعل ما قاله الامام محمد عبده بأننا لا نريد خونة وجوههم مصرية وقلوبهم انجليزية يكشف لنا هذه المسألة ٠ ولعل تعبير القلوب الاستعمارية يشمل العقل والعاطفة معا ويجد رجل الاعلام المؤمن بقيم المجتمع الجديد فى وطنه النامى صعوبات كثيرة ترجع الى التركة المثقلة التى خلفها اعلام الاستعمار ٠ ولا شك أن الأمثلة أكثر من الحصر ولكننى سأضرب مثلا من الصحافة المصرية ٠

ان من يتصفح الصحف المصرية منذ ثورة ١٩١٩ الى ثورة ١٩٥٢ يجدها بصفة عامة حافلة بالهجوم على البلشفية والنظام الشيوعى ٠ ويجد أن المادة الصحفية المنشورة فى هذه الصحف على كثرتها محشوة بالطعن والتشويه للتجربة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ٠ ويرجع ذلك الى سببين : أولهما وأهمهما فى مقام الحديث عن صياغة العقول ـ أنه منقول فى معظمه عن الصحف الأوربية الغربية ، وكانت هذه الصحف سياطا دائمة الضرب فى ظهر التجربة السوفيتية ٠ والسبب الثانى هو الموقف الطبقى لأصحاب الصحف المصرية التى نقلت المادة التحريرية ، وغلبة الفكر الليبرالى فى مصر آنذاك ٠ ولكن يهمنا أن نؤكد أن نشر هذه المادة الصحفية كان يتم بوعى وعن قصد لاثارة الكراهية ضد الفكر الاشتراكى ، وما يهمنا أكثر وأكثر هو الأثر الذى أحدثه ذلك ٠ لقد كان لهذه البذور التى بذرتها الصحافة المصرية فى تشويه التجربة الاشتراكية الأثر الواضح عندما حدث التغيير فى مصر وبدأت مسيرتها الاشتراكية عام ١٩٦١ ٠٠ كانت البذور القديمة قد خلفت تصورا كئيبا عشعش فى أذهان قطاعات عريضة من المصريين عن الاشتراكية ومبادىء البلشفيك وتجربتهم ٠

أصبح عناء رجل الاعلام المصرى فى أنه يلاقى الرفض من كثير من أصحاب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ، لأن ما توارثوه من صياغة العقول أنها تعنى الكفر والالحاد ، برغم أن طريق التنمية الاشتراكى المصرى بعيد عن ذلك تماما ٠

وهناك مثل آخر حدث بعد حركة التصحيح (١٩٧١) لقد انتهزت

بعض العناصر الرجعية فى الاعلام فرصة اعادة تقييم التجربة الاشتراكيــة المصرية وتصحيح مسارها بأن تطاولت على الاشتراكية كلها ، بل وطالبت بالغاء الثورة من جذورها ، والعودة بعقارب الساعة الى الوراء • مما حــدا بصاحب حركة التصحيح أن يدفع فى أكثر من مناسبة هذه الردة ، وأن يؤكد بقاء الثورة وبقاء الاشتراكية ، بل وتصحيح مسار الثورة وتصحيح مســار التطبيق الاشتراكى ، بالحرص على الجانب الديمقراطى وسيادة القانون •

ومن الأمثلة الشــائعة فى البلدان النامية لتفــوق المستعمر وعبقريته ونسبة كل حسن اليه ونسبة كل سىء الى ابن البلد هذه الأمثلة التى تلقاها فى البلدان العربية لتسمية الخضروات والفواكه • فالجزر الافرنجى يطــلق على الصنف الأصفر الممتاز فى مصر والجزر البلدى يطلق على الصنف الردىء• وكذلك « الخص » وفى الجزائر تسمى الفاكهة أو الخضر الممتازة باسم «رومى» وتطلق تسمية « بلدى » أو ماشابه ذلك على الأصناف السيئة • والمضحك أن الأفرنجى الرومى والبلدى كلهــا انتاج زراعى عربى فى تربة عربية وبيــد عربية وليس للاجنبى فيها من علاقة غير أنه يأكلها ويستغلها •

ولعلنا نلحظ ما خلفه تثبيت هذه القيم فى بعض البلدان العربية ومنهــا مصر من التهافت على المستورد وتفضيل « بتاع برة » فى كثير من الأمور •

ولكن الأخطر والأقسى وطأة فى العمل الاعلامى الاستعمارى هو الوصول بأبنــاء البلدان النامية الى كراهيــة بلدانهم • ومن ثم يمكن ايجاد المنــاخ المــلائم للاستغلال أمام الاحتكارات العالميــة ان الصعوبات والأخطاء التى تقابل عملية التنمية تفرض مضايقات شتى لشباب هذه البلدان الذى يصاب بخيبة أمل كبـــيرة فى قياداته السياسية ويصاب بارهاق نفسى ومادى من سوء الادارة يوميا • ومن هذا الوضع يستغل الاعلام الاستعمارى فرصــة نادرة لتضخيم النقد والبعد تماما عن ذكر الايجابيات حتى يصــل المواطن النامى بنفسه الى كراهية وطنــه •

ان الأمثلة فى سعى الاعــلام الاستعمارى الى صياغة العقول فى الدول النامية وسعيه فى تثبيت قيم تؤكد استمرار مصالحه فى هذه البلدان أكثر من أن تحصى • وهو يستخدم لهــا كافة وسائل الاعلام ، بــل انه يلجأ الى الشائعات وأساليب الحرب النفسية الى جانب محطات الاذاعات السريــة

والعلنية والكتب التى تتحدث عن قوة دول الاستعمار وتفوقها الذى لا قهر ٠ هذا بطبيعة الحال الى جانب وسائل الاعلام الاخرى التى تبدو فيها هذه الأهداف سافرة معلنة حينا وتختفى بين سطورها كما يختفى السم فى أطباق حلوى حينا آخر ٠

وتبرز لنا أهداف الاعلام الاستعمارى ذلك الدوى المستمر بين أجهزته الاعلامية القوية والغنية وبين وسائل اعلام البلدان النامية التى تدافع عن حقها فى حياة ٠ ولعل أصوات الحرب الاعلامية بين الاستعمار الجديد والعالم النامى هى أصداء مشكلات التنمية المعاصرة فى الاعلام ٠ أو بمعنى أصح هى أصداء الحوادث الناجمة عن كسر الدول النامية للحواجز التى تعوق التقدم ٠ ولعل هذا الصوت هو صوت التاريخ ذاته وهو يباشر حركته الحتمية ويصحح الأخطاء التى وقعت ضد حقوق الانسان ٠ ولقد نسمع أصوات الذين يقاومون هذا التيار أو يحاولون تغيير مجراه أكثر وأجهر وأعلى لأنهم يملكون من وسائل الاعلام الأعلى صوتا والأجهزة نبرة والأقوى تأثيرا ٠ وأصدق مثل على ذلك ٠٠ زيادة أسعار البترول الخام ان الاستعمار الجديد يسعى الى السيطرة على خامات الدول النامية والتحكم فى أسعار المواد الخام ، فما أن رفعت دول البترول أسعاره كاجراء عادل فى مواجهة الزيادة المستمرة فى أسعار منتجات الدول الغنية حتى هبت وسائل اعلام الاستعمار الجديد تصرخ فى وجه دول البترول ، والعربية بصفة خاصة ، وتصورها بصورة المعتدى على الحضارة ، أو بصورة من يقود العالم الى الدمار ، وتلصق بها من بعيد ومن قريب كل أسباب المشكلات المعاصرة ٠ ويبدو الأمر فى بعض الأحيان وكأنه حمى أصابت الاستعمار الجديد ، والا كيف نفسر مثلا أن وزير الزراعة الانجليزى يتحدث فى تليفزيون بلده عام ١٩٧٤ ويعتذر لمواطنيه عن نقص بعض المواد الزراعية بحجة أنه كان هناك اتفاق بين بلده وجاميكا على تصدير هذه المواد ولكن جاميكا لم تف باتفاقها والسبب هو العرب الذين رفعوا أسعار بترولهم فاضطرت جاميكا الى الغاء الاتفاق وبيع حاصلاتها الزراعية لغير بريطانيا بسعر أعلى مما كان فى الاتفاق مع بريطانيا ٠

وتلجأ وسائل اعلام الاستعمار الجديد الى التهديد باحتلال مواقع البترول العربية وغير ذلك مما نطالعه ونسمعه كثيرا فى الصحافة المكتوبة والمسموعة ٠ كما تصور الانسان العربى فى صورة تدعو للسخرية أو الكراهية ٠

خطـة الاعـلام فى التنميــة الوطنيــة :

ثانيا ـ ما الذى يجب أن تنحو اليه خطة الاعلام الوطنى لتسهم فى عمليــة التنميـة الوطنيــة ؟ :

قلنا ان الظروف الموضوعية لكل شعب لابد وأن تؤدى الى نمط محــدد من أشكال التنمية ٠ وأن هذا النمط أو الشكل المحــدد لم يتكون من فراغ ، وانما فرضه الواقع وفرضته الظروف ٠

ان شكل خطــة التنمية لابد وأن يستتبعه شكل الخطـة الاعلامية ، بمعنى ارتباط خطة الاعلام بخطة التنمية ارتباطا عضويا ٠ لأن مقومات خطة التنمية نفسها هى مقومات خطة الاعلام ، أى أن الخط الذى أوصلنا الى شكل معين من أشكال التنمية هو نفس الخط الذى يقودنا الى الخطة الاعلامية ٠

وينبغى أن نتذكر هنا نظريات الاعلام واختلاف الاعلام من مجتمــع الى آخر ، فلا نتوقع فى الولايات المتحــدة الأمريكية خطة اعلامية تحبـذ أو تنادى بخطــة تنمية على النمط الاشتراكى ، وكذلك لا نتوقــع فى الاتحاد السوفيتى خطة اعلامية تحبذ أو تنادى بخطة تنمية رأسمالية وهكذا ٠

وبغير أن ندخل فى تفاصيل نستطيع أن نقسم ـ فيما أرى ـ خطــة الاعلام فى مجال التنمية الوطنية الى قسمين رئيسيين :

أولهما : بنائى ، وثانيهما : دفاعى ٠

والتسميتان مجازيتان ، فالأول يتلخص فى البنــاء المعنوى للانسان وفى المناداة بقيم المجتمع الجديد والتبشير بها ، ودعم خطط التنمية وشرحهــا وتبسيطها ٠ والثانى يتلخص فى الدفاع ضد هجمات اعلام الاستعمار الجديد، ومحاولة ابطال مفعوله وكشفه وفضح أساليبه أمام الجماهير ٠

القسم البنــائى :

قبل أن نضع خطة للاعلام أو نباشر العمل الاعلامى فى خـدمة التنميــة لابد أن نفهم الواقع فهما موضوعيا وأن نعرف الساحة التى سنعمل فيها حتى لا نكون غرباء عن الواقع الذى نريد العمل فيه أو نريد تغييره ٠

ان أول سؤال يواجه رجل الاعلام وهو يعد خطته الاعلامية فى خـــدمة التنمية هو : هل البيئة محركة لواقعها المتخلف ؟ لأن ادراك الوضع المتخلف هو أول الخطوات نحو تغيير هـــذا الوضع • ثم لكى نفهم الواقع لابـد أن نحصل على حقائق موقف التخلف، وأن نحصل على الاحصائيات والميزانيات وكافة ما يتعلق بالتنمية • وليس لرجل الاعلام أى عذر فى عدم حصوله على حقـــائق الموقف المتخلف • ربمـــا يكون من الصعب الحصول على كافــة الاحصائيات والأرقام نظـــرا لموقف السلطة فى بعض الأحيان من حـــرمان الاعلام خوفا من كشف تقصيرها وانحرافاتها ، وربما يرجع عـدم الحصول على حقائق الموقف الى تقصير الاعلاميين فى معايشة الناس ومشاكلهم • فى كل الأحوال ليس هناك من عذر يمكن قبوله من رجل الاعلام فى تبرير عـــدم معرفته للواقع • وعليـــه أن يجتهد للحصول على أكبر قـــدر من المعلومات والاحصائيات ، وأن يعايش النـــاس ويتحسس المشاكل • وهـــذه مهنته ومهمتـــــه(١٣) •

وقد لا يعبر ما على السطح عن حقيقـــة وجوهر النفوس ، ولكن ادراك ذلك لا يتم اعتباطا وانما يتم بخبرة رجل الاعلام المستمرة ، وتقدمه فى عمله الاعلامى وبالممارسة والتجربة •

بعد أن نفهم لواقع فهما جيدا تبرز أمامنا تحديد الأهداف التى تسعى

---

(١٣) والرأى المصرى ، والمزاج المصرى ليس هو ما تسمعه من النـــاس فى العلن مثلا أو فى جلسات المقاهى أو حتى فى القعدات الخاصة ، الرأى المصرى الحقيقى شىء غويط جدا ، من الصعب تماما الوصول اليه ومن المستحيل تقريبا الأمساك به ، شىء دفين ، دفين،وكأنه من أسرار الحياة أو الخلود ، بل لعله فعلا كذلك وربما هو الذى ابقى شعبنا حيا ، متماسكا لسبعة آلاف عام أو تزيد ، قدرته الخارقة على اخفاء ما يريد ، حتى يحقق ما يزيد فأحيانا يقتل التحقيق أو يضيعه مجرد اعلان النيه أو امكان الوصول اليها • نجدهم يصفقون تصفيقا را عدا للمطربة أو الراقصة أو اللاعب أو الكاتب ، فاذا انتحيت بأيهم جانبـا وسألته عن رأيه الحقيقى لأبدى وفى الحـال رأيا مخالفـا تمامـا • شىء غريب ، نحن نستطيع أن نفهم ان ينافق البعض شخصا أو يتحمسون له مجاملة ، أما هذا ، فماذا أسميه ؟ نفاق للنفس مثلا أو الوصول بالموقف الساخر من الحياة الى الحد الذى يجعل لك تجاه الشىء الواحد ، موقفين ، احدهما هو الحقيقى الدفين والآخر هو المزور الذى تبديه أمام الناس ولكن المضحك ــ انك تبديه أمام نفسك ايضا •

(انظر يوسف ادريس ــ تعالوا الى كلمة سواء ــ جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٧/٦/٢٤)

خطة الاعلام لتحقيقها(١٤) ، وهى بالضرورة مرتبطة بخطة التنمية وينبغى لرجل الاعلام أن يتسلح فى رؤيته للأهداف بالنظرة العلمية فيرى الجزء دائما فى اطار الكل ، ويستوعب قوانين الترابط ·

---

(١٤) واذا أردنا أن نتعرض لشىء من تفاصيل دور الاعلام فى التنمية فى الواقع المصرى المعاصر ·· فلنستمع الى وجهة نظر الوزير المصرى ممدوح سالم (١٩٧٤) عن التنمية ·

(أ) فى مجال التنمية الاقتصادية :

ـ التركيز على أن زيادة انتاجنا الذاتى ـ وهو حجر الأساس بالرغم من الاستثمارات العربية والأجنبية ـ وقيادة حملات زيادة الانتاج ·

ـ ايضاح صعوبات مرحلة أعقاب الحرب ـ وأن الرخاء يحتاج الى عمل كبير وطويل وشاق وعدم ايجاد أمال بسرعة تعطى ردود فعل غير مواتية ·

ـ نقد القطاع العام ـ نقدا بناء ـ واظهار ايجابياته كلما برزت وتدعيمه بالآراء لانجاحه باعتباره حجر الأساس ·

ـ تدعيم المناخ المناسب للاستثمار العربى والأجنبى وتنميه الوعى السياحى كمصدر دخل كبير ·

ـ ترشيد الاستهلاك وتشجيع التصدير ·

(ب) فى مجال التنمية الاجتماعية :

ـ قيادة الحملات الشعبية ـ بالاشتراك مع الاتحاد الاشتراكى بالنسبة للقضايا القومية فى التنمية وبالجهود الذاتية ـ وبمجهود شعبى (فى التعمير واعادة بناء الريف ومحو الأمية) ·

ـ فتح الباب لجميع الآراء الخاصة بسياسات التعليم وكيفية تطويرها واستطلاع الحلول فى أعلى وأدنى السلم الوظيفى ·

ـ قيادة حملات اعلامية لتعاون شعبى بالنسبة للنظافة والرعاية الصحية ·

ـ استثمار الجهود النسائية ـ وعرضها وتشجيعها ·

(جـ) فى مجال بناء الانسان المصرى :

ـ التعرض لقضية الايمان وشرحها شرحا عصريا من كتاب عصريين ومن قادة الدين لتثبيت مفاهيمها بالأسلوب السليم الذى يقطع على المتاجرين بالدين استغلال الميل الدينى للشعب والانحراف ببعض الشباب ·

ـ التعرض لرواسب الفكر الاقطاعى المتخلف والذى تظهر صوره فى كثير من أشكال الحياة المصرية ومفاهيمها والاستجابة لرياح التغير لثورة الحل الاجتماعى والتحول من المجتمع الزراعى الى المجتمع الصناعى والآثار الحضارية لتطبيق العلم والتكنولوجيا واستخدام وسائل الاتصال والمعرفة الحديثة ·

ـ اعطاء اهمية خاصة لنشاطات الشباب واتجاهاتهم وأفكارهم كمتنفس فكرى للأجيال الصاعدة ·

الخطوة الثالثة بعـد فهم لواقع وتحديد الأهــداف هى اختيار أنسب الوسائل المهنية(١٥) لتعبئة الجماهير وحشدها وراء التنمية · ولابدأن نتأكد فى هذه الخطوة من معرفة اطار الدلالة للمتلقين معرفة يقينية محـــددة · لأن الرسالة لاعلامية لا يمكن تبادلها الا فى المســاحة المشتركة بـــين اطار دلالة المرسل وهو رجـــل الاعلام وبين اطـــار دلالة(١٦) المستقبل وهو القارىء أو الشاهد أو المستمع ، والقدرة المهنية لرجل الاعلام تتركز فى قدرته علىتوصيل رسالته الاعلامية الى المتلقى بسهولة ويسر ، فكثير من الناس لديهم الادراك التام لـما يريدون قوله ولكن عندما يحاولون وضع ذلك فى تعبير سليم مبسط

التركيز على أبواب تؤكد القيم الروحية والأخلاقية فى مواجهة موجة الاستمتاع المـادى التى تسود المجتمعات الأخـرى ·

- التركيز على الاحساس بالمـال العام وتقديره والحفاظ عليه كقيمة لا بد من ترسيخها فى نفوس الجمـــاهير ·

التركيز على الأسلوب التعاونى - كقيمة تراثية يمكن تطويرها حضاريا واقتصاديا والذى يبعث من التكامل الاجتماعى وتماسك الأسرة وسيادة مشاعر المحبة ونبذ الاحتقاد · (هـذا التفصيل المركز الذى اورده الوزير المصرى عـام ١٩٧٤ يعبر عن رؤية من موقـع المسئولية فى قمة هرم الحكم وقـد نشر بمجلة الطليعة عدد أغسطس ١٩٧٤) ·

(١٥) لقـد أظهرت دراسات ميدانية اعلامية ، عديدة أن لكل وسيلة من وسائل الاعلام قـدرة على الاقناع تقل عن غيرها أو تزيد ، وأن الامكانيات الخاصة لكل وسيلة تختلف من مهمة اقناعية الى أخرى وفقا للموضوع وبسبب اختلاف التلقين من جمهور الى جمهور · كمـا تبين أيضا أن وسائل الاتصال الجماهيرى عندما تعمل مع الاتصال المباشر الشخصى تؤكد نوعا من الترابط بين الاثنين · ويمكن لرجل الاعلام أن يستفيد من اشكال الفن الشعبى والثقافة الجماهيرية لخدمة اهدافه فالأمثال مثلا جزء من التراث الثقافى للأمم ، ومهمـا تقدمت الأمة فان الأمثال تظل لها فاعليتها فى حماية تراث الامة الخلقى والسلوكى · وهناك قول شائع فى معظم البلدان بأن المثل لم يترك شيئا من القول · وهو تعبير عن اتســاع معانى الأمثلة وشمولها لمختلف جوانب الحياة ·

(١٦) معنى اطار الدلالة أن تكون اللغة والخبرات مشتركة بين المرسل والمستقبل فلكى يفهم المستقبل مضمون الرسالة لا بد أن تكون له دراية باساسيات الموضوع الذى تدور حوله · فعند الحديث عن تنظيم الأسرة مثلا يعرف المستقبل مسبقا الحمل والطفل والأسرة والعلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته وما شابه ذلك ولكن عند الحديث عن ميكانيكا السيارة فلن يستفيد من الرسالة الفلاح الذى لم يعرف عن السيارة غير أنه واحد من ركابها عند سفره من القرية الى المدينة ، وليكون هناك اطار دلالة فى هذه الحالة لا بد للمستقبل من الالـمام بقيادة السيارة ومعرفة ولو بسيطة بالأجزاء الرئيسية فيها حتى يمكن تبادل الرسالة فى داخل الاطار الدلالى للمرسل ·· لا شك أن اطار الدلالة يتسع ويضيق ، وكلما امكن تبادل الرسالة فيه كلما نجحت الرسالة ·

فانهم يجدون صعوبة بالغة · وهذه العملية الفنية قد يؤدى عدم اتقانها الى سقوط الرسالة الاعلامية وفشلها · وما يتميز به رجل الاعلام الناجح هو قدرته على توصيل أكبر قدر ممكن من الحقائق التى تحويها رسالته الاعلامية وكلما كان رجل الاعلام منتميا الى الجماهير التى يخاطبها ومعايشا لها كلما نجح فى هذا السبيل ، ولعل أصدق تأكيد على ذلك أن كل رسول كان يخاطب قومه بلسانهم وأن قوله تعالى « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم » يبين لنا ضرورة وأهمية علم المرسل باطار دلالة المتلقين ·

كذلك ينبغى أن نعرف أهمية الحملة الاعلامية فى اختيار أنسب الوسائل المهنية لتعبئة الجماهير وحشدها وراء التنمية · ان عنصر التتابع والاصرار فى الحملة الاعلامية يزيح المعوقات أمام أهدافها · ويجند ويوسع دائرة المؤيدين والمتحمسين ، بل ويتغلب على محاولات طمس الحقيقة فى كثير من الأحيان ·

تبقى الخطوة الرابعة وهى المتابعة والتقييم لخطتنا الاعلامية وقياس أثرها حتى يمكننا تعديل المسار أو اقرار الطريق الذى سلكناه ·

وعلينا أن ندرك الفرق بين المتابعة والتقييم فى خطتنا الاعلامية ، وفى كل خطة ، ان المتابعة عملية مستمرة وهى جزء من تنظيم وتقسيم أدوار العمل فى الخطة ، أما التقييم فهو مواجهة بين الأهداف والنتائج وقد تكون الصعوبة فى تقييم خطة الاعلام هى عدم وجود النماذج السابقة التى يمكن القياس عليها أو عدم تطابق التجارب السابقة التى يمكن القياس عليها · وبرغم ذلك فان المتابعة والتقييم لا يقومان من فراغ وانما يقفان على أقدام ثابتة من تاريخ الأجهزة نفسها وتجاربها فى العمل ومن تاريخ الظروف المتشابهة فى بلدان أخرى · وأساسا من التصور السليم للأهداف التى تم الاتفاق عليها ·

وينبغى أن نفرق كاعلاميين بين نقطتين رئيسيتين فى خطتنا الاعلامية المرتبطة بخطة التنمية أو بمعنى أدق فى كافة خططنا الاعلامية · ينبغى أن نفرق بين حشد الجماهير وراء هدف محدد أو موضوع معين أو قضية بذاتها وبين عملية البناء المعنوى للانسان المصرى والعربى بصفة عامة · ان عملية

الحشد مرحلية ومؤقتة وترتبط بظرف معين أو هدف معين أو قضية بذاتها ·
أما عملية البناء المعنوى فهى عملية مستمرة وهى عملية عقائدية الى حد كبير ·

ولا شك أن التربية والتنظيمات السياسية تؤدى دورا أساسيا فى بناء الانسان فى كل مجتمع من المجتمعات ، ولكن ذلك لا يقلل من دور وسائل الاعلام المختلفة وبخاصة فى مصر حيث يبدو القصور الوظيفى للمدرسة والجامعة نظرا لكثافة عدد الطلبة ، وحيث يبدو القصور فى وضوح هذا الهدف أمام التنظيمات السياسية المصرية العلنية وعلى وجه التحديد التى واكبت ثورة يوليو .. فاننا نلحظ أن هذه التنظيمات تقوم بعملية الحشد كثيرا ولكنها قليلا ما تقوم بعملية البناء المعنوى المتكاملة ·

والأمثلة بين عملية الحشد وبين عملية البناء توضح الفروق الجوهرية بينهما ، أننا عندما قمنا بحملة اعلامية لانجاز بناء السد العالى فى موعده · كنا نحشد الجماهير وراء هذا العمل العظيم ، ولكننا عندما نرسخ فى المجتمع قيمة حضارية جديدة فاننا نؤدى عملية البناء المعنوى . وأضرب لكم مثلا بالاهتمام بالوقت أو الاحساس بالزمن · فمن المحزن حقا أن نرى صورة عدم ادراك قيمة الوقت أو أهمية الزمن منتشرة بيننا حتى كبار المثقفين ، ويتوطن الداء حتى أن اجتماعا من مسئول كبير يعقد فى السابعة يعلن عنه مساعدوه أنه فى السادسة ولا يبدأ قبل الثامنة · أو صورة من يقسم النهار الى ثلاثة أقسام فيقول لك فى الصباح أو فى الظهر أو فى آخر النهار وكأنما الساعة الغيبت وكأنما تقسيم الساعة لا يجوز ! يحدث ذلك فى أواخر القرن العشرين ، والتراث العربى القديم يحمل قولا رائعا يكشف أهمية الوقت بقوله : الزمن كالسيف ان لم تقطعه قطعك ·

الوجه المظلم للاعلام :

بعد الحديث عن الدور الايجابى لخطة الاعلام فى التنمية ينبغى أن نتعرض للوجه الآخر وهو **أخطاء الاعلام فى التنمية** ، وأثرها على خطة التنمية ، أو بمعنى أكثر سفورا **هل من الممكن أن يصبح الاعلام فى بعض المواقف معوقا للتنمية ؟**

يجب أن نفرق بين الأخطاء الطفيفة التى تحدث فى مجرى الحياة اليومية للعمل الاعلامى ، وبين الأخطاء القائمة على تناقض أساسى بين بعض رجال

الاعلام وأهداف جماهير المجتمع العريضة · فالأخطاء الطفيفة ينطبق عليها ما قاله نهرو ·· من أنه ليس أمامنا الا أن نجرى وأن نقع · وكما نعلم أن العصمة لله وحده · ولكن الاعلام كمعوق للتنمية وخطر عليها يكمن فى التناقض الأساسى بين بعض رجال الاعلام وبين الأغلبية الساحقة فى المجتمع صاحبة المصلحة الحقيقية فى التغيير الاجتماعى وفى احراز التقدم ·

ونضرب بعض الأمثلة من واقع الاعلام المصرى التى تبرز لنا هذا الجانب السلبى للاعلام · اننا عندما نقرأ العمود اليومى القصير للكاتب المصرى أنيس منصور ·· نرى صورة جديرة بالتأمل :

« لو أمسكت ورقة وقلما وأحصيت عدد آبار البترول وبراميل البترول التى فاضت على أرض مصر فى العشرين عاما الماضية لوجدت أنها تعادل بترول السعودية وأبو ظبى معا · فكل يوم تظهر بئر عميقة ·· لا بد أن تكون عميقة جدا ، لأن هذا يدل على أننا وجدناها بصعوبة · وأننا وجدناها خلافا للقواعد المعروفة فى البحث عن البترول · لأنه لا يستبعد أن يكون الأجانب قد تجاهلوها أو قدموا لنا خرائط كاذبة ·· أو أننا فضحنا طبيعة الأرض التى لا يوجد بها بترول بينما كل البلاد المجاورة غارقة فى البترول ·

« وقد نشرت الصحف المصرية صورا مضحكة لعينات البترول النادرة · فى احدى المرات نشرت صورة لمسئول وهو يحتضن زجاجتين كأنه يرضع توأمين كانت ولادتهما صعبة ·· ولا بد أن تكون هناك أكثر من زجاجة · لأن زجاجة من عينة واحدة معناها أن البترول شىء عادى وأن العثور عليه كالعثور على حجر رشيد صدفة · ولكن اذا ظهرت زجاجتان كان ذلك دليلا على العناء ، وفى نفس الوقت على الثقة بالنفس وعلى الخير المضاعف لمصر كلها ·

« أما بحيرات البترول التى نمشى عليها فلا حدود لها ·· ومن الغريب أن كل هذه الآبار قد تلاشت بقدرة قادر ·· أو أنها ذرفت دموعا من البترول ثم سكتت أو اسكتت ·· وهى أنواع من الهلوسةالقومية فنحن نريد أن يكون عندنا بترول · ولأننا نريد ، فاننا نحاول أن نجعل أحلامنا أقرب الى الواقع · أو هى الواقع نفسه · ولأن هناك اعتقادا عاما بأن أرضنا خضراء تجرى من

تحتها الأنهار ، فاذا ظهر بترول فاننا نجعل ظهوره عسيرا عنيفا ٠٠ تماما كما يقال عن سيدة عاقر لا تلد ، فاذا حملت فهى تشيع عن نفسها أن الجنين كبير أكثر من اللازم ، وأن الولادة يجب أن تكون قيصرية ٠٠ ـ يعنى أنها لا تقتنع بأنها ولدت ككل الناس ٠ وانما ولادتها مختلفة ٠ من نوع خاص ٠٠ وأنها غير خلق الله جميعا » ٠

ان التكبير أو التصغير فى تناول وسائل الاعلام للمشاكل القومية خطر على التنمية ، لأن تناول المشاكل بحجمها الحقيقى هو الطريق الوحيد لحلها ، بعيدا عن اليأس أو بعيدا عن التفاؤل الساذج ٠ ان الافراط الشديد فى التفاؤل يقودنا الى أحلام اليقظة والى السراب ، والافراط فى التشاؤم يقودنا الى تكريس اليأس فى النفوس ٠

وقد يكون الاعلام ضحية بسبب تخبط البيانات التى يحصل عليها ٠ ولكن يكفى أن يكشف الاعلام مصادر هذه البيانات ليعالج الموقف ويبين خطر التخبط ٠

اذا حاولت(١٧) أن تفهم مشروع فوسفات « أبو طرطور » بالوادى الجديد ، فسوف تصاب بالحيرة الشديدة ٠ مثلا ، اذا أردت أن تعرف احتياطى خام الفوسفات فى هذه المنطقة فهو ١٠٠٠ مليون طن كما تقول نشرة هيئة مجمع الحديد المكلفة بتنفيذ المشروع ، و ٧٠٠ مليون طن كما يقول تقرير هيئة المساحة الجيولوجية و ٥٦٠ مليون طن كما يقول تقرير محافظة الوادى الجديد وهكذا وصلنا الى نصف الكمية ٠ !

واستثمارات المشروع : ٣٤٥ مليون جنيه وفقا لآخر تصريح لوزير الصناعة ، و ٣٠٠ مليون جنيه وفقا لنشرة هيئة مجمع الحديد ٠ والفرق ٤٥ مليون جنيه وهو مبلغ ليس بسيطا ـ و ١٠٠ مليون جنيه وفقا لنشرة هيئة المساحة الجيولوجية ـ وهكذا أصبح الفرق ٢٤٥ مليون جنيه ـ فمن الأصدق ؟

أما العائد السنوى للمشروع فان آخر تصريح لرئيس هيئة التصنيع

---

(١٧) رجب البنا ـ ارقام ابى طرطور ـ جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٥/٩/٢٩ ٠

يقول أنه ٣٠٠ مليون دولار سنويا ، ــ لعله يقصد جنيهـا بدلا من دولار ــ وآخر تصريح لوزير الصناعة يقول أنه ٢٥٠ مليون جنيه ــ بفرق ٥٠ مليونا فقط ــ أما تقرير هيئة المساحة الجيولوجية فيقول ان العائد ٣٥ مليون جنيه ــ وهكذا أصبح الفرق أكثر من ٢٠٠ مليون ٠

ليست المشكلة من الصادق ومن الكاذب ؟ المشكلة هي كيفية الوصول الى البيانات والأرقام ، هل تعتمد على دراسات علمية فعلا أم تعتمـــد على تخمينات وظنون وفلتات لسان ٠ اذا كانت الأرقام خاصــة بمشروع صغير ربما كنا سكتنا ، ولكن فى مثل ضخامة مشروع « أبى طرطور » فلا بد أن نطلب الدقــة ، لأن الشغل « بالبركة » ، سوف يكلفنا الكثير » ٠

ونضرب مثلا آخر يظهر الجانب المظلم للاعلام بالباب الثابت فى معظم الصحف المصرية وهو بختك اليوم أو بختك هذا الأسبوع أو حظك اليوم أو حظك هذا الأسبوع ذلك الباب الذى يتعـارض مع الفهـم الصحيح للـدين ويتناقض مع البناء العقلى للانسان العصرى ٠ أو أن نطالع اعلانا يقول ان الحاجة « فلانه » الروحانية تقدم استشارتها بالمنزل رقم كذا بشارع كذا ، وأن زيارتها من الساعة كذا الى الساعــة كذا ، أو ان فلانا يقـــرأ لك الكف ويحدثك عن المستقبل وغير ذلك ٠

لقد نشرت الأهرام فى صفحتها الأخيرة يوم ١٩٧٥/٢/٢٥ هذا الخبر :

المنياوى الفلكى يقدم لك : « حظك اليوم » فى الأهرام :

● ابتداء من الغد تلتقى كل صباح اذا كنت من الحريصين على متابعة باب « حظك اليوم » مع الفلكى المعروف محمد يوسف المنياوى الذى اتفق مع « الأهرام » على أن يقدم «حظك اليوم» بعد وفاة المرحوم «التونسى الفلكى» ٠

المنياوى (٥٨ سنة) تولى رئاسة مؤتمر الفلكيين العالمى الذى عقــد فى باريس كما اشتهر عنه أنه أبلغ تشرشل رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية أن أمريكا ستدخل الحرب الى جانب الحلفاء وحدد له موعـد المعركة الحاسمة فى العلمين مما دعا تشرشل الى استضافته فى لندن بعد الحرب حيث أقام فى بيته الريفى الخاص ٠

وفى اليوم التالى ١٩٧٥/٢/٢٦ ٠ نشرت القصة الخبرية التالية :

« تحت عباءة الرهبان »

● قال أنه راهب ؛ وارتدى ملابس الرهبان ، وراح يدعى القدرة على شفاء المرضى وتزويج البنات والتعجيل بحمل السيدات ، والتقريب والتفريق بين الأزواج باستخدام الجان ولا أحد يتعظ ـ الجاهلات كالمثقفات ٠ كل واحدة منهن تدفع له عشرة جنيهات دفعة واحدة كمقدم أتعاب ٠٠ كانت هذه هى المعلومات التى وصلت الى قسم رعاية الأحداث بمديرية أمن القاهرة والتى دفعت اللواء كمال خير الله مدير أمن القاهرة ، والعميد أحمد حسن مدير المباحث الى طلب اتخاذ الاجراءات السريعة لضبطه ٠٠ فان ذلك الذى يصنعه لا يدخل تحت بند الدين ولا بند القانون ودخلت احدى السيدات الى بيت الرجل والتقت داخل الشقة بشابين وسيدة أخذوا يستفسرون منها عن مشكلتها وعن اسمها فقالت لهم أن زوجها تركها ليصادق فتاة أخرى وأخذ يهملها وأنها ترغب بأن يعود اليها فقرروا لها أنهم سيقدمونها الى الرجل الذى يتصل بالجان ليحل كربها ويقربها من زوجها عن طريق العمل « السفلى » وعندما استعلمت منهم عن معنى كلمة سفلى أكدوا أنه حتى يتحقق هذا العمل سريعا لا بد لها أن تجلس أمامه فى غرفة مظلمة عارية الجسد ليلقى عليها بعض التعاويذ ويدون على ظهرها بعض العبارات ٠٠ ثم يخرج بعد ذلك أحد الجان من داخل جدار الحائط فيقدم الى الدجال قطعة من الفضة يكتب عليها العمل بمادة بيضاء اللون ٠٠ وطلبوا منها اذا لم تكن لديها الرغبة فى هذه الجلسة عليها أن تستعين بفتاة أخرى تؤدى هذه الجلسة نيابة عنها وعندئذ تتضاعف الأتعاب فتصل الى مبلغ عشرين جنيها ٠ وخرجت السيدة لتفكر فى الأمر : وعادت فى اليوم التالى وقابلتها زوجة الرجل استر غالى سمعان (٣٧ سنة) وتسلمت منها عشرة جنيهات مقدم الأتعاب ، وراحت تتحدث معها بأنها تدير شقة مفروشة وطلبت من المرشدة أن تأتى لها ببعض الفتيات لاجراء تجارب عليهن بالطريقة السفلية فتظاهرت بالاستجابة ٠٠ ثم دخلت الى غرفة الرجل٠ وبعد حوالى ربع ساعة اقتحمت عليهما الأبواب ٠ لم تكن السيدة سوى مرشدة للبوليس ٠٠ بعث بها المقدم عادل شعبان ولم يكن الذين اقتحموا الأبواب سوى قوة يقودها الرائدان شريف عبد الرازق وأحمد ادريس والنقيبان عبد الوهاب العادل وعادل فوزى ٠ وقد فوجئوا بمشهد مثير ٠

كانت المرشدة تجلس على مقعد بينما الدجال يخلع ملابسه ويطلب منها فى غيظ أن تخلع هى الأخرى ملابسها ليبدأ الجلسة ٠٠ وكان وراء الستار شاب آخر يزعم أنه « العفريت » اتضح أن اسمه شنوده جيد ٠

وقبض على الرجل ـ الدجال ـ خلف شحاته الشهير بادوارد ، وقبض أيضا على زوجته ، وعلى « العفريت » ٠٠ وعلى شاب آخر ٠٠ لمعى جرجس فام كان دوره استدراج الفتيات والسيدات نظير ٣٠ فى المائة من قيمة المبالغ التى يدفعنها ٠ وضبطت بعض الأدوات المختلفة التى يستخدمها فى مزاولة أعمال السحر والشعوذة ومجموعة كبيرة من الصور المختلفة لبعض الفتيات والسيدات من المترددات مدونا خلف كل واحدة كلمات حب وكراهية وزواج وطلاق ، ودفتر توفير باسم المتهم بمبلغ ٥٠٠ جنيه ٠ وكانت نهاية غير سعيدة أمام وكيل نيابة الآداب ٠

ويمكن القول بأن هذه الأمثلة التى ضربناها من الصحافة المكتوبة يتضاءل حجمها وخطرها أمام حجم وخطر ما تعج به الأقلام والمسلسلات الاذاعية والتليفزيونية والتمثيليات ، وحتى بعض البرامج الخاصة ، لقد قدمت احدى محطاتنا الاذاعية برنامجا عن يوم القيامة اعتمد على نبوءة أحد المنجمين وأثار البرنامج الهلع والفزع بين المستمعين ٠ ومن الغريب أن هذا كله تقليد لبرنامج قديم أذاعته احدى المحطات الأمريكية على نفس النحو ، وسبب قلقاً وخسائر فادحة ففى يوم ٣٠ أكتوبر عام ١٩٣٨ أذاع أورسن ويلز مع فرقة راديو (اس ب اس) الأمريكية تمثيلية عن وقوع غزو من المريخ ٠ وقبل أن يحل المساء كان الآلاف من المستمعين فى حالة ذعر وهلع ٠ وفر بعضهم الى التلال ٠ وتلقى مركز البوليس آلاف المكالمات ، وكذلك وكالات الحكومة الفيدرالية ٠ وحاول آلاف من الناس تحذير أصدقائهم كما أخذ بعض الناس أسرهم ، وما خف حمله وغلا ثمنه من متاعهم وانطلقوا بسياراتهم بعيدا عن الشاطىء الشرقى الذى زعمت التمثيلية أن الغزاة من أهل المريخ قد نزلوا عليه ٠

ويتضاءل كل ذلك أمام الخطر الناجم عن تبنى بعض رجال الاعلام سياسة مدروسة ومنهج يبشرون به ، ويشيع فى معظم ما يقدمونه من مواد اعلامية ٠ ويلخص هذا المنهج أو هذه السياسة فى الالتفاف حول الأسس الحقيقية لأسباب تخلف الانسان الكادح فى البلدان النامية وصرفه عنها ، نرى

مثلا لذلك فى أن حل مشاكل الانسان الكادح هو أن يربح ورقة يانصيب أو أن تطرق بابه مندوبة ليلة القدر ٠ لأن المقابل الواقعى أو الصحى هو تغيير المجتمع واقرار حق العمل وتقديس جهد الانسان فى أن يعمل وأن يكد وأن يتقدم ٠

ان تفتيت الرغبة العارمة والمتأججة لدى الانسان الكادح فى كسر طوق التخلف يصرفه عن قضايا الانتاج أو بتخديره بحلم كاذب له فى صورة مقعد وثير فى طائرة بوينج مثلا وفى يده حقيبة « سامسونيت » كل ذلك خطر محدق بالتنمية وبالانسان صانع التنمية ٠

فعلى سبيل المثال ماذا يفيد القارىء المصرى الذى لا يجد مكانا لقدميه فى أوتوبيس مزدحم فى الخبر التالى :

العقل الالكترونى يقود سيارتك(١٨)

ستعاونك العقول الالكترونية فى قيادة سيارتك ٠٠ ستجعل قيادتك أكثر متعة ٠٠ وأقل عناء ٠٠ وبدون تفكير ! عقل اليكترونى صغير سيوضع فى كل سيارة ٠٠ وفيه يضع السائق رغبته قبل بدء الرحلة ٠ لنفترض انه سيسافر الى حى المنتزة بالاسكندرية ٠٠ مثلا ٠ سيقوم العقل الاليكترونى أوتوماتيكيا بتوجيهه الى الطريق ٠ سيطلب منه السير الى الأمام ٠٠ والانحراف يمينا أو يساراً ويستمر هكذا حتى تصل السيارة الى المكان المطلوب ٠ سيطلب العقل الاليكترونى من السائق أيضا تخفيض السرعة قبل المنحنيات وسيطلب منه التهدئة قبل اشارات المرور ، العقل الاليكترونى لن يقدم لك أقصر الطرق ولكنه سيقدم لك أسهلها وأكثرها أمناً فقط ، اذا لم تسمع كلام العقل الاليكترونى فى أى جزء من الرحلة فانه لن يغضب منك بل سيقدم لك التوجيهات الجديدة الخاصة بالطريق الذى قررت تغيير رحلتك اليه ! العقل الاليكترونى الجديد أنتجته شركة بلونبكت فى المانيا الغربية ٠

ما الذى يمكن أن يفعله اعلام سىء فى مجتمع يسعى الى التنمية ؟ كيف يصبح الاعلام السقيم التافه سما يقتل تحفز الشعب ويقبر الاشراقة المضيئة فى أذهان الأجيال ؟ ان الكاتب المصرى يوسف ادريس يكاد يصرخ حين يقول :

---

(١٨) جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٧٥/٥/٣٠ ص ٧ ٠

« أيها السادة ، نحن نمر بمجاعة[١٩] ثقافية لم يسبق لها مثيل • أن تحس أن هذه المسرحية تافهة أو أن تلك التمثيلية التليفزيونية سقيمة ، أن تفتقد وجود كتاب يستحق القراءة ، أن يحدث هذا بين الحين والحين ، شيء ، اما أن ترى الأثر الحقيقى لتراكم الهيافات والتوافه • أن ترى ، عاما بعد عام ، كيف تترسب السخافات ، طبقة فوق طبقة حتى نصل الى درجة الظلام التام والهلوسة والتخريف • قد تسمع حواراً اذاعياً أو تشاهد على مضض تمثيلية هزلية فى التليفزيون غبية ، يضحكك فيها محمد رضا مثلا وتتأذى مما يسودها من جهل وسطحية واخماد لكل مواهب العقل والفكر والذكاء • قد يحدث هذا ، وتسب وتلعن ، وتغلق الجهاز منقذا نفسك من هذا الانحدار السمج • ولكنك فى الوقت الذى تمنع عن نفسك هذا البلاء لا تعرف المأساة الحقيقية • ان هذا البلاء ، يتلقاه الآخرون ، ويطعم منه شعبك كله • هذا الطعام البالغ الرداءة ، ان كنت ترفض أنت فليس معنى هذا أن كل الناس ترفض ، فقد تكون لديك امكانيات أخرى ، لطعام أفضل ، قد يكون بوسعك أن تغلق الراديو أو التليفزيون أو الصحيفة وتفتح كتاباً أو تسمع موسيقى ، ولكن الجماهير العريضة ليس لديها هذا الترف ، وما يقدم هو الطعام الوحيد الموجود ، حتى لو كان فيه السم ، فهم مضطرون لالتهامه ، فلا يوجد ثمة طعام آخر •

« كم من مئات المرات كتبنا ، ونقدنا ، وقلنا ، وصرخنا ، وغضبنا وسخطنا ولكننا كنا كمن يؤذن فى مالطة ، والأمر الواقع ماض ، يصب فى آذان وعيون وعقول الشعب تفاهات فوقها تفاهات الى أن ننتهى الى وضع تصبح فيه التفاهة هى الأصل ، هى الحقيقة الموجودة ، العملة الزائفة تسود وتطرد بتوحش ما تبقى من آثار الذكاء أو الموهبة حتى يسود الظلام التام • ان بطولة الواعين من طلبة الجامعة وبقية المتعلمين هى كيف استطاعوا أن ينقذوا أنفسهم وعقولهم من بحر التفاهة ، وأن يروا رغم الظلام المستشرى الحقيقة ، انها حقاً بطولة ، رغم عدم ايمانى بضرورة أن تتملق صباح مساء الشعب وقوى الشعب العامل وطوائفه وفئاته • ففى الواقع منذ أن وضع ماركس نظريته الماركسية ، وكانت الحكومات الشيوعية كدول فى بلاد الكتلة الاشتراكية والحديث دائم ومستمر لا ينقطع عن الشعب المعلم والشعب الأستاذ

---

(١٩) د• يوسف ادريس – هل اصبح كله « بوك » ؟ – جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٥/١٠/٣١ •

والقائد والشعب المعجزة ٠٠ الى آخر هذه الكلمات والشعارات التى يضج منها الشعب نفسه فى أحيان ٠ ان الشعب مثله مثل الانسان الكائن الحى ، مثـلـه مثل المواطن الفرد له نواحى ضعفه ونواحى قوته ، فلا هو فوق النقد أو الخطأ ، ولا هو مجموعة من النعاج ـ حسب النظريات الفاشية ـ من المحتم أن يوجد لها الحاكم الذى يفكر لها ويحلم لها ويخطط لها ، ويقوم مقام العقل فى جسـد من العضلات ٠ الشعب اذن ليس كومة عضلات فى حاجة ماسة الى عقل يدرك له ويفكر من أجله ويوجهه ، ولا هو أيضا عقل سيد غير قابل للمراجعـة أو النقـد ٠ الشعب كما قلنا مثله مثل المواطن الفرد ، قد يخطىء وقد يصيب وعلى أى الحالات هو فى حاجة مستمرة ماسة الى أن يتثقف ويتعلم بمفرده هـو ، ودون أدوات العلم والثقافة لا يملك الشعب أن يصير بمفرده معجزة ، ولهــذا فحين نترك الشعب بلا تعليم وبلا ثقافة لا يكون من نتيجته الا أن ينحـدر المجتمع علمياً وثقافياً وتعليمياً ، بل وليس هناك ما يمكن أو يوقف انحداره طالمـا ظلت تلك الظواهر قائمة مستشرية » ٠

ومن مساوىء الاعلام أيضا تجاوز النقد لأهدافه ٠ فبرغم أنه لا يمكن انكار ضرورة وحيوية النقد لاصلاح مسارات العمل الوطنى ٠ ولكن النقــد اذا تجاوز أهدافه انقلبت حسناته سيئات ٠ يروى وزير الاعلام تجربته من تجاوز النقـد قائلا :

« نحن أحياناً ننتقل من النقيض الى النقيض ، من النقيض فى تعظيم الذات والعجز عن رؤية العيوب الى النقيض فى تعذيب الذات والعجز عن رؤية الجوانب الايجابية ٠ ينبغى أن نلتزم برؤية المسالب موضوعياً وأن نتصدى لها فى شجاعة وصراحة ، ولكن أن تصور الصورة كما لو كانت كلها سـوادا فذلك تجنى وذلك ظلم وله أثر نفسى سىء على العاملين فى أى حقل من الحقول لأنه يصور لهم أن الطريق مسدود وأن الأمل ضعيف وأن الفشل مقضى به فيتردد من كان عازما على العمل ويعرض من كان مقبلا ، وتضيق نفس ويذهب حماس من كان مستبشراً متحمسا للعمل ٠ وأحدد .. جهاز الاذاعة والتليفزيون يتعرض الآن لنقد ونحن ننقده من الداخل لتطويره لكى يصـل الى المستوى المرتجى المطلوب ولكن أن يتجاوز الأمر علاج المشاكل الى التسلى على حسابها أظن ذلك غير مقبول من أى منطق بحال من الأحوال ٠٠ نحن نعرف أن النقـد مطلوب وأن المسئول فى موقع قد يعجز عن رؤية العيب واذا رآه قد يغطيه واذا

رآه ولم يقومه قد يتقاعس فى اصلاحه ومن هنا فان الكلمة الحرة من أى منبر من المنابر هى هادية ومرشدة ومصححة ، ولكنها ينبغى أن تساق بحيث لا تنقلب من كلمة حفز وتشجيع الى كلمة تيئيس وتثبيط وهذا التيئيس والتثبيط يأتى من أحد بابين .. حجم النقد أو نوع النقد .. اذا كنت لا أفتح صحيفة من الصفحات فى أى جريدة من الجرائد الا وأجد نقدا بالغ الشدة ، أخشى أن يؤدى هذا التناقض الكمى الى تأثير نوعى بحيث نترك الاصلاح يأسا منه أو تصورا اننا نعجز عنه ، أحيانا بعض النقد أيضا يتجاوز النقد الى ما يصل الى الاساءة والتجريح .. بعض ذلك مقبول حين يتعلق بواقعة ، وحين يكون معنى التصحيح فيه واضحا ولكن فى بعض الأحيان يعبر هذا الخطو تكون له آثار سلبية بحيث يوشك الذين يمسكون بالأقلام طلبا للاصلاح أو الذين يعملون بسواعدهم طلبا للتغيير أن يقولوا لا أمل ولا رجاء وأن توضع الأقلام وأن تجف الصحف وبذلك تتعسر مسيرة الاصلاح(٢٠) » .

هذه الأمثلة تبين لنا الجانب السلبى للاعلام فى التنمية . ومن جانب آخر هناك صعوبات تعترض الاعلام لتأدية دوره فى التنمية . وقد تكون هذه الصعوبات من داخل أجهزة الاعلام ذاتها مثل قلة الصحفيين المدربين والأكفاء كما نرى فى كثير من البلدان النامية أو قلة الورق كما نرى فى بعضها . وقد تكون هذه الصعوبات مرتبطة بالسلطة مثل الرقابة أو مرتبطة بالواقع الاجتماعى المتخلف مثل غلبة الأهمية أو مرتبطة بالادارة المتخلفة وسأضرب لكم مثلا فى هذا الصدد فى أن الموظف المسئول عن توزيع احدى الصحف الزراعية على الفلاحين فى الجمعية التعاونية كان يتسلمها ويضعها فى المخزن لأنها عهدة ، وبعد تراكمها تباع بالميزان .

ان ارتباط خطة التنمية بخطة الاعلام يذكرنا بالحديث النبوى الشريف الذى يصور لنا تأثير الألم فى عضو من أعضاء الجسم بتداعى سائر الجسد بالسهر والحمى .

---

(٢٠) د. احمد كمال ابو المجد من محضر اجتماع باللجنة المركزية فى ١٩٧٤/٧/٢ حول الاعلام والصحافة فى مصر .

القســـم الدفــــاعى :

اننا نجد أن اعلام الاستعمار الجديد يغير أساليبه بين حين وآخر ، ولكن هدفه الاستراتيجى واضح دائما ، ويتلخص فى استمرار الظـروف المناسبة لممارسته الاستغلال ، وتعويق خطط التنمية فى بلدان العالم الثالث ٠ فهـو يزعم أنه قبل أن تدخل بلدان العالم الثالث مجالات الصناعة ، عليها أن تهتم بتغذية أبنائها وتطوير زراعتها من أجل ذلك ٠ واعلام الاستعمار الجديد يريد للدول النامية أن تغفل العلاقة بين ارتباط التقدم الزراعى على تقدم صناعى ، وارتباط الاثنين بالخدمات وتنمية الموارد البشرية ٠ ثم يزعم الاستعمار أنه ينبغى البعد عن الصناعات الثقيلة والبدء بالتصنيع الريفى والزراعى ٠ ويزعم أن مقياس التخلف والتقدم ليس بالنمو الاقتصـادى أو التقـــدم الصناعى وحسب وانما هناك مقاييس أخرى تزخر بها بعض البلدان النامية ٠ مثـل المقياس « الجمالى » أو « التأصلى » نسبة الى الأصالة ، وكأنما يريد الاعلام أو على وجه الدقة بعض مفكرى الغرب أن يقدموا لنا عزاء فى أن عندنا أصالة ولنا تراث قديم ، وعلى ذلك لا نكون متخلفين ٠٠! وقد يروج اعلام الاستعمار الجديد لفكرة التحديث نسبة الى الحديث أو الجديد ٠٠ ويرى أن العالم الثالث فى حاجة الى التكنولوجيا فقط بدون ايدلوجيـــة أو عقيـــدة ٠ ويؤكد بأن التكنولوجيا موجودة فى العالم الرأسمالى وهى ـ فى رأيه ـ سبب تقـدمه ٠ وموجودة فى العالم الاشتراكى وهى ـ فى رأيه ـ سبب تقدمه ٠ والاعـــلام الاستعمارى يريد بذلك أن يصرف العالم الثالث عن قضية العدل الاجتماعى وهى المحور الأساسى فى تنميته ، لأن البشر هم العنصر الحاسم فى التنمية ٠ والتغيير سمة أساسية فى المجتمعات الجديدة وضرورة من ضرورات التنمية ٠

وقد يلجأ اعلام الاستعمار الجديد الى محاولة صرف طاقات المجتمعـات النامية وفكرها الى قضايا ودروب بعيدة عنه ، ويفرض على الانســـان فى المجتمعات النامية قضايا غير مطروحة فى مجتمعه وغير ضرورية له ، فهو يحدثه عن الأزرار الكهربائية فى المجتمعات المترفة وملابس النايلون والعطـور ، فى الوقت الذى هو فيه فى أشد الحاجة لمناقشة الأمن الصناعى ، وحماية الريف والغابات من الحرائق فى فصل الصيف ٠ وليس معنى ذلك أنه على أبنـــاء البلدان النامية أن يغلقوا عيونهم عما يجرى فى العالم المتقدم ، ولكن الفـرق شاسع بين نشر واذاعة ما يعد دروساً مستفادة من تجـارب التقـــدم وبين

ما يقصد به صرف الناس عن قضايا حياتهم وصرفهم عن الانتاج والعمل ٠ ونضرب مثلا يابانيا فى التقدم يعد نشره فائدة للتنمية ٠

« وقـد(٢١) لوحظ أخيرا أن اليابان تنفق على « البحث العلمى » أقـــل ممـــا تنفقه أيــــة دولة أوروبية ٠ ومع ذلك فاليابان هى عمـــلاق الصناعة المتطورة جدا فى العالم كله ٠٠ وهى مصدر الخوف والفزع لأوروبا وأمريكا ٠ حتى أصبحت اليابان هى مشكلة أوروبا وأمريكا ٠ كيف يواجهونها ؟ كيف ينافسونها ؟ كيف يتفوقون عليها ؟ ٠

« أما كيف وصلت اليابان الى التقدم العلمى الهائل بأقل نفقات ممكنة ٠ فهذه هى العبقرية العلمية الصناعية الاقتصادية اليابانية ٠ ومن مظاهـــر هذه العبقرية أن الشركات الكبرى فى اليابان اذا ما وجدت اختراعا أوربيا أو أمريكيا جديدا فانها تشترى عددا كبيرا من هذا الاختراع الجديد ٠ وينسحب عدد كبير من المهندسين والمخترعين يدرسون ٠ ثم يستدعون مئات الشـــبان الذين تخرجوا حديثا فى الجامعات ٠ ويعطون كل واحد نموذجا لهـذا الجهاز الجديد ويطلبون منه أن يكتب تقريرا عن كيف يمكن تطوير الجهاز الجـديد ليكون أصغر وأقل تكلفة وأرخص سعرا وأجمل شكلا فى أسرع وقت ممكن ٠ ويرجع مئـــات الشباب الى بيوتهم يفكون الجهاز قطعـــة قطعة ويدرسون ويقررون ويعودون الى الشركة باقتراحاتهم الجديدة وأفكارهم المبتكرة٠ وكل شاب يعلم أن هناك مئات الألوف مثله يحاولون نفس الشىء ٠ وأنه لابـــد أن يصل الى شىء جديد ، والا فلن يجد عملا ولن يجد لقمة العيش ٠

« ولا يكاد يمضى وقت قصير جدا حتى تكون الشركة قـد حصلت على مئات الأفكار الجديدة ٠ والاقتراحات العلمية المدروسة ٠ والشركة لم تنفق مليما واحدا على تطوير الاختراع الجديد ٠ وانما استدعت الشباب وحشدت قواهم الخلاقة من أجل أعظم منافسة ابداعية فى التاريخ الحديث ٠ وتـكون الشركات اليابانية كلها قد حلت مشكلة ملايـــين الطلبة والخريجين وملأت عقولهم بكل شىء نافع لليابان والعلم الانسانى ، وأفرغت أيديهم وجيوبهم من الطوب ووفرت عليهم اهـــدار قواهم فى اللف والدوران فى الشوارع ٠ وفى

---

(٢١) أنيس منصور ــ مواقف ــ جريدة الأخبار ــ بتاريخ ١٩٧٥/١/١٣ ٠

الأسبوع الماضى نشرت احدى شركات الراديو اليابانية المحاولات المختلفة لتطوير شكل الراديو الصغير الذى يوضع فى الجيب ٠٠ وقد بلغ عدد الأشكال المقترحة ١٤ ألف شكل،كل هذه الأشكال درست من جميع الوجوه الاقتصادية والنفسية والتسويقية ٠ حتى استقر رأى مجلس المستشارين فى هذه الشركة على الشكل الذى اختارته ٠٠ » ٠

ان هذا المثل يختلف تماما عن كثرة الحديث حول أصحاب اليخوت وأندية القمار الدولية والبلاجات التى يباح فيها السباحة للناس كما ولدتهم أمهاتهم وغير ذلك مما يقدمه اعلام الاستعمار الجديد من زيف وضلال لأبناء البلدان النامية محاولا أن يعوق تقدمهم ٠

التكامل والترابط بين الخطتين :

ان التصور الصحيح لدور الاعلام خلال التنمية يوضحه لنا التداخل والترابط بين خطة الاعلام وخطة التنمية ٠ فلابد من جهود مشتركة بين الخطتين حتى يمكن تدعيم دور الاعلام فى التنمية ٠ ماذا ينتظر المسئولون عن خطة التنمية من المسئولين عن الاعلام ؟ وما هى مطالب الاعلام فى خطة التنمية ؟ ان التكامل بين جوانب العمل الوطنى فى أى مجتمع من المجتمعات هى دليل نجاح التنمية ، ونسوق النقاط التالية التى تبرز التكامل والترابط بين خطة الاعلام وخطة التنمية :

١ ـ لابد أن تتسع وسائل الاعلام للتعبير الحقيقى والأمين عن آراء وأفكار كل قوى الشعب وفئاته ٠ وأن تشجع الحوار البناء بين هذه الأفكار على اختلاف منابعها ٠ ان الحرية لا تتمثل فقط فى الغاء الرقابة على الصحف أو التشويش على الاذاعات ، بل تشمل عدم تدخل الحكومة فيما تنشره الصحف أو مالا تنشره وأن تتاح للمحررين حرية الكتابة ولا تصبح وقفا على بضعة أفراد هم رؤساء التحرير وقلة قليلة من الكتاب ٠

ولكى تتسع دائرة الحرية ينبغى على الدول النامية أن تعيد النظر فى القوانين والتشريعات المنظمة للعمل الاعلامى بما يجعلها أكثر مرونة وبما يشجع المنظمات الشعبية والاتحادات والنقابات على التعبير بشكل شعبى جاد ، وبما لا يجعل من التشريعات والقوانين الاعلامية قيودا تحد من حرية

الفكر والتعبير فى اطار النظام الأساسى الذى ارتضاه المجتمع والذى لابد من تكاتف جميع الجهود والقوى فيه لتحقيق التنمية الشاملة ٠

٢ ـ التطوير المستمر للعاملين فى الاعلام معنويا وذلك بالتدريب ومدهم بالاحصائيات والمعلومات واتاحة الفرص الكافية أمامهم للتزود بالمعـرفة ، حتى يمكنهم أن ينقــلوها الى الجماهير فمن لا يمــكنه أن يتعلم لا يمكنه أن يعــلم ٠

« ان أخطر ما نواجهه اليوم(٢٢) ٠ وما سوف نواجهه غدا هو أن شعبنا تخلف أجيالا عن تقــدمه ٠ بفعل ظروف مختلفة بعضها يـرجع الى عوامل داخلية وبعضها الآخر يرجع الى عوامل فرضت عليه من الخارج فرضا ٠ اننا لا نملك أن نتخلف اطلاقا عن العــالم الجديد ٠ ولقــد بذلنا من التضحيات وواجهنا الكثير من الآلام لأننــا تخلفنا عن تطورين سابقين همــا البخار والكهرباء ٠٠ ولكن ذلك كله لا يقاس بما يمكن أن نتعرض له اذا فاتنا الفجر الجديد الذى أشرق على الدنيا ٠ ان الذين يتخلفون عن الفجـر الجديد سوف يقامرون بحقهم فى الوجود ٠

« هذه هى صورة المشكلة التى تواجهنا ٠ وأحب أن أضيف عليهـا أن هناك نتائج سياسية كبرى سوف تترتب عليها ٠ ذلك أن الفارق بين الدول التى تساير التطور الكبير القادم والدول التى تعجز عن مسايرته سوف يكون أكبر بـكثير من الفارق بــين دول الاستعمار والشعوب التى رضخت تحت طغيانه ٠ ان المعرفة ستكون فى العصور القادمة هى القـوة الحقيقية ٠٠ هى الحرية الحقيقية » ٠

٣ ـ مساعدة أجهــزة الاعــلام بتطويرها وتـدعيمها بالتكنولوجيا ويستتبع ذلكضرورة قيام صناعة متقدمة للاتصالالجماهيرى بالدول النامية وخفض الرسوم على وارداتها من وسائل وأدوات الاتصال الجماهيرى بما فى ذلك تصنيع أجهــزة ارسال واستقبال الاذاعة والتليفزيون وورق الصحف

---

(٢٢) من خطاب للرئيس المصرى الراحل جمـال عبـد الناصر فى اليوبيـل الذهبى لجامعــة القاهرة ـ ٢١ ديسمبر سنة ١٩٥٨ ٠

وحبر الطباعة وآلات العرض السينمائى والافلام الخام وغير ذلك من صناعات الاتصال ، وكذلك من المهم بالنسبة للـدول النامية أن تتعـــاون فى تطوير الاتصالات السلكية واللاسلكية داخل وبين هـــذه الدول بدلا من أن تضطر بعض الدول الافريقية مثـــلا الى الاتصال بين بعضها البعض عن طـــريق العواصم الأوربية(٢٢) ، وبصفة عامة ضرورة الاستفادة من التطورات الفنيـــة الحديثة ، ومن تكنولوجيا الاعلام ومن أقمار صناعية ٠ ومثال ذلك الاتفاق الذى تم أخيرا بـين الدول العربية على استخدام الأقمار الصناعية فى مجـال الاتصـــالات ٠

ويمكن عن طريف الأقمار الصناعية نقـــل رسائل التليفون والتلغراف والراديو والصور والتليفزيون بين نقط تبعد عن بعضها البعض آلاف الأميال، كما يمكن عن طريقها ربط نظام التليفزيون بين دولة وأخرى ، وسيكون لـــه فائدة هامة بالنسبة لوكالات الأنباء وتبادل البرامج التليفزيونية الحيـــة من دول لأخرى ، كما يمكن عن طريق استخدامه اذاعة برامج تعليمية تشمل عددا من الدول النامية عن طريق جهاز ارسال واحد واستوديو واحد فى وقت معين٠

وتؤكد الاحصائيات أن البلدان النامية تعانى نقصا شديدا فى وسائل الاعلام حيث نجد أنه بينما بلغ سكان أوربا الغـــربية سنة ١٩٧٠ ، ٣٩٣ مليون نسمة كان بها فى نفس السنة ١٥٣ مليون جهـاز راديو و ٨١ مليون جهاز تليفزيون ، وفى الولايات المتحدة التى كان عدد السكان بها سنة ١٩٧٠، ٢٠٨ مليون نسمة كان عدد أجهزة الراديو فى نفس السنة ٣٠٤ مليون جهاز وأجهزة التليفزيون ٨٩ مليون جهاز ٠

أما فى الدول النامية فنجد أن الشرق الأوسط بما فيـــه شمال أفريقيا والذى بلغ عدد سكانه سنة ١٩٧٠،١٥١ مليون نسمة كان عدد أجهزة الراديو فيه فى نفس السنة ١٨ مليون جهاز وعدد أجهزة التليفزيون ٦ر٢ مليون جهاز بينما لا يزيد عدد أجهزة الراديو فى الهند التى بلغ عدد سكانها سنة ١٩٧٠ ،

---

(٢٢) رمضـــان حسن ـ التخطيط الاعـــلامى بالدول النامية وارتباطه بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى هذه الدول ـ رسالة ماجستير بكلية الاعلام جامعة القـاهرة عـــام ١٩٧٦ ٠

٥٥٠ مليون نسمة عن ١٤ مليون جهاز بينما كانت أجهزة التليفزيون أقل من ربع مليون جهاز ٠

وعدد محطات الاذاعة فى العالم يزيد عن ١٩ ألف محطة اذاعة ، منها ٥٠٠٠ فى أوربا و ٦٧٥٠ فى أمريكا الشمالية و ٤١٠ فى الاتحاد السوفيتى ، بينما عددها فى أفريقيا ٦٥٠ وفى جنوب شرق آسيا ٩٥٠ محطة ٠

وبينما معدل أجهزة الراديو عالميا ٢٥٠ جهاز لكل ألف من السكان نجد أن المعدل فى أفريقيا هو ٥٠ جهاز لكل ألف من السكان ٠

وبالنسبة لمحطات التلفزيون فى العالم تبلغ ١٥ ألف محطة ارسال تلفزيونى و ١١ ألف محطة تقوية ٠ نصيب أفريقيا فيها هو ١٢٢ محطة ارسال و ٣٠ محطة تقوية ونصيب جنوب شرق آسيا ١٢٠ محطة ارسال و ٦٠ محطة تقوية ٠ أما نصيب أوربا فهو ٦٥١٥ محطة ارسال و ٥٥١٠ محطة تقوية ٠ ونصيب أمريكا الشمالية ٣٠٥٠ محطة ارسال و ١٩٦٠ محطة تقوية ٠ وفى الاتحاد السوفيتى ١٠٨٩ محطة ارسال ٠

وبالنسبة للصحف فان معدل استهلاك ورق الصحف بين البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة يقدمان لنا صورة واضحة ٠ ان استهلاك ورق الصحف فى مصر مثلا هو ٢ كيلوجرام للفرد فى العام وهى نفس النسبة تقريبا فى المغرب العربى وفى الكويت ، بينما نجد أن استهلاك الفرد للورق طوال العام فى أمريكا الشمالية يبلغ ٦ر٤٣ كيلو جراما وفى السويند ٧ر٤٢ كيلو جراما للفرد ٠

بحوث الاعلام والتنمية :

كان العرب القدماء يعرفون الأدب بأنه الأخذ من كل شىء بطرف ، وفى عصرنا الحاضر يعرف الدكتور مهدى علام المجلة بأنها صورة مختصرة سريعة متجددة رخيصة الثمن لدوائر المعارف ٠ وعلى نفس المقياس ننظر الى بحوث الاعلام والتنمية ٠ ان الأبعاد المتعددة للظواهر الاعلامية ، والابعاد المتعددة لمشاكل التنمية ، تحتم علينا فى مجال بحوث الاعلام والتنمية أن نأخذ من كل بعد بما يتوافق مع بحثنا ، وتحتم علينا أن نكون موسوعيين ونحن نعالج هذه البحوث ، لأنها بطبيعتها ذات جذور متشعبة وذات أبعاد متعددة ٠

ما هى أهمية بحوث الاعلام فى التنمية ؟ :

انها تقدم لنا الجرعة الشافية لمشاكل المجتمع وتفتح الطريق لانطـلاق التنميـــة • ان التشخيص هو الشوط الأكبر فى طريق الشفاء • ان البحوث تقدم لنا اجابة عن المشاكل التى تواجه الجهد الوطنى فى بناء المجتمع • كيف كانت ؟ وكيف تطورت ؟ وما هى احتمالات تطورها وظروفها فى المستقبل • وما هى طرق حلهـــا ؟ •

وعندما تتخذ القيادة السياسية فى احدى البلدان النامية ، قرارا يمس الجماهير العريضة من السكان ويعد قفزة فى طريق التنمية يظهر دور البحوث وينعكس بصورة مباشرة على الاعـــلام فعندما أعلن الرئيس الســـادات فى الاحتفال بذكرى حركة التصحيح فى مايو ١٩٧٧ عن الثورة الادارية أخـــذت أجهزة الاعلام هذا الشعار ورددته دون تخطيط مسبق فى كافة قطاعات الأجهزة الادارية • بمعنى أن الأجهزة الادارية لم تـــكن لديها بحوث ولا دراســـات ولا حتى مجرد تصور شامل لأبعاد ثورة ادارية ، ومساوىء التناول الاعلامى لهذه المفاهيم بهذا الأسلوب الخالى من مضمون ومعنى محدد يجهض الشعار أو الهدف • مثال آخر للنقـــد الاعلامى بدون بحوث محـــددة فى تناول بعض الأمراض الاجتماعية مثل الرشوة • فالاعلام يعاملها كأنها مرض اجتمـــاعى متوطن ودائما يقدمها للجماهير دون حلول جـــذرية ، ودون علاج ، وتصبح الرشوة من المسلمات الاجتماعية ، وعلى الرأى العام أن يكيف نفسه للتعامل فى اطار الأمراض القائمة .. كم مسرحية فيها رشوة وكم تمثيلية فيها رشوة ، كأنما أصبحت الرشوة من الأمور المعترف بها •

مثـــال آخر فى معالجة مشكلة التليفونات • ان تشتيت المسئولية عن أعطال التليفونات الذى تقـدمه وسائل الاعلام بغير قصد يخفى المقصرين ، ويرسخ لديهم عدم المبالاة ، ويثبت فى أذهان مشتركى التليفونات أنه لافائدة من الشكوى •• ولو اجتهدت وسائل الاعـلام فى تتبع الخيط لأمسك الرأى العام بتلابيب المقصرين وحملهم المسئولية محددة •

كيف نعالج كاعلاميين مشكلة من مشاكل العمل الوطنى ؟ :

لقد تحدثنا نظريا عن النظر الى المشكلة فى أبعادها المتعددة ، ولكننا فى

مجال خطة الاعلام وخطة التنمية لابد من مثال نطبق فيه هـــذا التصور ٠ وليكن المثال حول محو الأمية ، تلك المشكلة التى يشترك فيها العالم الثالث بـأسره ٠

اذا نظرنا الى كيفية القضاء على الأمية فى المجتمع وعدم الارتداد اليهـا نظرتنا الى كيفية الاستفادة من مصادر المياه وعدم تبديدها ، فان طرقا عديدة تتفتح أمامنا لمحو الأمية وعدم الارتداد اليها :

١ ـ المدرسة وهى أقرب الشبه الى مياه النهر دائمة العطاء منتظمـة العطاء هادئة العطاء وعميقة فى نفس الوقت ٠

٢ ـ الحملات الحزبية والطلابية والعمالية ، وبصفة عامة الحمـلات الجماهيرية لفترات محـــددة وبرامج محددة ، وهى أشـــبه بالفياضانات أو مواسم الأمطار خيرها عميم ولكن ليست لها صفة الدوام ، ولو تكررت لكان خيرها أعم وأفضــل ٠

٣ ـ الجهود المحلية وهى أشبه بالآبار فحيثما تهيأت الأسباب لحفـر بئر تدفق المـاء ، وكلما أمكن فتح فصل لمحو الأمية دخل عالم المعرفة بالقراءة والكتابة عشرات فى كل عام ٠ وكما نقول بأن أول الغيث قطرة ثم ينهمـــر كذلك ما يحدث فى مشروعات محو الأمية وعدم الارتداد اليها أن نبـدأ فى كل قرية بكتاب الشيخ أو بالمسجد أو بنادى الاستماع والمشاهدة ٠

٤ ـ التنسيق بين كافة الاطراف المعنية بوضع خطة مشتركة كخطة ضبط ميـــاه الأنهار والأمطار بالخزانات والقناطر ففى محو الأمية فى مصر تشترك عدة هيئات منها وزارة التعليم ـ الاتحاد الاشتراكى العربى حتى عام ١٩٧٦ ـ مؤسسة الثقافة العمالية ـ الاذاعة ـ التليفزيون ـ بعض الصحف مثـــل تجربة صحيفة التعاون ـ الجيش ـ الشرطـة ـ مصلحة السجون ـ النقابات والاتحادات العمالية هذا الى جانب جهود المنظمة العربية للتربيـــة والثقافة والعلوم ووزارة التربيـــة والتعليم هى الوزارة المسئولية عن محـو الأمية وتعليم الكبار فى مصر فهى تقوم بتنفيذ الخطـة التى يضعها المجلس الأعلى لتعليم الكبار ومحو الأمية وذلك من خلال الادارة العامة لتعليم الكبار بديوان الوزارة وأقسام تعليم الكبار بالمديريات التعليمية والمحافظات ٠

وقد تحدد الهدف من محو أمية الانسان المصرى بأن يتحقق له ما يلى :

(أ) أن يكتسب القـدرة على الكتابة والقراءة باعتبارهما أساسا هاما من الأسس الحضارية والثقافية فى المجتمع الحديث ٠

(ب) أن يكتسب القـــدرة على الحساب كوسيلة ضرورية للتعامل فى المجتمع الذى يحيـا فيـه ٠

(جـ) أن يكون ملما بالمبادىء الأولية المتعلقة بظروف مجتمعه ومشاكله والتطورات التى تحدث فيــه ٠

(د) أن يكون مثقفا ثقافة دينية وخلقية يهتدى بها فى الحياة ٠

(هـ) أن يكون على وعى بجوانب حياته الخاصة والوظيفية ٠

(و) أن يكتسب القدرة على تنميـــة شخصيته ، وتذوق الفنون وأن يحسن استغلال وقت فراغه ، وأن يستمتع ويسعد بحياته ٠

ـ ما هو الدرر الذى نتصوره للاعلام فى محو الأمية ؟ ٠

يمكن أن نشير الى نقاط رئيسية ينبغى أن يقوم بها الاعلام فى هـــذا الصدد على النحو التالى :

١ ـ حملة اعلامية متناسقة للتعريف بالمشكلة وأبعادها وخطرها على التنمية ، وتجارب الأمم التى سبقتنا فى القضاء على الأمية ٠

٢ ـ حث المثقفين على الاشتراك والتطوع فى جوانب العمـل الوطنى لمحو الأمية كمدرسين أو اداريين أو غير ذلك ٠

٣ ـ حث الأميين على الالتحاق بفصول محو الأمية ، وذلك بحفـــز هممهم واعدادهم ذهنيا للتحمس لمحو الأمية ٠

٤ ـ اعداد برامج محو أمية فى وسائل الاعلام ذاتها أسوة بمشروع محو الأمية الوظيفى فى التليفزيون ، وتجربة صحيفة التعاون عام ١٩٧٢ ، وتجربة اذاعة الشعب وغير ذلك : ان هذه البرامج التى تقوم فيهـــا وسائل الاعلام بدور المعلم تتضمن أيضا مساعدة المعلمين الذين يقومون بمحو الأمية بالجهود الذاتية حيث تقدم لهم البرامج التى يستطيعون الاقتداء بها ٠

٥ ـ النفخ فى النار حتى لا تتحول الى رماد بمعنى متابعة جهود محو الأمية وتشجيع النماذج الايجابية ، والنقد والتقييم المستمر ٠

ان الأمثلة فى بحوث الاعلام والتنمية لا يمكن حصرها لأنهـا ترتبط بالواقع الاجتماعى ، وبقدرة الباحث والاعلامى على التفكير والتأمل والبحث. وكما يلتقط القصاص بذهنه المتوقد التماعة صغيرة من أشعة الحياة ليجعل منها قصة ، كذلك يستطيع رجل الاعلام أن يلتقط من الواقع الاجتماعى الذى يعيشه عشرات الموضوعات التى يمكنه أن يبنى حولها من المعلومات والافكار بالبحث والجهد والتتبع والتنقيب ما يشكل عمـلا اعلاميا ناجحا ورائعا . وقد تكون الفكرة عريضة حتى تكاد تشمل قطبى الأرض وشرقها وغربهـا ، مثال ذلك مناقشة فكرة تطوير اذاعة القرآن الكريم فى مصر لتصبح اذاعـة عالمية تشرح الاسلام بأهم اللغات العالمية للبشرية جمعاء . ان احصائية عام ١٩٧٦ تقول لنا أن متوسط الارسال اليومى لاذاعة القرآن الكريم ١٧ ساعة و ٦ دقائق . هل يمكن أن توجه الساعات الباقية من اليوم للعالم الخارجى ؟ هل يمكن أن تصبح لهذه الاذاعة أكثر من موجة قصيرة تغطى العمران فى الكرة الأرضية ؟ هل يمكن الاستفادة بموجات الاذاعات الاسلامية لتتوحد ساعة فى اليوم تبث جميعها برنامجا محددا من اذاعة القرآن الكريم ؟ كل هذه الأسئلة وغيرها يمكن أن تصبح موضوعا لبحوث الاعلام والتنمية . وفى مقابل هـذا الموضوع العريض قد تكون فـكرة صغيرة تتعلق بالتوحيد الزراعى فى حوض زراعى فى قرية . لقد ثبت أن صغار الفلاحين الجيران عندما يزرعون محصولا واحدا فان ذلك يزيد انتاجهم ويساعد على مقاومة الآفات الزراعية فى الحوض كله بتكاليف أقل وبأساليب أحدث كالرش بالطائرات . ولكن يحب الفـلاح أن يزرع أكثر من محصول فى مساحة أرضه الصغيرة ، الذرة لغذائه، والبرسيم لغذاء حيواناته والقطن ليبيع محصوله فى آخر العام . وهنا تطرح المشـكلة أمام رجل الاعلام عدة أسئلة : هل الفلاح يدرك أبعاد الفائدة التى يحصـل عليها من التوحيد الزراعى ؟ .

هل الهيئات العاملة فى الريف تعلم ذلك ؟ هل مراكز البحوث فى المجتمع تحاول حل هذه المشكلة ؟ كيف يمكن اقناع الفلاح ؟ كيف يمكن تنمية السوق المحلى لسد احتياجات الفلاح بغير عناء ؟ كل هـذه الأسئلة وغيرها يمكن أن تكون موضوعا آخر لبحوث الاعلام والتنمية .

وبطبيعة الحال ليست كل بحوث الاعـلام والتنمية تشـبه البحوث الأكاديمية المتعارف عليها ، ولكنها يمكن أن تكون أقرب الى دراسة الموضوع

أو جمع مادته بشيء من التعمق والتركيز أنها بصفة عامة دعوة الى التفكير والوعي الفردى والجماعى للقائمين بالعمل الاعلامى • ففى احصائية أجرتها الدكتورة منى الحديدى(٢٤) فى رسالتها لنيل درجة الدكتوراه عن المرأةو السينما تبين أن السينما المصرية خلال الفترة المختارة للبحث ١٩٦٢ - ١٩٧٢ قدمت حلولا لـ ١٩٧ مشكلة من مجموع القضايا والمشكلات المعروضة فى أفلام تلك الفترة بنسبة ٤٦٪ من جملة المشاكل فى حين أن السينما لم تقدم حلولا لـ ٢٣٢ قضية ومشكلة بنسبة ٥٤٪ من مجموع القضايا والمشكلات التى عرضتها أفلام البحث •

وقد يرى البعض أنه ليس من واجب الفن أو واجب السينما على وجه الخصوص أن تقدم حلولا للمشاكل التى تعرضها ، وبرغم امكان قبول ذلك الرأى الا أن الاحصائية تدل على المدى الواسع لعدم مساهمة السينما فى ترشيد سلوك مشاهديها ومحاولة البحث عن حلول للمشاكل المطروحة فى الواقع الاجتماعى.• ان التفكير والوعى الاجتماعى يمكن أن يجعل اسهام السينما أوسع فى التنمية وأكثر رشدا وفاعلية •

---

(٢٤) د• منى الحديدى - دراسة تحليلية لصورة المرأة المصرية فى الفيلم المصرى والآثار الاعلامية والاجتماعية المترتبة على ذلك رسالة دكتوراه - كلية الاعلام جامعة القاهرة عام ١٩٧٧ - ص ٢٩٦ •

الفصل السابع

استراتيجية عربية للتنمية

معنى الاستراتيجيـة :

ماذا تعنى كلمة استراتيجية ؟ لقد أصبحت هذه الكلمة دارجة ومتداولة ، ولم تعد كلمة أكاديمية فحسب أو متخصصة فحسب٠٠ ان كلمة استراتيجية تعبير مشتق من الكلمة اليونانية (ستراتيجوس) ومعناها فن قيادة القوات٠ والمفهوم البسيط الشائع لمعنى الاستراتيجية هو الهـــدف وأن التاكتيك هو الوسيلة لتحقيق الهدف ٠ ولم يعد مفهوم الاستراتيجية منصبا على الحــرب وحسب،وان كان هذا المفهوم لدى المفكرين العسكريين قد شغلهم كثيرا ومازال يشغلهم ، وأصبحوا ينظرون اليـــوم الى التعريفات القـــديمة التى ترى الاستراتيجية من زاوية عسكرية مجردة نظـــرة قصور ، لأنهم يقولون بأن الحرب الحديثة أصبحت شاملة لكل مظاهر الحياة البشرية ٠ وأنهـــا تحيط بمختلف جوانب النشاط الانسانى من اقتصاد وثقافة وسياسة وغير ذلك ٠ وكذلك يرى العـــديد من المفكرين العسكريين أن الاستراتيجية الشـاملة هى التعبير الملائم لطبيعة هذا العصر ٠ والواقع أن المفكرين العسكريين فى هـذا العصر على حـــق فى رؤيتهم للتعريفات السابقة بأنهـــا قاصرة ، وتجـرد الاستراتيجية المعاصرة من عديد من آفاقها الجديدة ٠ فالتعريف القائل مثــلا بأن الاستراتيجية هى اجراء الملاءمة العملية للوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد مع الهدف المطلوب ، هذا التعريف يحدد مسئولية القائد أمام دولتــه ضمن حدود استخدام الوسائل العسكرية لتحقيق أهداف السياسة العليـــا للحزب ٠ وفى هذا تصور كبير لمعنى الاستراتيجية المعاصر ٠ وثمـــة تعريف آخر « بأن الاستراتيجية هى فن توزيع وتنظيم واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة » وهذا التعريف يفترض امكانية تحقيــق الاستراتيجية لأهدافها بأخـذ مواقع والقيام بحركات تقلب توازن العـــدو المـادى والمعنوى ، بحيث يتم تحقيق هدف السياسة والنصر دون الاشتباك أو بمعركة غير دامية ٠ بمعنى أن الاستراتيجية تعتمد على نتائج تحـركات الجيـــوش ٠

ولقــد حاول بعض القادة والمفكرين العسكريين الخـــروج بتعريفاتهم

للاستراتيجية عن النطاق العسكرى المحدد بالقول بأن الاستراتيجية هى فن استخدام القوة للوصول الى أهداف السياسة وأن الاستراتيجية ومضة من ومضات العبقرية ، وأنها جدل وصراع الارادات المتقابلة التى تستعمل القوة فى فض ما ينشأ من نزاع ٠

وثمة تعريف للاستراتيجية(١) بأنها « مجموعة من الأفكار والمبادىء التى تتناول ميدانا من ميادين النشاط الانسانى بصورة شاملة متكاملة ، وتكون ذات دلالة على وسائل العمل ومتطلباته واتجاهات مساراته بقصد احداث تغييرات فيه وصولا الى أهداف محددة ، وما دامت معنية بالمستقبل فانها تأخذ بنظر الاعتبار احتمالات متعددة لأحداثه ، فتنطوى على قابلية للتعديل وفقا لمقتضياته ، وهى تقع وسطا بين السياسة والخطة » والاستراتيجية بهذه الدلالات من المفاهيم التى أصبحت تستعمل فى الدراسات بأساليب التخطيط والتدبير والتنظيم ٠

وقد ذهب بعض علماء الاجتماع الى تمييز أنماط أو أنواع من الاستراتيجيات التى تتصدى للتغيير الاجتماعى الشامل ، وخصوا بالذكر ثلاثة أنواع رئيسية منها :

١ ــ الاستراتيجية العقلانية:وهى تتناول المسائل المعنية فى مجالاتها على أسس فكرية محددة ، وتستند الى الدراسات العلمية ، وتفترض استعداد الناس المقصودين بها للاقتناع بمتطلباتها بحكم موضوعيتها واستنادها الى أصول التفكير المنطقى السليم ، ومثل هذه الاستراتيجية تعتمد على البحث العلمى وعلى توالى الكفايات العلمية لوضعها وللنهوض بمتطلباتها وقيادة حركة التغيير المنشود منها كما تعتمد على الأساليب الحديثة فى الادارة والتنظيم ٠

٢ ــ الاستراتيجية التوجيهية : وهى تعتمد على جذب اهتمام الناس المعنيين بها واستثارة بواعثهم وكسب ثقتهم وشحذ ارادتهم وتعديل مواقفهم واتجاهاتهم وعواطفهم تعديلا يدفع بهم الى القيام بالأعمال المطلوبة

---

(١) هذا التعريف اقترته لجنة وضع استراتيجية لتطوير التربية فى البلاد العربية (١٩٧٧) ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ٠

منهم عن طواعية واختيار • بينما لا تنكر ما لدى الانسان من ذكاء وعقلانية، فانهـــا تعول أكثر ما تعول على عواطفـــه واتجاهاته وتسعى الى تعـديلها وتنسيقها وفقا لمتطلباتها فهى تعنى بالدعوة والاقناع وكسب الثقة وتنميـة الروح المعنوية بين أتباعها ، ويترتب على ذلك تمكينهم من المشاركة فى اتخاذ القرارات بشأنها وتيسير اندماجهم فى عمليات وضعها والاعتماد على تعاونهم فى تطويرها والمساهمة فى الدراسات الميدانية الخاصة بها ، وتراعى خصائص الثقافات والاتجاهات والقيم الاجتماعية السائدة بين الناس فى مجالاتها •

٣ ـ الاستراتيجية السياسية الادارية : وهى تعتمد على القوة النابعة من السلطة السياسية أو الادارية ، وتفترض فى الناس المعنيين بها المطاوعة لمطالب السلطة واتجاهاتها ومتابعتهم للخطط والتوجيهات الصادرة عنهـا ، وهى على العموم ذات نمط سياسى وادارى وتعتمد على التشريعات الحكومية وما يترتب عليها من توجيهات وتعليمات •

وقد يكون لكل نوع من هذه الأنواع من الاستراتيجية مواضع ملائمة لتطبيقه دون غيره سواء من حيث طبيعة الأعمال التى يتناولها ، أو من حيث طبيعة النـــاس المقصودين منه ، ولكن حيثمـــا كانت المجالات التى يراد استحداث التغييرات فيها واســـعة ، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ، وتشمل الشعب والأمة فالأجدر أن تـــكون الاستراتيجية المعتمـدة توليفية وشاملة •

من ذلك كله نرى أن واجبنا عنـــد النظر الى مفهوم الاستراتيجية أن ننظر اليها بمفهومها الشامل وهو المفهوم المعاصر • وأن الاستراتيجية هى فن اختيار أفضل الخطط وأنسبها لتحقيق الأهداف المطلوبة •

وبذلك يمكن القول بأن **الاستراتيجية العربية للتنمية هى فن السيطرة على جميع موارد الأمة العربية وطاقاتها واستخدامها الاستخدام الأمثـل الى أقصى حد ممكن لصالح أبناء الأمة العربية •**

ويرى خبراء مجلس الوحدة الاقتصادية العربية أن هدف الاستراتيجية العربية للتنمية هو «جعل المنطقة العربية محصنة فى الوقت الحاضر ، بأقصى مايمكن من مقومات الأمن القومى الاجتماعى والاقتصادى وصالحة فى المستقبل

لعيشة شعبها بمستوى الرفاهية الذى تكفله ثرواتها ، ويقترب من مستوى الشعوب المتقدمة اقتصاديا ، ضمن منظور قومى عربى واطار حضارى متميز »

دوريات الاستطلاع :

ولقد شغلت مشكلة البحث عن استراتيجية عربية للتنمية هيئات ومنظمات عربية ، وكانت هذه الأعمال الرائدة أشبه بدوريات الاستطلاع . فقد دعت منظمة العمل العربية لندوة تحضيرية للاعداد لاستراتيجية عربية للتنمية عقدت بمقر مكتب العمل العربى فى القاهرة فى الفترة من ٨ الى ١١ من فبراير سنة ١٩٧٥ ، وضمت ممثلين عن الجهات التالية : من الهيئات العربية الرسمية :

الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ المنظمة العربية للتنمية الزراعية ـ منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول ـ المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ـ الأكاديمية العربية للنقل البحرى ـ مجلس الوحدة الاقتصادية ـ مركز التنمية الصناعية للدول العربية ـ منظمة العمل العربية . ومن الهيئات الدولية الرسمية : اللجنة الاقتصادية لغربى آسيا التابعة للامم المتحدة . كما اشتركت فى الندوة هيئات عربية غير رسمية هى : الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ـ ندوة الدراسات الانمائية (بيروت) بالاضافة الى عدد من الخبراء المختصين بشئون التنمية فى الوطن العربى .

وكانت أهم نتائج وتوصيات اللجنة المنبثقة عن ندوة منظمة العمل العربية كما يلى :

تدارست اللجنة خلال الاجتماع « ورقة العمل » التى أعدتها منظمة العمل العربية فضلا عن تقرير المدير العام لمكتب العمل العربى المقدم الى الدورة الثالثة لمؤتمر العمل العربى « الرباط / مارس ١٩٧٤ » المعنون «التنمية .. الأمل والتحدى» ووجدت اللجنة الآراء والأفكار القيمة الواردة بهما تعتبر نقطة الانطلاق وبداية طيبة من أجل اعداد استراتيجية عربية للتنمية الشاملة .

● أجمعت اللجنة على ضرورة اعداد استراتيجية عربية للتنمية

الشاملة ومتابعة الجهود المنظمـــة فى سبيل وضعها وتنفيذها انطـــلاقا من المعطيات الأساسية التالية :

(أ) أن السياسات والوسائل التخطيطية القطرية والقطاعية تحتــاج الى مراجعة بالنظر للتطور العلمى والتكنولوجى الهائل فى عالمنا المتغير وبالنظر لأن الدول العربية قد أصبحت مهيــأة فى الوقت الحاضر لأن تكون محورا من محاور الانماء الانسانى ٠

(ب) توافر المقومات الأساسية للتنمية فى البلاد العربية من حيث رأس المــال والموارد الطبيعية البشرية غير أن الملاحظ أن الدول العربية تنقصها حتى الآن السياسات والخطط المنسقة والمتكاملة المادية والبشرية بمــا يتفق والمصلحة العربية المشتركة ٠

(جـ) ان المنطقة العربية تواجه تحديات مختلفة على الصعيدين القومى والدولى وتملك فى نفس الوقت القدرات والامكانيات التى تمكنها من مواجهة هـــذه التحديات اذا ما تم تنسيق وتعبئة الموارد والامكانيات المتــاحة على النحو الأمثـــل ٠

(د) ان النجاح فى وضع وتنفيذ استراتيجية عربية للتنمية الشاملة يعد تجسيدا عمليا لآمال وتطلعات الشعب العربى فى الوحدة ٠

(هـ) الانتقــال من التنظــير الى التطبيق ومن التخطيطات القطـرية القطاعية الى التخطيطات العربية التنموية المتكاملة ٠

● رأت اللجنة أن مشروع الاستراتيجية العربية للتنمية الشاملة يجب أن يعالج الجوانب التالية بصفة أساسية :

(أ) تنمية الموارد البشرية ٠
(ب) التنمية الصناعية ٠
(جـ) التنمية الزراعية ٠
(د) تنمية الهياكل الأساسية ٠
(هـ) تنمية التجارة والخدمات ٠
(و) التنمية الادارية ٠
(ز) تهيئة فرص أوسع للاستخدام ٠

(ح) التقدم الفنى والعملى والتكنولوجى ٠
(ط) استخدام رؤوس الأموال العربية فى المنطقة العربية ٠
(ى) العـدالة الاجتماعية ٠

وأكدت أن الأهداف والمبادىء الأساسية للاستراتيجية المنشودة :

١ ـ التحرر من مظاهر التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى المنطقـــة العربية بمـــا يحقق تنمية وتطوير المستوى المـادى والاجتماعى والفـــكرى للانسان العـربى ٠

٢ ـ تأكيد السيادة العـربية على الثروات والموارد المتوفرة فى الوطن العربى وضمان تأمينها والحفاظ عليهـــا ٠

٣ ـ تحـــرير الوطن العـــربى من النفـوذ والسيطرة الســـياسية والاقتصادية الأجنبيـــة ٠

٤ ـ تحســـين وتنسيق الاستفادة العـربية من الموارد والامكانيات العربيـــة ٠

أما المبادىء التى رأتها اللجنة فانها تشمل :

١ ـ أن تقوم الاستراتيجية المنشودة على مبـــدأ تكاملية الانمـــاء العـــــربى ٠

٢ ـ أن تحقق الاستراتيجية المنشودة الانتقال بالعمل العربى المشترك من مرحلة التمنيات والتوصيات والقـرارات الى مرحلة تعـاقدية تقوم على الالـــتزام ٠

٣ ـ أن تنبع الاستراتيجية المنشودة من واقع وظروف العالم العربى وحاجاته الحالية وتطلعاته المستقبلية ، مع تحقيق المعاصرة الايجابية ٠

٤ ـ أن تكون هذه الاستراتيجية بعيـدة المـدى ٠

٥ ـ أن تتسم الاستراتيجية بالحركة بحيث تتواءم مع ما يستجد من تطورات وتغـــيرات ٠

٦ ـ أن تتيح الاستراتيجية لصانعى القـــرار السياسى فى الـوطن العـــربى امكانية اختيار الحلول المناسبة بمـــا يضمن المصلحة القطـــرية والعـــربية ٠

٧ ـ مراعاة الأخذ فى الاستراتيجية بمبدأ سلم الأولويات ٠

أما التوصيات فكانت كما يلى :

١ ـ لما كان اعداد تصور عن الاستراتيجية العربية للتنمية الشاملة يتطلب القيام بأعمال تحضيرية ومتابعة فانه يقترح :

(أ) استمرار اللجنة التحضيرية للاعداد لاستراتيجية عربية للتنمية الشاملة فى عملها على أن ينبثق عنها لجنة عمل فرعية تمثل فيها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والمنظمات العربية لتنسيق جهودها فى مجال اختصاصها ولها أن تستعين بالخبرات العربية وغير العربية التى تقتضى الحاجة اليها٠

(ب) أن تقوم اللجنة الفرعية المشار اليها فى الفقرة (١) باعداد الاستراتيجية المنشودة على ضوء المسوح الميدانية التى تجرى للتعرف على امكانيات واحتياجات البلاد العربية فى مجالات التنمية المختلفة والخطط النوعية التى تقوم باعدادها المنظمات العربية ٠

(جـ) التوصية بدعوة وزراء التخطيط لعقد مؤتمر خاص لبحث مشروع الاستراتيجية الذى تعده اللجنة الفرعية المشار اليها أعلاه توطئة لعرض هذا المشروع على مؤتمر القمة العربى لمناقشته واقراره ٠

(د) دعوة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والمنظمات العربية والحكومات العربية الى توفير التسهيلات الفنية والمادية اللازمة لانجاز المهام المشار اليها آنفا فى أقرب وقت ٠

٢ ـ التوصية لدى الحكومات العربية بالعمل على انشاء مجلس أعلى للتنمية العربية على أن يمنح هذا المجلس سلطة تنفيذية من قبل مؤتمر القمة العربى ٠

كما عقدت فى النصف الثانى من مارس ١٩٧٥ اجتماع للمجلس المركزى لاتحاد عمال التجارة والبنوك العرب فى القاهرة وأصدر قراراته بالاعداد لمؤتمر يعقد فى احدى العواصم العربية لبحث الاستثمارات والارصدة العربية فى الخارج للتحرير والتنمية فى الوطن العربى ، ويناقش المؤتمر دور التجارة والبنوك العربية فى هذا المجال ، ويحدد الأسس التى سيتم على ضوئها

استكمال تحرير الاقتصاد العربى واتفاقيات التجارة من الارتباطات غير المتكافئة ، وضرورة الاسراع باستخدام المال العربى فى مجالات التنمية ٠

وقد أسهم كتاب ومفكرون وصحفيون فى التنبيه الى أهمية وضرورة الاسراع بوضع استراتيجية عربية للتنمية ٠

التجارب التاريخية :

والحديث المعاصر على أبواب الربع الأخير من القرن العشرين حول استراتيجية عربية للتنمية لا ينبع من ظروف طارئة ، وانما يعتمد على تجارب تاريخية قريبة العهد ٠ وحتى اذا عبرنا الظروف التى كانت فيها المنطقة العربية منطقة واحدة وبدأنا الحديث من العصر الذى تم فيه تمزيق الوطن العربى فاننا نجد أن أشكالا عدة من التعاون الاقتصادى والثقافى قدر لبعضها النجاح وأخفق البعض الآخر ٠

لقد برزت أفكار الوحدة العربية فى طورها الحديث فى أعقاب الحرب العالمية الأولى كتعبير سياسى للاستقلال ٠ وبعد الحرب العالمية الثانية برز المضمون الاقتصادى الى جانب النضال السياسى لنيل الاستقلال ٠

وعندما وقع ميثاق الجامعة العربية فى ١٩٤٥ لم يكن يحوى من النصوص ما قد يكتسب الصفة الاقتصادية الا ما جاء فى الديباجة من توطيد الروابط وتوجيهها الى ما فيه خير الأمة العربية قاطبة،وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها ، والا ما جاء فى بعض نصوصه من أن من أغراض الجامعة تعاون الدول الاطراف تعاونا وثيقا بحسب نظم كل دولة وأحوالها فى الشئون المنصوص عليها وأهمها الشئون الاقتصادية والمالية ويدخل ضمن ذلك التبادل التجارى والجمارك والعمالة وأمور الزراعة والصناعة وشئون النقل والمواصلات والثقافة ٠٠ الخ ٠ وكان مجلس الجامعة بمثابة جهاز فنى لتحضير مشروعات التعاون الاقتصادى دون أن يكون له دور تخطيطى أو تنفيذى على الاطلاق ٠ كما كانت الاتفاقيات ذات صفة جماعية ، ان أجمع عليها الجميع كان التنفيذ ، وان وافقت عليها أكثرية صارت كل دولة فى حل من التنفيذ الا ما تراه متلائما ومتمشيا مع نظمها وأحوالها ٠

وكان قيام دولة اسرائيل دافعا الى اقتراب أكثر بين الدول العربية

دعاها الى عقد معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى فى ابـــريل عام ١٩٥٠ · ومع أن المعاهدة كانت دفاعية وسياسية فى الاساس الا أن المضمون الاقتصادى بدأ يشكل بالفعل ضمن العمل العربى المشترك فقد نصت تـــلك المعاهدة على أن تتعاون الدول المتعاقدة على النهوض باقتصاديات بلادها ، واستثمار مرافقها الطبيعية ، وتسهيل تبادل منتجاتها الوطنية والزراعيـــة والصناعية ، كمـــا نصت على أن ينشأ مجلس اقتصادى من وزراء الـــدول المتعاقدة المختصين بالشئون الاقتصادية لكى يقترح ما يراه كفيلا بتحقيـق أغراض الرفاهية والطمأنينة للعـرب ·

وكانت حصيلة أعمال المجلس الاقتصاى حتى منتصف الستينات عقد عدد من الاتفاقيات الجماعية فى مجالات التبادل التجارى ، وتنظيم الترانزيت وتسهيل المدفوعات والمعاملات الجارية وانتقال رؤوس الأموال ، والتعـريفة الجمركية ، وانشاء عدد من الاتحادات النوعية للاذاعات والمواصلات السلكية واللاسلكية والبريد والطـــرود · وامتداد التعاون الى تنسيق السياســـة التنظيمية ــ اثر الدعوة لتكوين الأوبك ــ واستخدام الطاقة الذرية ، وحـرية الطيران المدنى ·

وأدى تطور أشكال التعاون فى تلك الفترة الى ايجاد عدد من المنظمـات تمثل بيوتا للخبرة(٢) هى المنظمة العربية للعلوم الادارية ، والتربية والثقافة والعلوم والعمل ، والمواصفات والمقاييس · كما أنشئت مجموعة من الشركات والمؤسسات مثل شركة البوتاس العربية والمؤسسة المـالية العربية للانمـاء الاقتصادى ، ومؤسسة الخطوط الجوية العربية العمالية ، والشركات العربية لناقلات البترول ، والشركة العربية للملاحة البحرية ·

وكان العائق الأول أمام الاتجاه نحو التكامل الاقتصادى العـــربى هو صدور القرارات التى لا تجد طريقها للتنفيذ · لقـــد أقر المجلس الاقتصادى اتفاقية الوحدة العربية عام ١٩٥٧ ولكنها لم تدخل حيز التنفيـذ قبل عــام ١٩٦٤ بخمس دول فقط زادت الى سبع ثم وصلت عام ١٩٧٧ الى أربعة عشر

---

(٢) د· عبد العال الصكبان ــ الوحدة الاقتصادية بين التعاون والتكامل ــ الاطـــار النظرى والتطبيق ــ ١٩٧٧/٤/٣ ــ مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ·

دولة ٠ فى عام ١٩٦٤ بدأت اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية كاطار لتحقيق التكامل الاقتصادى بين الدول الاعضاء ٠ وفى عام ١٩٦٤ أيضا أنشىء مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ، وهو الهيئة الدائمة المنوط بها تنفيذ أهـــداف اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية ٠ ويتكون المجلس من وزراء الاقتصـــاد أو التجارة أو المـالية فى الدول الاعضاء باعتبارهم الممثلين الدائمـــين لدولهم لدى المجلس ولهم نواب هم وكلاء الوزرات فى دولهم ٠

ويعـــاون المجلس فى أعماله الأمانة العـــامة للمجلس ، وهى الجهاز التنفيذى الرئيسى للمجلس ، وعـــدد من اللجان الدائمة والفرعية ٠ ويؤلف المجلس والأجهزة المرتبطة به وحدة تتمتع باستقلال مالى وادارى وشخصـــية اعتبـــارية ٠

وعضوية مجلس الوحدة الاقتصادية العربية تـــكون عضوية المجلس للدول العربية الأعضاء فى جامعة الدول العربية وغير الأعضاء ٠

ولقد بدأ المجلس أعماله ولم يكن عدد الدول الأعضاء فيه يتجاوز خمس دول هى : المملكة الأردنيـــة الهاشمية ، الجمهورية العـــربية السوريـــة ، الجمهورية العراقية ، دولة الكويت ، وجمهورية مصر العـــربية ٠ ثم ما لبث هذا العدد أن ارتفع حتى أصبح عدد الدول الأعضاء فى المجلس ثلاث عشرة دولة فى نهاية عام ١٩٧٥ ٠

أما اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية فانها تهدف الى أن تكفل للدول العربية ورعاياها على قدم المساواة الحريات والحقوق الآتية :

- حرية انتقال الأشخاص ورؤوس الأموال ٠
- حرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية والأجنبية ٠
- حرية الاقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادى ٠
- حرية النقل والترانزيت واستعمال وسائل النقل والموانىء والمطارات المدنيـــــة ٠
- حقوق التملك والايصاء والارث ٠

ولتحقيق هذه الأهداف نصت الاتفاقية على أن تعمل الأطراف المتعاقدة على ما يـــلى :

ـ جعل بلادها منطقة جمركية واحدة تخضع لادارة موحدة وتوحيـــد التعريفة والتشريع والأنظمة الجمركية المطبقة فى كل منها ٠

ـ توحيد سياسة الاستيراد والتصدير والأنظمة المتعلقة بها ٠

ـ توحيد أنظمة النقل والترانزيت ٠

ـ عقد الاتفاقات التجارية واتفاقات المدفوعات مع البلدان الأخـــرى بصورة مشتركة ٠

تنسيق السياسة المتعلقـــة بالزراعة والصناعة والتجارة الداخليـــة وتوحيد التشريع الاقتصادى بشكل يكفل لمن يعمل من رعايا البلاد المتعاقدة فى الزراعة والصناعة والمهن شروطا متكافئة ٠

ـ تنسيق تشريع العمل والضمان الاجتماعى ٠

ـ تنسيق السياسات المـــالية والنقدية والأنظمة المتعلقة بها فى بلدان الأطراف المتعاقدة تمهيدا لتوحيد النقد بهـــا ٠

ـ توحيد أساليب التصنيف والتبويب الاحصائية ٠

ـ اتخاذ أية اجراءات أخرى تلزم لتحقيق الأهداف المبينة آنفا ٠

كما نصت اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية فى مادتها الثانية على أنه يمكن التجاوز عن مبدأ التوحيد فى حالات وأقطار خاصة بموافقة مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ٠

وفى مقابل ذلك نصت فى مادتها الخامسة عشرة على أنه يجوز لبلدين أو أكثر من بلدان الأطراف المتعاقدة عقد اتفاقات اقتصادية تستهدف وحـــدة أوسع مدى من هذه الاتفاقية ٠

كذلك فان القرار رقم ١٧ الصادر عن الدورة الثانية لمجلس الوحـــدة الاقتصادية بتـــاريخ ١٩٦٤/٨/١٣ ، والقاضى بانشاء السوق العـربية المشتركة ، والذى بدىء تنفيذه فى ١٩٦٥/١/١ ٠ يعـد من أهم القرارات التى

أصدرها المجلس فى بـــدء نشاطه وأبعدها تأثيرا فى العـــلاقات الاقتصادية والتجارية بين الدول الأعضاء ٠ اذ أن هذا القرار هو التجسيد العملى لتحقيق أحـــد أهداف الاتفاقية ، وهو حرية تبـــادل البضائع والمنتجات الوطنية والأجنبية وفى مراحـــل متدرجة ، بدءا بالغاء الرسوم الجمـركية والرسوم والضرائب الأخرى والقيود الادارية ٠ وليس للسوق جهاز مستقل أو كيـــان ذاتى متميز عن المجلس ، بل ان المجلس هو الذى يشرف على تنفيذ أحـكام السوق ، كاشرافه على تنفيذ أى قرار أو أية اتفاقية تنبثق عنه ٠

ولقـد خلص خبراء التخطيط فى مجلس الوحـــدة الاقتصادية العربية من استعراض النظرة التاريخية والاطار الفكرى لمحاولات التكامل الاقتصادى العربى الى عدة منطلقات يمكن أن يرتكن اليها واضعو الاستراتيجية العربية للتنمية والتى يمكن تصويرها فى النقاط الرئيسية الآتية :

ـ ان الوحدة الشاملة هى الهـــدف النهائى الذى يمثل أمل الجماهير العربية ، عاشته تاريخيا فى القديم ، وتطلعت اليه منذ بداية القرن العشرين وتحت الشعور بالاستغلال والضغط الاستعمارى ٠

ـ ان الوحـدة يتأكد تطورها مع الأحـــداث بحيث لا يشوبها مفهوم عاطفى أو عرقى بـــل تكتسب مضمونا اقتصاديا وسياســـيا واجتماعيا ، بالتحرر من الاستعمار وبنـــاء المجتمع المتلائم مع مستوى العصر ٠

ـ ان الوحـــدة بسبب تزايد هـذا المفهوم تقف أمامها عقبات عربية وعالمية ، سياسية وعسكرية ، اقتصادية واجتماعية بحيث تجعـــل ميزان القوى حولها يميـــل فى صالح المعوقات ، وان كان لا ينفى وجود الدوافع على ضعفها النسبى فى الميدان ٠

ـ انه قد كان التعاون العربى محاولة لبـــديل عن الوحدة فى وقت ما ولكنه لم يستطع الصمود أمام التحديات ٠

ـ ان الضغط من أجل الوحدة تزايد تحت عوامل سياسية فى وقت ما بحيث انتقل بالعمل العربى الى عتبات التكامل بدلا من التعاون ٠

ـ ان الاتجاه نحو التكامل ظل يتصاعد عبر عقد كامل من الزمان بحيث اتسع الايمان به كضرورة ٠

ـ وان اطاره الفكرى قد تبلور بحيث صار ذا مغزى اقتصادى متكامل وذا أبعاد اجتماعية وعسكرية ودولية ٠

ـ وانه صار مسلما بأنه الحلقة الرئيسية فى اتجاه الوحدة ، والذى اذا تحققت صار ممكنا صياغة وتنفيذ باقى الحلقات ٠

ـ ولكن التكامل ذاته ـ وهو هدف أدنى درجة أو درجات من الوحدة ـ تقف أمامه كذلك عوامل عربية وعالمية ، سياسية وعسكرية ، اقتصادية واجتماعية ٠

ـ ومع ذلك فضغط قوى الوحدة التى قبلت بالنزول جزئيا الى التكامل، والتحديات التى تتزايد كل يوم لا تجعل ميزان القوى بين الايجابيات والمعوقات بنفس درجة الميل فى حالة الوحدة بل أقل منها ، ويدل استقراء التطور العربى والعالمى أن الفارق بين الميل فى الحالتين سيزداد ٠

ـ وكما كان التكامل حلقة رئيسية تؤدى الى الوحدة يصبح ضروريا البحث عن حلقة أو حلقات رئيسية تؤدى الى التكامل ، مع نضج الظروف لتحققه ٠

وأعتقد أن التنمية هى أساس التكامل والوحدة الاقتصادية لأن التكامل والوحدة الاقتصادية لا يتم بغير حركة ديناميكية ٠ هذه الحركة تتمثل فى التنمية ٠٠ اننى أرى أن التكامل الاقتصادى العربى والوحدة الاقتصادية العربية لا يمكن أن يتم بغير حركة للأمام تشبه التقاء الروافد فى مجرى النهر العظيم عند نقطة متقدمة من جريان هذه الروافد جميعا ٠ أما الماء الآسن والراكد فسواء كان بركا منفصلة أو بركة واسعة كبيرة لا ينتج غير مشاكل الماء الآسن ومشاكل البرك ٠

وسواء كان التكتل فرعيا أو رئيسيا بمعنى أنه سواء كان التكتل يشمل جميع البلدان العربية أو يشمل عددا منها مثل المغرب العربى أو مصر والسودان أو سورية والعراق وهكذا ٠٠ فانه خطوة الى الأمام ٠ ان الشرط الوحيد للتكتل الصحيح ألا يكون تشرذما بمعنى أن السؤال المطروح دائما أمام التكتلات الفرعية هو هل سيؤدى ذلك الى نوع من الاستقطاب ويعوق التكتل الرئيسى أم أنه يعد خطوة متقدمة نحو التكتل الرئيسى الذى يضم العرب

جميعا • وفى رأيى أن أى خطوة عربية بغير هدف التشرذم لابد وأن تقود الى خطوة أخرى متقدمة نحو التكامل والوحدة •

والى جانب الجهود المبذولة فى المجال الاقتصادى ، تقف جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عملاقة فى وضع استراتيجية عربية لتطوير التربية وفى شتى مجالات الثقافة والعلوم • ولعل ميثاق الوحدة الثقافية العربية (الملحق ٣ من هذا الفصل) يلقى لنا ضوءا باهرا لتصور الجانب الثقافى فى الاستراتيجية العربية للتنمية الشاملة •

العرب وفرص التنمية :

من الواضح تماما أن العرب قطعوا أشواطا فى طريق التبادل والتعاون والتكامل الاقتصادى والثقافى خلال ثلاثين عاما منذ انشاء الجامعة العربية التى أصبحت بدورها منظمة(٣) تستطيع لو نفخت فيها روح التوثب وأزيلت من أروقتها الحساسيات ولم تقم السدود والحواجز أمام تنفيذ قراراتها •• تستطيع أنتؤدى دورا رائدا فىمجال الاستراتيجية العزبية للتنمية الشاملة•

ومن الواضح أيضا أن العرب الذين يسمونهم القوة السادسة فى العالم بعد أكتوبر ١٩٧٣ ليسوا فى آخر قائمة التخلف •• وأن هذا الكيان البشرى الذى يمثل ٥٪ من مجموع سكان البلدان النامية يملك أكبر فرص التقدم وكسر حاجز التخلف فى العالم الثالث ، لماذا ؟ للأسباب الآتية :

---

(٣) تضم الجامعة العربية منظمات ومجالس ومكاتب ولجان عديدة اهمها : منظمة العمل العربية ــ مجلس الوحدة الاقتصادية ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ مجلس الطيران المدنى للدول العربية ــ المنظمة العربية للتنمية الزراعية ــ المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ــ المنظمة العربية للعلوم الادارية ــ المنظمة الدولية العربية للدفاع الاجتماعى ضد الجريمة ــ الاتحاد العربى للمواصلات السلكية واللاسلكية ــ الاتحاد البريدى العربى ــ اتحاد اذاعات الدول العربية ــ معهد البحوث والدراسات العربية ــ مركز التنمية الصناعية ــ المركز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار •

والى جانب المنظمات التابعة للجامعة العربية تبرز منظمات شعبية ومهنية للعرب مثل اتحاد الصحفيين العرب والاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب واتحاد الاطباء العرب واتحاد الصيادلة العرب واتحاد المهندسين وغير ذلك •

كما أن الاتحادات النوعية العربية تشمل الصناعات الغذائية ــ الورقية ــ التامين ــ غرف التجارة والصناعة والزراعة ــ الحديد والصلب ــ المصارف ــ الاسمدة الكيماوية ــ الصناعات الهندسية ــ الاسماك ــ الصناعات النسجية •

١ ـ الوضع الجغرافى : ان النظـــرة المتفحصة لموقع ومناخ وثروات الوطن العربى تجعل الانسان مذهولا أمام واقع الثراء الجغرافى بكل أبعـاده وواقع التخلف الذى يعيشه أبناء هذه الوحدة الجغرافية من الكرة الأرضية ٠ ولعل عنصرا واحدا ـ غير البترول ـ من عناصر الثراء الجغرافى العربى يضرب لنا مثـــلا صارخا لذلك ٠ ان مســـاحة الأرض المنزرعة فى السودان حوالى ٦ مليون فدان أما مساحة الأراضى الصالحة للزراعة وتنتظر رأس المــال العربى والأيدى العاملة العربية فهى ١٢٠ مليون فدان ، والأراضى الصالحة للرعى تبلغ ٨٠ مليون فدان ٠٠ !

٢ ـ الطاقة البشرية : وأهمها فى نظرى ايجابيات الشخصية العربية القادرة على التقدم والتطور ، والقادرة على التفاعل مع العالم ٠ انها ليست الشخصية المنغلقة أو الشخصية المعتنقة لأفكار الجنس الأسمى ٠ ان الطاقة البشرية العربية التى أدارت قنـــاة السويس عقب التأميم فى ظـــل ظروف استعمارية معوقة ومعادية ، والتى أدارت عمليـــات استخراج البترول عقب تأميم بعض شركاته فى بعض الأوطان العربية بمهارة وكفاءة أكبر من خـبراء الشركات الاحتكارية ٠ هذه الطاقة البشرية العربية المكبلة والمهاجرة والمترددة تستطيع يوم تزال من أمامها الحواجز ، وتوضع موضع المسئولية أن تقود التقدم وتصنع المعجزات ٠

٣ ـ الثروة ٠٠ وقد يتبادر الى الذهن أن فوائض الأموال العـــربية الهائمـــة على وجهها فى بنوك أوربا وأمريكا هى كل مفهوم الثروة ٠ ولـــكن الحقيقة أنها جزء من الثروة الوفيرة للوطن العربى ، وهى جزء حيوى لأنـــه يستطيع أن يعجل بدوران العجلة ، وأن يتخطى حواجز التمويل ٠

٤ ـ الوضع الحضارى المعاصر الذى هو امتداد لحضارات قديمـــة وعريقة ٠٠ ولو بحثنـــا فى الجوانب المعنوية للعرب حاليا ـ وليس تاريخيا فقط ـ لوجدناهم على درجة كبيرة من البناء المعنوى الذى يمكنهم من احراز التقدم ، ولوجدناهم فى طليعة العالم الثالث من هذه الزاوية ٠

ضرورة وحتميـــة الاستراتيجية العربية للتنمية :

هـــل الاستراتيجية العربية للتنمية ضرورة ؟ أم هـــل هى حتميـــة ؟ ولمـــــاذا ؟ ٠

ان الاستراتيجية العربية للتنمية الشاملة ضرورة لاحراز التقدم وكسر طوق التخلف ، فبغير هذه الاستراتيجية تستطيع كل دولة على حدة أن تنمى نفسها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ـ كما يحدث الآن ـ ولكن محصلة كل ذلك هو أن تصبح البلدان العربية حلقات متفرقة منها القوى ومنها الأقل قوة ومنها الضعيف ولكنها على أية حال حلقات منفصلة ٠

وفى ظل التكتلات العالمية من الدول الرأسمالية الغنية المتقدمة ، والدول الشيوعية المتقدمة ، وحتى الصين التى انفصلت عن الفلك السوفيتى تمثل بمفردها كتلة بشرية واقتصادية وجغرافية هائلة ، فى ظل هذه الكيانات العملاقة لا أمل للأقزام فى احراز تنمية هائلة ٠٠ ومهما قويت عضلات القزم ، أى مهما اشتدت الحلقة فان السلسلة شيء مختلف فى عالم التنمية ٠ من أجل ذلك تتضح حتمية الاستراتيجية العربية للتنمية كطريق فرضه الواقع العالمى المعاصر ، وفرضته ظروف العرب وامكانياتهم المعاصرة ٠ والكيانات الكبيرة العملاقة تتكاتف بشتى الطرق ليشد بعضها بعضا ٠ ويصل مدى التكاتف بينها الى ما هو أبعد من السوق المشتركة أو الانتاج المشترك ، فيبدو أحيانا وكأنه من الأمور التلقائية لمواجهة مشكلة حلقة فى السلسلة أو اقالتها من عثرة اعترضتها ٠ انه نوع من العلاقات شبه الخفية بين الدول الغنية ٠ لقد مر الاسترلينى مثلا بفترات عصيبة منذ مارس ١٩٧٦ عندما هبط سعره الى أقل من دولارين ثم توالى فى الهبوط حتى وصل الى ١ر٥٥٥ دولار فى أكتوبر من نفس العام ٠ واضطرت الحكومة البريطانية الى اتخاذ اجراءات نقدية شديدة فرفعت سعر الخصم من ١١ ونصف فى المائة الى ١٥ فى المائة ٠ وحصلت على قرض من صندوق النقد الدولى يبلغ ٣ر٩ بليون دولار ٠ وفاوضت الحكومة البريطانية الدول العشر الغنية للحصول على تسهيلات من البنوك المركزية فيها بلغت ٣ر٥ بليون دولار ٠ وفى نوفمبر من نفس العام بدأ التحسن وفى مطلع عام ١٩٧٧ أصبح الاسترلينى ١ر٧ دولار، ثم قفز الى ١ر٨٤ دولار فى أكتوبر ١٩٧٧ ، وذلك بتكاتف جهود الدول الغنية والبنك الدولى مع أصحاب المشكلة ٠

اننا كعرب فى حاجة الى اعادة قراءة قصة الحطاب الذى جمع أولاده ، وحفز كل واحد منهم أن يكسر حزمة الحطب ، فلم يفلح واحد منهم فى كسرها ٠

ثم فك الحزمة فاستطاع كل منهم أن يكسر عود الحطب المنفرد ٠ لا شــك أن الحزمة تختلف كما عن العــود المنفرد ومن ثم فهى تختلف نوعا ٠ وهــذا هو الذى يجعل الاستراتيجيةالعربية للتنمية ضرورة وحتمية ان أردنا أن نحرز التقدم الحقيقى والباهر والمــأمول ٠

عناصر النجــــاح ومعوقاته :

ان أقوى ما تملكه الأمة العربية ، بل وأكبر وأقيم ما تملكه هو وحــدة ثقافتها ٠ وهذا هو أقوى عناصر نجاح الاستراتيجية العربية للتنمية ٠ أمــا أخطر معوقات هذه الاستراتيجية فهو عدم النضج السياسى المتمثل فى بعض الحكام ٠ ومن ثم نجد وحدة الثقافة العربية هى عامل المــد ونجد السياسة عامل الجذر ٠ وفى المساحة المشتركة بين عاملى المــد والجذر يمكننا أن نصنف عناصر النجاح ونبين كيف يمكن دعمها وتقويتها ، وأن نصنف المعوقات وأن نبحث سبل ازالتها أو تقليصها أو تخفيف أثرها ٠ وسنجد أن عوامل الجذر عالقة فى عوامل المــد أحياناً ٠ كما نجدها تقف خارجها متربصة بها فى أحيان أخرى ، أو تلتف حولها مطوقة كالشرنقة ٠

وقبل أن نعرض للعناصر التقليدية للتنمية والمتمثلة فى الانسان والمــال والثروة الطبيعية ينبغى أن نشير الى حقيقة تاريخية مذهلة هى : أن ما توفر للعرب فى هذا الربع الأخير من القرن العشرين من عناصر التنمية لم يتوفــر لبشر من قبلهم ٠ ان ظروف العرب الآن فى احراز التنمية الشاملة أقوى كثيرا من ظروف البلدان الرأسمالية المتقدمة التى صنعت تنميتها خلال قرون وكانت لها مستعمرات لا تغيب عنها الشمس ٠ وكذلك تتفوق الامكانيات العربيــة الآن عن الامكانيات التى بدأ بها الاتحاد السوفيتى تنميته بعد ثورة ١٩١٧ .. أو اليابان بعــد الحــرب العالمية الثانية ٠

الانســــــان :

يمثل العرب ٤٪ من سكان العالم و٥٪ من العالم الثالث ٠ وهم يزيدون قليلا عن ١٥٠ مليون نسمة ٠ ومن هذا الرقم يصبح التجمع البشرى العــربى خامس تجمع فى العالم اذ تحتل الصين (٨٠٠ مليون) المركز الأول ، ثم تليها الهند (٦٠٠ مليون) ٠ ويحتل الإتحاد السوفيتى (٢٥٠ مليون) المركز الثالث

ثم تحتل الولايات المتحدة الأمريكية (٢١٥ مليون) المركز الرابع ٠

وبرغم أنه لا توجد احصائيات دقيقة لعدد العرب المهاجرين خارج الوطن العربى فاننى أعتقد أنهم فى حدود ثلاثة ملايين٠٠مابين عمال وخبراء وعلماء ٠

واقبال العرب على التعليم ظـــاهرة اجتماعية بارزة فى كافة الأقاليم العربية ٠ ومقدرة الانسان العربى على استيعاب تكنولوجيا العصر تؤكدها مواقفه اللامعة فى الحرب والسلم ــ وان قلت ــ الا أنها نموذج يؤكد صلاحية قـدراته الحضـارية ٠

ان هذا التجمع البشرى يتحدث لغة واحدة وينتمى الى أصل واحـد ، ويدين فى معظمه بدين واحد ، ويندمج مع الأقلية الدينية اندماجـا عاطفيـا ووطنيا وقوميا لا يقل عن اندماجه بأبناء دينه فى الأغلب الأعم ٠٠ وهذا التجمع البشرى بحكم وحدة الثقافة توحدت مشاعره بل ومعظم جوانب سلوكه ٠

هذا الانسان العربى قادر على احراز التنمية لو حصـل على العـــدل الاجتماعى وأتيحت له الديمقراطية الحقيقية ، ولو تخلص من رواسب عصور الضعف وأولها غيبة المرأة عن ساحة العمل فيما يلائمها من أعمال وانتاج ٠ وهكذا نجد أن العامل السياسى ــ بجانبيه الحـرية الاجتماعية والحـــرية السياسية ــ يمثل معوقا للتنمية اذا قيد الانسان صانع التنمية ٠

المـــــــال :

نقصد بالمـال بصفة خاصة الفوائض البترولية العربية المودعة فى بنوك أوربا وأمريكا ، لأنها تفوق قدرة أصحابها على الانفـــاق وعلى الاستثمار فى أقـــاليمهم ٠

لقـد قدرت ايرادات دول الأوبك من البترول فى عام ١٩٧٥ بأكثر من ٩٤ ألف مليون دولار كانت على الوجه التالى :

السعـودية : ٠٠٠ر٠٠٠ر٧٠٠ر٢٤ دولار ٠
ايـــــران : ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١٩ دولار ٠
العـــــراق : ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٥٠ر٨ دولار ٠
فنــــزويلا : ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠٠ر٦ دولار ٠

الـــكويت : ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠٠ر٦ دولار ٠
نيجـــيريا : ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ر٦ دولار ٠
الامـــارات : ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٥٠ر٦ دولار ٠
ليبيـــــا : ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠٠ر٥ دولار ٠
اندونيسيا : ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٥٠ر٣ دولار ٠
الجـــزائر : ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠٠ر٣ دولار ٠
قطـــــــر : ٠٠٠ر٠٠٠ر٥٥٠ر١ دولار ٠
جـــابون : ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠٠ دولار ٠
أكـــوادور : ٠٠٠ر٠٠٠ر٧٥٠ دولار٠
المجمـــوع : ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٥٠ر٩٤ دولار ٠

وهذه الأرقام التى تصور لنا حجم الفوائض العربية التى بدأت تقفـز بعد أكتوبر ١٩٧٣(٤) محققة السعر العادل للبترول من جانب ، وفاتحة نافذة واسعة لآمال التقدم فى بلدانها من جانب آخر ٠

ولقد صاحب تراكم الموارد المـالية العربية الكثير من الضجيج الاعلامى المتعمد ٠ وقدمت وسائل اعلام الاستعمار الجـديد صـورة سـادها التهويل لفوئض الدول العربية البترولية لتوهم بضرورة تحويلها الى الغرب الغنى القادر على استيعابها ودفع أرباح عالية على ودائعها ٠ ولكن البحث البسيط المتأنى يثبت أن كل الفوائض البترولية العربيـــة والتى وصلت الى ٥ر٣٣

---

(٤) يبين الجـــدول التـــالى تطـــور ســـعر البرميـل الواحـد من البترول بالدولار :
من ١٩٦٠/١/١ : ٨٠ر١
من ١٩٧١/٢/١٥ : ١٨ر٢
من ١٩٧١/٦/١ : ٢٨ر٢
من ١٩٧٣/١/١ : ٥٩ر٢
من ١٩٧٣/٦/١ : ٩٠ر٢
من ١٩٧٣/٨/١ : ٠٧ر٣
من ١٩٧٣/١٠/١٦ : ١٢ر٥
من ١٩٧٤/١/١ : ٥٦ر١٠
من ١٩٧٥/٩/١ : ٥١ر١١
من ١٩٧٧/١/١ : ٧٠ر١٢
من ١٩٧٧/٧/١ : ٣٠ر١٣

بليون دولار عام ١٩٧٥ و ٣٩٫٤ بليون دولار عام ١٩٧٦ يمكن استثمارها بل واستثمار أضعافها فى التنمية العربية الشاملة · وتقول دراسة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية(٥) « ان البلاد العربية بصفة عامة على قدر من التخلف بحيث أنه اذا أردنا الوصول بمتوسط الدخل الفردى للمواطن العربى فى عام ١٩٩٥ الى المستوى الذى هو عليه فى الدول الصناعية فى سنة ١٩٧٢ لكان ضروريا استثمار ١٤٠ بليون دولار سنويا فى المنطقة » ·

وتبرز دراسة مجلس الوحدة الاقتصادية العربية العقبات التى تقف ازاء تدفق الأموال العربية الى المنطقة فيما يلى :

- وجود قيود عديدة على تحويل رأس المال والاجراءات النقدية ·

- وهناك آثار سلبية للعلاقات السياسية على العلاقات الاقتصادية بحيث تستعمل القروض حاليا ـ شبيها بامبريالية القرن التاسع عشر ـ فى فرض شروط سياسية أو تدخل فى السياسات الداخلية ·

- عدم توفر المشروعات المدروسة التى يمكن أن تجتذب التمويل الانمائى ·

- عدم نشوء سوق مالية عربية ·

- محدودية موارد كل من الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى ، والمؤسسة العربية لضمان الاستثمار ·

- ومع ذلك فقد أمكن قيام عدد من الشركات العربية المشتركة برؤوس أموال قد تصل الى ٦ بليون دولار لا يتهدد رؤوس أموالها شىء وتشير كل الدراسات المسبقة لقيامها واللاحقة لمباشرة البعض منها نشاطه أنها سوف تلاقى نجاحا طيبا سواء فى مجالات نشاطها أو فى تدعيم الرابطة الانتاجية العربية ·

وبعد استعراض هذه الحقائق يطرح خبراء التخطيط بمجلس الوحدة الاقتصادية امكانيات الحل فى اتجاهين رئيسيين هما :

---

(٥) مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ـ اللجنة الفرعية للتخطيط ـ استراتيجية التنمية العربية ـ دراسة موسعة اكتوبر سنة ١٩٧٧ ·

● قيادة وتوجيه وتنسيق الدراسات حول المشروعات الانمائية العربية التى تساعد على تحقيق التنمية والتكامل الاقتصادى •

● انشاء هيئة أو جهاز أو مستوى يقوم بالتنسيق بين جهود المؤسسات المالية والاستثمارية العربية •

وبذلك يمكن تحقق الآتى :

١ ـ اجتذاب أكثر لرؤوس الأموال •

٢ ـ تحقيق معدلات ربح أعلى من مواقع الاستثمار المعتمدة حتى الآن•

٣ ـ تحقيق ضمان لرؤوس الأموال ضد الأخطار المختلفة •

٤ ـ نفى انتشار التبعية الاقتصادية الذى يتهددنا حاليا •

٥ ـ دفع النشاط العربى المشترك فى اتجاهات تخدم دفع النشاط المحلى فى الأقطار المختلفة •

٦ ـ ارساء خطوات على طريق التكامل •

ومنذ البداية أقامت الرأسمالية العالمية الغنية والمتقدمة شباكها لاصطياد رأس المال العربى فى شكل ديون بفوائد عالية ، وفى شكل أسهم وسندات لشركات صناعية تحقق أرباحا مرتفعة ، وحتى فى شكل عقارات فى مدن الغرب • غير أن هناك مخاطر حقيقية(٦) تواجه رأس المال العربى المتجه للاستثمار فى الدول الأجنبية ، وهى :

أولا : تمثل الضرائب بأشكالها الشتى فى البلاد المتقدمة صناعيا فى الوقت الحاضر نسبا عالية وبالتالى فان العائد الصافى أقل اغراء بكثير من عائد الاستثمار الاجمالى ••

ثانيا : مجموعة القواعد التى أصدرتها البلاد المتقدمة صناعيا فى الأشهر القليلة الماضية والتى كان من نتيجتها أن وضعت عراقيل أمام حرية تحرك

---

(٦) د• ابراهيم محمد عريس ـ استاذ الاقتصاد بجامعة جورج تاون الأمريكية ـ مخاطر تدفق رأس المال العربى على الدول الصناعية ـ جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٥/١/١٠ •

رأس المـال من بلد الى آخر ٠٠ فمن تقييد وقتى لحرية المودع الأجنبى لتحويل جزء من حسابه الى عملة أجنبية الى تقييد كامل بمنع اضافة أى أرصـــدة جديدة لحساب المودع الأجنبى كما اتبع فى المـانيا وســـويسرا وبلجيـــكا وهولندا ٠ هناك أيضا قواعد تحد من قدرة الاقتراض الخارجى وضعتها تلك البلاد المتقدمة صناعياً ٠ فمثلا استخدمت المـانيا وسيلة معينة وهى اجبار المقترض الألمانى بأن يودع فى البنك نسبة نقدية مما يزمع اقتراضه من الخارج وبذلك تستطيع الدولة أن تمنع الاقتراض الخارجى كلية اذا ما رفعت تلك النسبة الى مائة فى المـائة ٠

ثالثا : القيد السياسى وهو قيد هام للغاية فى تاريخنا العربى الحديث.. فاذا حزمت البلاد العربية المصدرة للبترول أمرها واتبعت القواعد الاقتصادية للاستثمار فقط فان معظم رءوس الاموال العـــربية ســتستثمر فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث أنها ما زالت تمثل السوق الحرة المفتوحة التى تتسم بحجمها الكبير وبقيود أقل بكثير من مثيلاتها فى الدول الأخرى الصناعية ٠

مثل هذا الاستثمار اذا لم توضع له قواعد اقتصادية سياسية حكيمة فانه قد يعرض الأموال العربية لمـا أطلق عليه ظاهرة « رأس المـال الرهين » ٠ ففى الوقت الذى ستنهال رؤوس الأموال العربية سعياً للاستثمار فى الولايات المتحدة سوف لا يقابلها رأس مال أمريكى كبير يسعى للاستثمار فى تلك البلاد العربية المصدرة للبترول وبالتالى فانه بعد سنوات قليلة سنجـــد أن حجم رؤوس الأموال الأمريكية المستثمرة فى تلك المنطقة العربية لن تمثل الا نسبة ضئيلة من حجم رؤوس الأموال العربية المستثمرة فى الولايات المتحـدة ٠٠ نتيجة عدم التوازن هنا أن التهديدات التى ستوجه ضد رؤوس الأموال العربية فى أمريكا وأخطر بكثير من التهديدات التى يمكن أن توجه ضد رؤوس الأموال الأمريكية المستثمرة فى البلاد العربية المنتجة للبترول ٠

ولا شك أن دعوة زراعة المـال العربى فى أرض عربية هى الطريق الوحيد والصحيح للمحافظة عليه ودوام بقائه بعيدا عن أزمات النقد العالمية وأزمات الاقتصاد الرأسمالى بصفة عامة ٠

الثـروة الطبيعيـــة :

وهى غير معروفة على وجه الدقة ، ولا على وجه التقريب • ولكن المعروف منها فقط يدير الرؤوس • ويجعل القارىء يعجب لعدم الاستفادة من هذه الثروة الهائلة • ولعل الأراضى الزراعية تقدم لنا دليلا شامخا على ضخامة الموارد • فمساحة الوطن العربى ٣٥٠٠ مليـون فدان منها ألف مليـون فدان صالحـة للزراعة (محاصيل ومراعى وغابات) • من هذه الألف مليون فدان يزرع فعلا ١٢٦ مليون فدان والباقى ينتظر الاستثمار الأمثل أو مجرد الزراعة •

ولو استخدمت تكنولوجيا الزراعة لأصبح الفرد فى الوطن العربى عام ألفين يحصل على نصيب من الأرض الزراعية أعلى من نصيب الفرد فى الولايات المتحدة الأمريكية وهى الدولة المنتجة لأكبر فائض غذائى فى العالم •

وثروة العرب من البترول على كل لسان • ووفق احصائيات عام ١٩٧٥ بلغ انتاج العالم ما متوسطه ٤ر٥٣ مليون برميل يومياً • ومن هذه الكمية بلغ انتاج دول الأوبك ١ر٢٧ مليون برميل أو ما يعادل ٩ر٥٠٪ من كل الانتاج العالمى • وكان توزيع الانتاج على الدول الأعضاء الأوبك على الوجه التالى محسوبة على أساس متوسط الانتاج فى اليوم الواحد بالبرميل :

١ ـ السعودية : ٤٠٠ر٥٤ر٧
٢ ـ ايــــران : ١٠٠ر٣٥٠ر٥
٣ ـ فنـــزويلا : ٢٠٠ر٣٤٦ر٢
٤ ـ العـــــراق : ٧٠٠ر٢٦١ر٢
٥ ـ الـــكويت : ٢٠٠ر٠٨٤ر٢
٦ ـ نيجـيريا : ٢٠٠ر٧٨٣ر١
٧ ـ الامــارات : ٣٠٠ر٦٦٣ر١
٨ ـ ليبيـــا : ٨٠٠ر٤٧٩ر١
٩ ـ اندونيسيا : ٥٠٠ر٣٠٦ر١
١٠ ـ الجــزائر : ٣٠٠ر٢٠ر١

١١ ـ قطـــــر : ٤٣٧ر٦٠٠

١٢ ـ جـــابون : ٢٢٣ر٠٠٠

١٣ ـ أكـوادور : ١٦٠ر٩٠٠

فاذا أضفنا الى هذه الاحصائية تقديرات احتياطى البترول العربى التى تؤكد أن احتياطى البترول العربى أكثر من نصف احتياطى العالم لتبين لنـا قيمة هذا المورد ٠

ولا يمكننا ن نتخيل أن البترول أهم ثروات العرب ، وهو ثروةقصيرة الأجل ٠ ان السماء العربية الغنية بالأمطار فى كثير من المواقع ، والأنهـار العربية التى تضم النيل والفرات ودجلة ٠٠ بل والمناخ والآثار التى تعـد كنوزا سياحية يمكن أن يجنى منهـا العرب آلاف الملايين من الجنيهات ٠٠ والصحراوات التى لم يتم اكتشاف ما فيهـا من معادن وكنوز ، وشواطىء العرب ومواقع موانيهم التى تؤهلهم لأن يصبحوا بحارة العـالم وصيادى أسماكه ٠٠ كل هذه الثروة تحتاج الى المـال وهو موجود والى الطاقةالبشرية وأساسها موجود ويمكن تطويرها ودعمهـا ، والى التكنولوجيا ويمـكن استيرادها وتوطينها ٠

آفـاق المسـتقبل :

ماذا حدث للذين فاتهم عصر البخار وعصر الكهرباء ؟ وماذا حدث للذين أدركوا العصرين ولحقوا بعصر الذرة ؟ ان ما حدث هو الواقع المعاصر للتخلف والتقدم وللهوة التى تزداد اتساعا فى كل ساعة بـين المتقدمين والمتخلفين ٠ وهـذا ما نرى منه آفاق المستقبل العربى ٠ ان شروط التنمية لم تتيسر لبلد واحد من بلدان الوطن العربى فالذين يملكون الطاقة البشرية تنقصهم الثروة الطبيعية وينقصهم التمويل ، والذين يملكون المـال تنقصهم الموارد الطبيعية والطاقة البشرية ، والذين يملكون الموارد الطبيعية تنقصهم الطاقة البشرية ، والتمويل ٠ والعرب جميعا يملكون شروط التنمية جميعها وبصورة لم يحظ بها من قبل تجمع بشرى ٠٠ ولكن الصورة المعاصرة للأمة العربية تكاد تكون صورة نادرة لم يحظ بها مسرح فى مأساة أو ملهاة ٠ العرب يصدرون بصـفة عامة المواد الخام للبلدان المتقدمة الغنية ويودعون أموالهم فى بنوكها وتهاجـر

العقول والأيدى العاملة العربية الى هذه البلدان المتقدمة الغنية • ثم يستورد العرب من هذه البلدان التى صدروا اليها المادة الخام والمال والبشر ، المواد المصنعة ليأكل العرب ويشربون ويرتعون •

ماذا يمكن أن يحدث لو استمر هذا الوضع ؟ ببساطة شديدة وأليمة سوف تزداد الزوايا انفراجا ، فتزداد هجرة العقول والأيدى العاملة العربية الى البلدان الغنية المتقدمة وتتضاعف ، وسوف يستمر تصدير المواد الخام والأولية للبلدان الغنية وسوف تتوطن الأموال العربية فى الغرب • ويبقى بعد ذلك أن تبدأ صفحة جديدة فى تاريخ العرب بعد انتهاء الدور التاريخى للبترول وهو ما يقدر فى أكبر التفاؤلات بأقل من نصف قرن من الزمان •

يبقى السؤال المقابل هو ماذا يمكن أن يحدث لو أدرك العرب قطار التقدم •• !

ببساطة شديدة وأكيدة سوف تتغير خريطة المجتمع الدولى ، ويصبح هذا الكيان الواهن أصبى عمالقة القرن الحادى والعشرين فى عالم الكيانات العملاقة ، وكافة الدعاوى لعدم امكان ذلك كاذبة وكافة العوائق التى تبدو مانعا لحدوث ذلك مصطنعة • ومشكلة العرب تتركز فى نقطة واحدة هى ألا يفوتهم القطار •

ملاحق الفصل السابع

ملحق (١) للفصـــل الســابع

الدخل الاجمالى بالنسبة للفرد الواحد من السكان فى الوطن العربى
مقدرا بالدولار الأمريكى فى ثلاث سنوات : ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤

الـــدولة	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤
جمهورية مصر العربية	٢٣٠	٢٥٠	٢٨٠
جمهورية السودان الديمقراطية	١٤٠	١٣٠	١٣٢
المملكة المغربية	٣١٠	٣٢٠	٤٣٠
جمهورية الجزائر الديمقراطيةالشعبية	٥٥٠	٥٧٠	٧٣٠
الجمهورية التونسية	٤٤٠	٤٦٠	٦٥٠
جمهورية الصومال الديمقراطية	٨٠	٨٠	٩٠
الجمهورية العربية الليبية	١٨٣٠	٣٥٣٠	٤٤٤٠
جمهورية موريتانيا الاسلامية	١٨٠	٢٠٠	٢٩٠
الجمهورية العراقية	٣٧٠	٨٥٠	١١١٠
الجمهورية العربية السورية	٣٩٠	٤٠٠	٥٦٠
الجمهورية العربية اليمنية	٩٠	١٠٠	١٨٠
الجمهورية اللبنانية	٨٠٧	٩٤٠	١٠٧٠
المملكة الاردنية الهاشمية	٣٤٠	٣٤٠	٤٣٠
جمهورية اليمن الديمقراطية	١٠٠	١١٠	٢٢٠
المملكة العربية لسعودية	٥٥٠	١٦١٠	٢٨٣٠
دولة الـــكويت	٤٩٠	١٢٠٥٠	١٠٠٣٠
سلطنة عمـــان	٥٣٠	٨٤٠	١٦٦٠
دولة الامارات العربية المتحدة	٣٢٢٠	١١٦٣٠	١١٠٦٠
دولة البحـــرين	٦٧٠	٩٠٠	٢٣٥٠
دولة قطـــر	٢٥٣٠	٦٠٤٠	٦٦٣٠

ملحق (٢) للفصل السابع

وضعت ادارة التخطيط بمجلس الوحدة الاقتصادية العربية تصورا مبدئيا حول أساسيات خطة عربية مشتركة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية تمتد من عام ١٩٨١ حتى عام ١٩٨٥ ٠ وأكدت أن الغرض الأساسى من هذه الوثيقة هو اثارة الاعتماد وبلورة الأفكار حول أساسيات الاطار العام لخطة عربية مشتركة للتنمية وأن الغرض المبدئى والتمهيد للنقاط الرئيسية بها يتعين تحليلها ومناقشتها ، بكل دقة وعمق وتفصيل ، بهدف التوصل الى صورة لمقترح الاطار العام للخطة ، تكون أكثر قربا لواقع الاقتصاد العربى ، وأكثر تجسيدا لامكاناته المتاحة والمحتملة ، أكثر تحقيقا لأهداف التنمية والتكامل التى يتوخاها ٠

وقد شملت هذه الوثيقة أساسيات محددة أهمها بايجاز شديد هى :

١ ـ الأساس الهيكلى :

من الضرورى تحديد ، ولو بصورة مختصرة ، طبيعة وخصائص الاقتصاد العربى ، وذلك كخطوة أساسية للتعرف على المشكلات التى يعانى منها ولتحديد الوسائل العامة لكيفية معالجتها ، وتصميم السياسات التفصيلية لهذه المعالجة ٠

وعلى ذلك ، تشكل الدراسات القطرية والقطاعية ، وماتقدمه منبيانات حول الخصائص الهيكلية للاقتصاد والمجتمع العربى ، والخطط الانمائية القطرية ، وما تحدده من مشكلات انمائية وسياسات واجراءات لمعالجتها ، مدخلات هامة فى عملية صياغة الخطة المقترحة ٠

الأساس المنهجى :

تستند عملية تصميم الخطة المقترحة تصور طويل الأجل حول المعالم الرئيسية لعملية التنمية خلال العشرين سنة القادمة (١٩٨١ ـ ٢٠٠٠) ، وفقا لنموذج انمائى طويل الأجل عن الفترة نفسها فى ضوء الدراسات التى

سوف تجرى بصدد اعداد نماذج تخطيطية ، اقليمية وقطاعية ، لتحديدأفضل مسارات للتنمية على المدى الطويل ، كما تعتمد هذه الخطة على خبرة تخطيط فعلية على المستوى القطرى فى الدول العربية ·

وتبنى تفاصيل الخطة على أساس نموذج توزيعى يبين كيفية التوصل الى الأهداف الكلية والقطاعية المرغوب فى التوصل اليها ـ اقليميا وقطريا ـ ويحدد المعاملات الفنيـــة المختلفة التى استندت عليها عملية تحديد دور كل قطاع ومكوناته ، ودور كل قطـــر ومسئولياته ، فى تحقيق الأهداف الكمية المنشـــودة ·

ويرتكز المنهاج على أحدث خطط التنمية العربية فى شكل تنسيق وصيغة تكاملية ومن ثم ، لن تكون الخطة المقترحة مجرد تجميع لخطط قطرية ، وانما أداة لسد الثغرات فى هذه الخطط لتدعيم مسيرة التكامل الاقتصادى العربى ·

وعلى ذلك ، تمثل المشروعات الانتاجية « ذات الطابع الاقليمى » عصب هذه الخطة · وتتطلب عملية اختيار وتقويم هذه المشروعات ثلاث مجموعات متكاملة ومتوافقة من المعايير ، وهى :

(أ) معايير اختيار المشروعات ـ من حيث جدواها الفنية والاقتصادية والتمويليـــة ·

(ب) معايير تخصيص المشروعات على الدول ·

(جـ) معايير الترتيب الزمنى لتنفيذ المشروعات ·

٢ ـ الأســاس الاستراتيجى :

تتلخص الغاية الأساسية للخطـة المقترحة فى احداث مزيد من التكامل الاقتصادى التنموى العربى ، بهدف المساهمة فى بناء وتطوير الانسان العربى القادر على مواجهة الاحتياجات المتزايدة فى مختلف مجالات التنميــــة ، ومن أهمها : تهيئـــة الاقتصاد العربى لعملية تحقيق معدلات تنميــة متزايدة فى الانتاج ودرجات تنويع أكبر فى مصادر الدخل ، والتوصل الى مستوى معقول من الدخل الحقيقى والحياة الطيبة لأفراد المجتمع العربى ، بمختلف أبعــادها

الاجتماعية والبيئية • وتمثل هذه الغاية خطوة أولى فى الغاية الاستراتيجية طويلة المـــدى ، وهى : صناعة الانسان العربى القادر على صـنع الرخاء فى المستقبل فى ظل وحدة اقتصادية عربية •

وتترتب على هـــذه الغاية الأساسية العناصر الرئيسية لاستراتيجية الخطة المقترحة والتى يمكن اجمالها فيما يلى :

(أ) تنمية الموارد الانتاجية المختلفة •

(ب) تنمية وتنويع الانتاج ومصادر الدخل •

(جـ) تحقيق التنسيق والتكامل الاقتصادى •

(د) زيادة مقومات الأمن القومى والاقتصادى والغذائى •

(هـ) التطوير الحضارى للمجتمع والبيئة •

وتستند هذه العناصر على عـــدد من المبادىء العامة التى تحكم مسار العمل العربى وتحدد مدى فعاليته وامكانيات نجاحه ، أهمها ما يلى :

(أ) احترام ســـيادة كل دولة على أراضيها ، وحريتها فى اختيـــار نظامها الاقتصادى وسياساتها الاقتصادية •

(ب) عـــدم التعرض للأوضاع والسياسات الاجتماعية والسياســية الداخلية للدول العربية •

(جـ) أخذ مبادىء وأهداف الخطط القطرية كمعطيات ، ومراعاةالتكامل معها ، والعمل على تدعيمها •

(د) ضرورة الاستغلال الأكفأ للثروات الطبيعية والبشرية والتمويلية العربية على المستويين الاقليمى والقطرى •

(هـ) الحصول على استجابة وتعاون الدول المعنية من أجل احـــداث تنمية اقتصادية مخططة اقليمية ، تتسم بالجدية والتجدد •

٤ ـ **الأساس الهدفى :**

وتشمل هذه الأهداف ما يلى :

(أ) رفع مستوى معيشة المواطن العربى ، وتأمين حدود دنيا مناسبة من الرفاهية له ٠

(ب) تحقيق الاستغلال الأكفأ للموارد العربية ، لزيادة الاعتماد على الامكانيات الذاتية ، مع تطوير هذه الامكانيات ، بهدف تكوين تكتل عربى يساعد على الحصول على نصيب « عادل » فى المبادلات الدولية ، وعلى مساعدات تنموية غير مشروطة ٠

(جـ) تقريب الفوارق التنموية بين الدول العربية بما يجعل الوحدة الاقتصادية بينها أكثر قربا من الناحية الزمنية ، وأكثر عدالة من الناحية الموضوعية ٠

(د) تحقيق درجة أكبر من الأمن الغذائى والمواد الأولية والوسيطة اللازمة للجهود الانمائية ٠

(هـ) تحقيق حد أدنى من الاكتفاء الذاتى لأهم السلع الزراعية والصناعية على المستويين القطرى والاقليمى ٠

(و) الارتفاع بمستوى البنية الاساسية فى الوطن العربى ، خاصة ما يزيد منها من سهولة الانتقال اقليميا ٠

(ز) توزيع عبء التنمية بطريقة عادلة بين الأجيال الحاضرة والمستقبلة ، وبين الأقطار العربية ، وبين الفئات المختلفة ٠

(ح) تحديد مستوى المخزون الاستراتيجى من السلع الهامة لمواجهة كافة الطوارىء المحتملة ٠

(ط) القضاء على الأمية فى الدول العربية ٠

وللعمل على تحقيق هذه الأهداف العامة ، يتعين الأخذ ببعض التدابير والاجراءات التنفيذية ٠ من أهمها ما يلى :

(أ) ايجاد تعاون وثيق وتنموى بين القطاع الخاص والمشترك والعام قطريا واقليميا ، وتنميـــة أساليب ومجالات المشاركة الشعبية على مختلف المستويات منأجل تعميق الولاء والانتماء والترابط بين أفراد المجتمع العربى٠

(ب) العمل على رفع انتاجية الموارد البشرية عن طريق التعليم الفنى والتدريب والتاهيل لتلبية مختلف الاحتياجات الانمائية ، ولتحقيق أفضل استثمار ممكن لهذه الموارد ٠

(جـ) ضرورة اتبـــاع فن انتاجى يتمشى وخصائص عناصر الانتاج المتاحة ـ قطريا واقليميا ـ والعمل على تطوير التكنولوجيا الحديثة بما يتفق والخصائص الهيكلية للاقتصاد العربى ، والسمات الخاصة بالمواردالانتاجية المختلفة ، وذلك لمنع أى تبديد أو اهدار فى استخدام هذه الموارد ٠

(د) خلق المنـــاخ المـلائم ووسائل تنشيط وتنسيق استثمار المـــال العربى فى المنطقة العربية خاصة فى مجالات الصناعة والخدمات ٠

(هـ) اتبـــاع سياسة تصنيعية وزراعية تعتمد على استخدام أكفـأ للموارد الطبيعية والتمويلية والبشرية المتاحة ، وتحقق مزيـــدا من التوازن القطاعى المنشود ، وتستند على معايير انمائية واضحة تتبع من خصائص وامكانات الاقتصاد المتاحة والمحتملة ٠

(و) الأخذ بتدابير تحكم طرق استغلال وتنمية الارض ، كمـا تنظم عملية حماية البنية البيئية ، وذلك بالتحكم المناسب فى التوسع المقبـــل ، ووقاية البيئة ومعالجة أى آثار سلبية يمكن أن تنجم عن الجهود الانمائية ٠

٥ ـ الأســاس الزمنى :

تغطى الخطة المقترحة فـــترة السنوات الخمس ، ١٩٨١ ـ ١٩٨٥ ٠ وتشكل هذه الفترة الخمسية المرحلة الاولى من التصور طويل الأجل (١٩٨١ الى ٢٠٠٠) ٠ تهتم الخطط التفصيلية قصيرة الأجل ، بجانب كونها جزءا من الخطـــة الخمسية المقترحة ، بعملية انتـــاج وتوفير عدد محـدد من السلع الاستراتيجية لمواجهـــة مشكلات طارئة تتعلق بالامن الغـذائى أو المخزون الاستراتيجى بينما تهدف الخطـــة المقترحة ، فى الاساس ، الى المساهمة فى

اجراء تعديلات هيكلية فى الأنشطة الاقتصادية لتحقيق أهداف الخطة فى اطار من التكامل الاقتصادى ، كخطوة أولى فى تحقيق أهداف التصور طويل الاجل والتى تتلخص فى صناعة الانسان العربى القادر على صنع الرخاء فى المستقبل فى ظل وحدة اقتصادية عربية ٠ وأن يأخذ واضعو الخطط القطرية فى الاعتبار الأهداف التكاملية الواردة فى الخطة الاقليمية ، وأن يأخذ واضعو الخطة الاقليمية فى حساباتهم حقيقة أن خطتهم عنصرا مكملا لمكونات الخطط القطرية ٠

٦ ـ الأساس التمويلى :

فى ظل عائدات النفط المتزايدة ، وفى ظل الحاجة القومية لضرورة تحويل الاستثمارات العربية الخارجية الى استثمارات عربية محلية لزيادة مقومات الأمن القومى ، ولأن فرص هذه الاستثمارات عربيا أفضل ، يقترح أن تتم عملية التمويل وملكية المشروعات ـ وفقا للخطوات التالية :

(أ) تخصيص الدول العربية ذات الفائض ، نسبة (٤٪) ، والدول العربية ذات العجز بنسب تتمشى مع امكانياتها التمويلية ، من دخولها القومية لتمويل مشروعات الخطة العربية المشتركة ٠

(ب) تحشد الأموال المخصصة للخطة فى صندوق يسمى « صندوق الخاص بالخطة العربية المشتركة » ، فى اطار الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى وتحصل كل دولة على عدد من الاسهم مقابل نصيبها فى الصندوق ٠

(جـ) يقوم الصندوق بتمويل المشروعات الواردة فى الخطة ، بحد أقصى قدره (٧٥٪) من اجمالى التمويل اللازم لكل مشروع ٠ على أن تتولى الدولة التى يقام بها المشروع تمويل (٢٥٪) على الأقل ٠ ويكون لهذه الدولة الحق فى افتراض نصيبها من التمويل اللازم للمشروع من أحد صناديق التنمية العربية بشروط ميسرة ٠

(د) تؤول ملكية المشروعات المنفذة فى اطار الخطة تدريجيا ـ بعد بدء تشغيلها ـ الى الدول التى توجد على أراضيها ، ويتم ذلك بأن تشترى الدولة ـ على فترات محددة ـ نسبة من أسهم المشروع ٠

(هـ) يكون « الصندوق الخاص بالخطة العربية المشتركة » شريكا فى ملكية المشروع بنسبته من رأس المـال ، ويحصل على الأرباح المستحقةعليها وله حق اصدار سندات تنمية فى الأسواق المالية لزيادة موارده التمويلية ٠

(و) توزع الارباح التى يحصل عليها الصندوق من المشروعات المختلفة على أصحاب الأسهم كل حسب نصيبه ٠

٧ ـ الأســاس المشروعى :

يتم اختيار المشروعات المتضمنة بالخطوة المقترحة من ثلاثة مصادر ، وهى :

(أ) التخطيط القطرى : حيث يطالب من كل دولة « ترشيح » عــدد محدود من المشروعات الانتاجية ــ لا يزيد عن ثلاثة ــ والتى ينطبق عليهـا مواصفات معينة ، من أهمها :

(●) البعد التكاملى للمشروع ٠
(●) حاجة المشروع الى تكنولوجيا عالية ٠
(●) ضخامة حجم التمويل ٠
(●) تحقيق مزايا وفورات الحجم ٠
(●) توسيع الطاقة الاستيعابية للاقتصاد العربى ٠

على أن تكون المشروعات المرشحة مدعمة بدراسات الجدوى الاقتصادية والفنيـــة ٠

(ب) المشروع المشترك : بين الأمم المتحدة والصندوق العربى للانمـاء الاقتصادى والاجتماعى ومجلس الوحدة الاقتصادية العربية «لاكتشاف وتقييم المشروعات» التى تصلح لأن تكون محلا للتعاون العربى ، ويزيد من أهمية هذا المصدر أن « المشروع » يتضمن اجراء دراسات الجدوى الاقتصادية للمشروعات المســتكشفة ٠

(جـ) الدراسات القطرية والقطاعية التى تقوم الأمانة العـامة لمجلس الوحدة الاقتصادية باعـدادها ، والتى من المتوقــع أن تكشف عن عـدد من المشروعات ذات الأهميـة الخاصـــة بالنسبة لدعم القواعـد الانتــاجية فى الدول العربيــة ٠

ويراعى عنـد اختيار المشروعـات أن يخصص مشروع لكل دولة ، أو مشروع لأكثر من دولة اذا كانت طبيعة هذا المشروع تتطلب وجـود فـروع متعددة ، وذلك لضمان توزيع الفوائد الناجمة على الدول المشتركة فى الخطـة بصورة أكثر عـدالة ٠

٨ ـ الأسـاس الاجـرائى :

ولتنفيذ الخطة بدرجة فعالية معقولة ، ولتحقيق أهدافها بدرجة «مناسبة» يتعين وضع عدد من السياسات والاجراءات التنفيذية المساعدة ، لعل من أهمها :

(أ) اعفاءات ضرائبية وضمانات خاصة : تقدمهـا الدولة التى يقـام بهـا المشـروع ٠

(ب) اعفاءات جمركية : تقدمها الدول الأخرى المشتركة فى الخطة ٠

(جـ) اتفاقيات تبادل تجارى : يمهد لها ويدعو الى عقدها الجهـاز التنفيذى للخطة فى ظل الاطار المؤسسى الذى تتفق عليه ٠

خاتمـة :

ليست هناك حاجة الى تأكيد أن الخطة المقترحة تعد ، فى الواقع ، أول خطة اقليمية عربية ، تصمم ـ فلسفيا ومنهجيا واستراتيجيا وفنيا ـ على أساس السعى نحو تحقيق التكامل الاقتصادى العربى كسياسة مرسـومة ومباشرة ومتعمدة ٠ وبقدر ما تثيره هذه الخطة من اهتمام لدى المشتغلين فى الميدان الاقتصادى العربى بصفة خاصة ، ولدى المواطن العربى بصفة عامة ، بقدر ما سيكون نجاحها فى تحقيق ما احتوته من أهداف ٠ وهنا ، يبرز دور جهاز الاعلام العربى فى التعريف بالخطة وتقديمها الى الشعب العربى ٠

ملحق (٣) للفصــل الســابع

ميثــاق الوحــدة الثقافية العربيــة :

استجابة للشعور بالوحدة الطبيعية بين أبناء الأمة العربية ، وايمانا بأن وحدة الفكر والثقافة هى الدعامة الأساسية التى تقوم عليهـا الوحــدة العربية ، وبأن الحفاظ على التراث الحضارى العربى وانتقاله بين الأجيـال المتعاقبة وتجديده على الدوام هو ضمان تماسك الأمة العربية ونهوضها بدورها الطليعى الابداعى فى مجال الحضارة الانسانية والسلام العـالمى المبنى على أسس العــدل والحــرية والمساواة ٠

وتنفيذا لمـا جاء فى ميثاق جامعة الدول العربية ومتابعــة لمـا حققته المعاهدة الثقافيــة التى أبرمت بين الدول العربيــة ســنة ١٩٤٥ ٠ واعتزازا بانضمام أجزاء من الوطن العربى الى جامعة الدول العربية بعد خلاص هــذه الأجزاء من ربقة الاستعمار ٠ وتطلعا الى استعادة العرب أراضيهم المقدسـة المغتصبة واستكمالهم فى سائر أجزاء وطنهم ، وانطلاقا لمـا حققــه مؤتمر الذروة بين ملوك العرب ورؤسائهم من وحدة الهدف ووحدة الصف فى مجالات واسعة من حياة الأمة العربية ٠

ولمـا للتعاون فى ميادين التربية والثقافة والعلوم ورقيها من آثار فعالة فى الانسان والمجتمع العربى والقومية على الصعيد العالمى ٠

وبما يؤدى اليه هذا التعاون من ضمان حقوق الانسان العربى فى التعليم والحرية والكرامة والرفاهية وتمكينه من الاسهام فى خدمة مجتمعه ٠ وبمـا يؤدى اليه هذا التعاون من تطور هذا المجتمع وتقدمه على أسس متينة من قيمه الروحية الأصيلة ، ومن العلوم الحديثة وتطبيقاتها ٠

وبما يؤدى اليه هذا التعاون من ابراز الشخصية العربية فى المجال العالمى وقدرتها على الوقوف فى وجه الشرور العالمية المتمثلة فى الاستعمار والصهيونيـة،

واسهامها فى اقرار السلام العالمى ، وقيامها بدورها التاريخى فى بناء الحضارة الانسانية وتقـدمها •

توافق الدول العربية على الميثاق التالى للوحدة الثقافية العربية :

المـادة الأولى : يكون هدف التربية والتعليم : تنشئة جيل عربى واع مستنير ، مؤمن بالله مخلص للوطن ، يثق بنفسه وأمته ، ويدرك رسـالته القومية والانسانية ، ويستمسك بمبادىء الحق والخير والجمال ، ويستهدف المثل العليا الانسانية فى السلوك الفردى والجماعى •

جيل يهيىء لأفراده أن تنمو شخصياتهم بجوانبها كافة ، ويملكوا ارادة النضال المشترك وأسباب القوة والعمل الايجابى ، متسامحين بالعلم والخلق ، كى يسهموا فى تطوير المجتمع العربى والسير به قدما فى معارج التطور والرقى ، وفى تثبيت مكانة الأمة العربية المجيدة ، وتأمين حقها فى الحـرية والأمن والحياة الكريمة •

وتعمل الدول الأعضاء على رسم الفلسفة التربوية العربية التى تنهض بهذا الهدف العام وعلى تعيين أهداف التربية فى جميـع مراحـل الدراسـة ، وابرازها فى مجال العمل والتنفيذ بما يحقق ما تعقده الأمة العربية على تربية شبابها من آمال •

المـادة الثانية : تتعاون الدول الأعضاء تعاونا كاملا فى ميادين التربيـة والثقافة والعلوم ارساء دعائمها على أساس من التكافل والتكامل ، وتعمـل بصفة خاصة على تنسيق أنظمتها التعليمية وتطويرها ، وعلى تبادل الخبراء والمعلومات وثمرات البحوث العلمية والتقنية ، وتبادل الأساتذة والمدرسين والخبراء وقبول الطلبة بالمدارس والمعاهد والجامعات ، وتقديم المساعـدات التقنية والمشاركة فى انشاء معاهد البحوث ومراكزها ، وعقـد المؤتمـرات والحلقات الدورية والتدريبية ، وتيسير انتقال المطبوعات العربية ، وتنسيق ألوان النشاط الرياضى والفنى ، وتحقيق التعاون بين الهيئـات والمجـالس المختصة بهذه الشئون حكومية وغير حكومية •

المـادة الثالثة : توافق الأعضاء على تطوير الأجهزة الثقافية بجامعـة الدول العربية (الادارة الثقافية ومعهد المخطوطات العربية ومعهد الدراسات

العالية الى منظمة واحدة تشملها جميعا فى نطاق جامعة الدول العربية تسمى « المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وفقا للدستور الذى يقره مجلس الجامعة بناء على مقترحات المؤتمر الثانى لوزراء المعارف والتربية والتعليم لتتولى هذه المنظمة تنظيم الجهود المشتركة التى تقوم بها الدول الأعضاء فى سبيل تحقيق هذا الميثاق وفقا لدستورها ٠

المادة الرابعة : تعمل الدول الأعضاء على بلوغ مستويات تعليمية متماثلة عن طريق تنسيق أنظمة التعليم فيها ، وبخاصة توحيد السلم التعليمى وتوحيد أسس المناهج ، وخطط الدراسة ، والكتب المدرسية ، ومستوى الامتحانات وقواعد القبول ، وتعادل الشهادات ، وأساليب اعداد المعلمين وادارة المؤسسات التعليمية ٠

المادة الخامسة : توافق الدول الأعضاء على تنسيق التعليم الجامعى والعالى ، ومراكز البحوث ومعاهدة الجامعية فيما بينها بحيث يسهل تبادل الخبرات فى هذا المجال ٠ وتعمل الدول على توحيد الدرجات العلمية أو تعادلها وعلى تنشيط البحث العلمى ٠ ويشكل مجلس أعلى لتنسيق التعليم الجامعى فى الوطن العربى بالتعاون مع الجامعات والجهات المسئولة عن التعليم العالى ، لتحقيق هذا التنسيق مع جميع وجوهه ٠

كما تعمل المنظمة على انشاء اتحاد للجامعات العربية ، وتشجيع الجامعات العربية على الانتساب اليه ٠

المادة السادسة : تتعاون الدول الأعضاء على تطوير أنظمة التعليم فيها بالعمل على تحقيق الزام التعليم فى مرحلته الابتدائية على الأقل ، ومحو الأمية ، وتيسير التعليم الثانوى والتويعه وتمكن ذوى الاستعدادات من التعليم الغالى ، والعناية بالتعليم الفنى ٠ على أن يتم ذلك ضمن مخطط عام يهدف الى التنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد العربية ٠

المادة وسابعة : تتفق الدول الأعضاء فيما بينها على تبادل انشاء المعاهد العلمية والمراكز الثقافية فى بلادها وخاصة المعاهد العلمية ذات التخصص الدقيق ٠ وتعنى باصدار المجلات الدورية فى مختلف ميادين العلوم ٠

المـادة الثامنة : تعمل الدول الأعضاء على تنشئة الأجيال الصاعدة على التمسك بمبادىء الدين ٠

المـادة التاسعة : توافق الدول الأعضاء على النهوض بتعليم البنات وفقا للمبادىء الدينية والقيم العربية والتقدم العلمى الحديث مع مراعاة تزويد هذا التعليم بما تقتضيه رسالة المرأة بأن تكون أما ومواطنة صالحة فى المجتمع لها من الحقوق وعليها من الواجبات ما يتمشى مع مسئولياتها فى المجتمع ٠

المـادة العاشرة : توافق الدول الأعضاء على أن تكون اللغة العربية لغـة التعليم والدراسات والبحث فى مراحل التعليم كلها ، وعلى الأقل فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وفى الوقت نفسه تعمل الدول العربية على توثيق صلة طلابها بالثقافة الأدبية والعلمية والفنية الحديثة ومساعـدتهم على اتقـــان الوسائل اللغوية التى تمكنهم من استيعاب هذه الثقافة ٠

المـادة الحادية عشر : تعمل الدول الأعضاء فى المجال الثقافى على تعريف أبنائها بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية فى ســـائر البلاد العربية ، وذلك بواسطة الكتب المدرسية وبواسطة التليفزيون والاذاعة والتمثيل والصحافة أو بغيرها من وسائل ، وبانشاء متاحف للحضارة والثقافة العربية بامدادها بما ييسر نجاحها وباقامة معارض دورية للفنون والمنتجات الأدبية والمهرجانات العامة والمدرسية فى البلاد العربية ٠

المـادة الثانية عشر : توافق الدول الأعضاء على تأليف « الكتاب الأم » الذى يعد المرجع الرئيسى لمـا يؤلف من الكتب المدرسية فى تاريخ البلاد العربية وحضارتها وجغرافيتها ولغتها وأدبها ومقومات المجتمع العربى ٠

المـادة الثالثة عشرة : تؤكد الدول الأعضاء أهمية العناية باعداد المعلم العربى روحيا بتزويده بالمبادىء الدينية والقيم العربية الأصيلة ، وقوميـا بتزويده بالثقافة العربية ، ومهنيا بتزويده بأحدث النظريات التربوية وطرق التربية والتعليم ، وعلميا بتزويده بأساس علمى متين فى مواد تخصصـه ، وذلك ايمانا بأن المعلم هو من أهم العوامل فى تنفيـــذ السياســة التعليمية وتحقيق التطور القومى والاصلاح الاجتماعى ٠

المادة الرابعة عشر : تساعد الدول الأعضاء ، وفقا لأوضاعها ونظامها الخاصة على انشاء منظمة للمعلمين فى كل منها لتعمل هذه المنظمات على ترقية مستوى المهنة التعليمية ، ورفع مستوى المعلم العربى ، على أن يجمع هذه المنظمات اتحاد المعلمين العرب ٠

المادة الخامسة عشر : تتعاون الدول العربية فيما بينها على احياء التراث العربى – الفكرى والفنى – والمحافظة عليه ونشره وتيسيره للطالبين بمختلف الوسائل وعلى ترجمة روائعه الى اللغات الحية ، وعلى التعريف بالثقافة العربية الاسلامية ، وبشئون الفكر العربى المعاصر وبالقضايا العربية الحاضرة ، كما تتعاون على نشر اللغة العربية والخط العربى وتيسير تعلمها فى البلاد الأجنبية وفى البلاد الاسلامية خاصة ٠

المادة السادسة عشر : تعمل الدول الأعضاء على تنشيط الجهود التى تبذل لترجمة عيون الكتب الأجنبية القديمة والحديثة وتنظيم تلك الجهود ، كما تعمل على تنشيط الانتاج الفكرى فى البلاد العربية بمختلف الوسائل كانشاء معاهد للبحث العلمى والأدبى وتنظيم مسابقات فى تأليف ووقف جوائز على المتفوقين من أهل العلم والأدب والفن ٠

المادة السابعة عشر : توافق الدول العربية على أن تسعى الى توحيد المصطلحات العلمية والحضارية ، وعلى أن تساعد حركة التعريب بما يحقق اغناء اللغة العربية مع المحافظة على مقوماتها ، وذلك بالتعاون مع المكتب الدائم للتعريب بالربط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ليقوم برسالته على خير وجه ممكن ، وكذلك بالتعاون مع ما قد ينشأ من هيئات مماثلة ٠

المادة الثامنة عشرة : تعمل الدول الأعضاء على انشاء مجلس للمجامع اللغوية تمثل فيه المجامع العربية والمكتب الدائم للتعريب والعلماء المتخصصون، ويعنى هذا المجلس على وجه الخصوص بتوحيد المصطلحات العلمية وتنسيقها ونشرها ٠

المادة التاسعة عشرة : توافق الدول الأعضاء على أن تعمل على توثيق الصلات بين دور الكتب فيها ومتاحفها العلمية والتاريخية والفنية بشتى

الوسائل ، كتبادل المؤلفات والفهارس والقطع الأثرية ذات النسخ المتعـددة وتبادل الفنيين وبعثات التنقيب عن الآثار كما تتعاون فى مجال الكشف عن الآثار وصيانتها والتعريف بها والاعلام عنها وحسن استثمارها للأغراض التربوية والثقافية والعملية ٠

المـادة العشرون : تتعاون الدول العربية على تبادل الخبرات الثقافية الخاصة بالموسيقى والمسرح والسينما والفنون الشعبية والصحافة ووسائل الاعلام المختلفة ، وتعمل على تسجيل هذه الفنون ورعايتها وتنسيق جهـود العاملين فيها وتبادل خبراتهم ٠

المـادة الحادية والعشرون : تعمل الدول الأعضاء على أن تصنع كل منها تشريعا لحماية الملكية الأدبية والعلمية والفنية لمـا ينتج فى هذه الميادين فى كل دولة من دول الجامعة العربيـــة ٠

المـادة الثانية والعشرون : تتفق الدول الأعضاء على اصدار قانون ايداع للمطبوعات وعلى انشاء مراكز للتسجيل فى كل دولة منها ، على أن ترسل كل دولة الى مركز التسجيل فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بيانات وافية عن كل مطبوع ، وفقا لبطاقة خاصة وموحدة يعدها المركز ، ثم يقـوم المركز باصدار نشرات ببلوجرافية دورية تتضمن ما طبع فى الدول الأعضاء ٠

المـادة الثالثة والعشرون : توافق دول الجامعة العربية على تبـــادل الأساتذة والمدرسين والخبراء بين معاهدها العلمية بالشروط العامة والفردية التى تتفق عليها ، على أن تعتبـر مدة الخـــدمة لمن هو موظف حـكومى من المدرسين أو الأساتذة والخبراء الذين يشملهم التبادل كأنها فى حكومته ، ومع حفظ حقه من حيث المنصب والترقية والتقاعد ، وكذلك تيسر انتقـــال غـير الموظفين وتعاقدهم تعاقدا فرديا مع الحكومات أو المؤسسات التى تحتاج الى خدماتهم ، على أن يتم ذلك عن طريق الجهـــة المختصة وتبعـــا للانظمـة الموضوعـة لذلك ٠

المـادة الرابعة والعشرون : توافق الدول الأعضاء على تبادل الطـلاب والتلاميذ بين مدارسها ومعاهدها التعليمية وتيسير قبـولهم ، على قـــدر امكانياتها ، فى المراحل والصفوف المناسبة ومع مراعاة الأنظمة المتبعة فيها ٠

وريثما يتحقق توحيد الأسس المشار اليها فى المـادة الرابعة من هذا الميثاق تعمل الدول ، مع احتفاظها بأنظمة التعليم العامة فيها ، على تعادل أو توحيد الشهادات فى مراحل الدراسة المختلفة • ويمكنها أن تعقد اتفاقيات بعضها مع بعض لتيسير ذلك وكذلك تقدم كل دولة التسهيلات الممكنة للدولة أو الدول الأعضاء التى ترغب فى انشاء بيوت لاقامة طلبتها فيها •

المـادة الخامسة والعشرون : تتعاون الدول الأعضاء على تلبية الحاجات الثقافية فى البلاد العربية التى تكون فى حاجة اليها ، وتتبادل المساعدات الفنية بعضها مع بعض •

المـادة السادسة والعشرون : تعمل الدول الأعضاء على تشجيع الرحلات الثقافية والكشفية والرياضية بين البلاد العربية وذلك فى المناطق التى تسمح الحكومات بارتيادها وفقا لامكانياتها مع العمل على تيسير أسباب ذلك •

المـادة السابعة والعشرون : تتخذ الدول الأعضاء الوسائل اللازمـة للتقريب بين اتجاهاتها التشريعية التربوية والثقافية وتوحيد ما يمكن توحيده منها ـ ادخال الدراسات القانونية المقارنة للبلاد العربية فى مناهج جامعاتها ومعـــاهدها •

المـادة الثامنة والعشرون : تتعاون الدول الأعضاء على تنسيق جهودها فى سبيل التعاون الثقافى الدولى وخاصة مع منظمة اليونسكو ، على تبادل الخبرات وتنظيم الاتصالات وانشاء المؤسسات الثقافية فى البلاد الصديقة •

المـادة التاسعة والعشرون : يصدق على هذا الميثاق من الدول الموقعة بالتطبيق لنظمها الدستورية فى أقرب وقت ممكن وتودع وثائق التصـديق بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية التى تعد محضرا بايداع وثيقة تصديق كل دولة وتبلغه الى الدول المتعاقدة •

المـادة الثلاثون : يجوز للبلاد العربية التى ليست أعضاء فى جامعـة الدول العربية أن تنضم الى هذا الميثاق باعلان يرسل منها الى الأمين العام لجامعة الدول العربية الذى يبلغ انضمامها الى الدول المتعاقدة الأخرى •

المـادة الحادية والثلاثون : يعمل بهذا الميثاق بعد شهر من ايداع وثائق التصديق عليه من ثلاث دول من الدول الأعضاء ٠

المـادة الثانية والثلاثون : يجوز لأية دولة ملتزمة بهذا الميثـــاق أن تنسحب منه وذلك بمقتضى اعلان يرسل الى الأمين العام لجامعـــة الدول العربية وينتج الاعلان أثره بعد سنة من تاريخ ارساله ٠

(بغداد فى ١٦ شوال ١٣٨٣ ـ ٢٩ فبراير شباط ١٩٦٤) ٠

الخـــاتمـــة

دور رجل الاعلام العربى فى التنمية

ان رجل الاعلام العربى يقف بين واقعين متناقضين · واقع يدفع باليأس الى القلوب والنفوس والعقول ، وهو الاحتكاكات السياسية ـ بل والعسكرية أحيانا ـ بين بعض الدول العربية وبعضها الآخر ، والذى من شأنه أن يجعل رجل الاعلام متشائما شـديد التشاؤم لدور عربى قومى ·

وواقع يؤكده التضامن العربى أمام أخطار الحرب ، ويؤكده توحـد مشاعر الشعوب العربية وآمالها ومستقبلها ويؤكده تاريخها البعيد والقريب ، وتؤكده امكانيات العرب الهائلة التى لو استغل جانب منها استغلالا حسنا لوضعتهم فى الصف الأول من صفوف التقدم · وهذا الواقع من شأنه أن يجعل رجل الاعلام العربى متفائلا شديد التفاؤل لدور عربى قومى ·

ومهمتنا ـ كما يقول توفيق الحكيم ـ أن نغرس الأمل فى النفوس ، وأن ندخل اليقين فى القلوب بأن التقدم والرخاء ممكن تحقيقه على هذه الأرض · ولكن ذلك يجب أن لا يجعلنا نغفل عن الجانب القاتم من الصورة ·

علينا أن نكون موضوعيين قدر ما يمكن للبشر أن يكونوا موضوعيين ، اذ يقول الدكتور راو سكرتير عام المركز الآسيوى للاعلام وبحوث الاتصال بالجماهير (عام ١٩٧٣) : يعمل رجال الاتصال ، على مختلف مستوياتهم فى محيط اجتماعى ونفسى واقتصادى وسياسى وثقافى منفرد · وهم سريعـو التأثر ليس فقط بهذا المحيـط بل هم يحمـلون معهم أيضـا قيمهم ونظمهم وحريتهم الخاصة التى تساند أساسا الى تجاوبهم وثقافتهم الذاتية ولهـذا لا توجـد « موضوعية » بالمعنى الدقيق لها ·

وبرغم مثل ذلك القول فانه ينبغى علينا دائما أن نفصل بين الأوهام والأمنيات ، وبين حقائق الأشياء والآمال ، فلا نجعل الوهم واقعة ، أو الأمنيات الطيبة أخبارا ، وأن نجعل المساحة بين الخيالات والأمنيات وبين الحقائق والأرقام ثابتة وواضحة ٠

والمشكلة التى تواجه رجل الاعلام العربى فى واقعه القومى المتناقض بين التشاؤم والتفاؤل تعكس واقعه الاجتماعى المعاصر للتخلف برغم ما يحمله من نبضات والتماعات تبشر بتقدم مزدهر ٠

وهناك نكتة قاسية علينا كعرب ولكنها ذات دلالة وثيقة بقضية التنمية العربية ٠ تقول النكتة ان جدنا العظيم آدم عليه السلام خرج فى القرن العشرين يمر على الأرض فى طائرة ، وعندما حلقت الطائرة فوق « برج ايفيل » فى باريس لم يعرف المكان وعجب للتطور الهائل الذى حدث ثم عندما توقفت فوق أبراج الكرملين فى موسكو ثم فى لندن ونيويورك حدث نفس الشىء ، ولكن الطائرة عندما مرت فوق بعض الأقاليم العربية عرفها جدنا عليه السلام من أول نظرة لأنه وجدها كما تركها منذ آلاف السنين ٠

ان هذه النكتة تدخل فى باب القول بأن شر البلية ما يضحك ٠ ولكنها ينبغى أن تكون حافزا لنا كعرب لتغيير الواقع المشين الذى فرضته علينا ظروف عديدة ٠

وينبغى أن نفرق بين الواقع العربى المعاصر وبين القدرات المكبلة للانسان العربى ٠ ان الانسان العربى ، وعلى وجه الخصوص الجماهير العاملة العريضة من العرب لديها من القدرات والملكات مايذهل العالم لو أتيحت لها الفرصة المناسبة ٠ خلافا للصورة المشوهة للانسان العربى التى ترسمها وسائل الاعلام الغربية له والتى ترجع فى أساسها الى الصراعات الدينية القديمة كالحروب الصليبية والصراعات الحضارية القديمة والحديثة والصراعات العنصرية كالحروب الصهيونية ، ثم اسهام الانسان العربى بأكبر نصيب فى الصراع بين حركات التحرر وقوى الاستعمار العالمى فى هذا القرن ٠ الى جانب التصرفات المشينة لبعض الأثرياء العرب التى تقدم للعدو برغم فرديتها مادة للتشنيع والتشويه والتعميم ٠

من هذه البداية وهى الواقع العربى بما يحمله من تشاؤم وتفاؤل وبما يحمله من يأس وأمل وبكل ما فيه من ايجابيات وسلبيات كاعلاميين عرب أن نتلمس دورنا فى التنمية العربية الشاملة ٠

ان ما يقوله بعض علماء الاتصال بأن ضغط وسائل الاعلام هو الذى أدى الى سقوط المجتمعات التقليدية يبين لنا أهمية الوسائل التى نعمـــل فيها ، والدور الذى يمكن أن تؤديه لو أحسن استخدامها ٠

ماذا يستطيع رجل الاعلام العربى أن يفعل فى خدمة التنمية ؟ ٠

ـ على المستوى الوطنى والمحلى ، تحدثنا فى الفصل السادس من هذا الكتاب حديثا مفصلا ٠ ولكننا الآن بصدد الحديث عن الدور القومى لرجـل الاعـلام العـربى ٠

ـ على المستوى القومى نرى أن الوعى العفوى لدى الجماهير العربيـة بأهمية التنمية القومية الشاملة ، وتحرق هذه الجماهير الى تغيير واقعهـا المتخلف يفرض على رجل الاعلام العربى استراتيجية عمله الاعلامى ٠ وهى كيف يحول هذا الوعى العفوى الى جهد منظم وبناء والى ادراك محدد والى اقناع ويقين ، كيف يحول هذا الوعى ـ بل كيف يخلق ويعمق هذا الوعى ـ الى طاقة وسلوك ودفع لعجلة التنمية الشاملة وبناء الانسان العربى الجديد ؟

أولا : على رجل الاعلام العربى أن يجعل المواطن العادى يحس بمشكلة التنمية ، أن يحس بها ليست داخل قطره وحسب ، وانما ينبغى أن يحس بها داخل الوطن العربى ، وبأبعادها القومية الحقيقية ٠ وأن يدرك عـلاقة المشكلة بالعالم وتأثيرها وتأثرها بالازمات العالمية ، كمشاكل الغذاء والطاقة والبطالة والنقـد والتضخم ٠

ثانيا : أن يبصر بطبيعة العصر وأن ينشر روح العصر فى ظل الكيانات الكبيرة ، ومخاطر الانغلاق القطرى والتشرذم والحساسية الاقليمية ٠

ثالثا : أن يؤكد على أهمية اشتراك رأس المـال ، مع الطاقة البشرية ، مع الثروة الطبيعية ، وأن هذه العناصر لا ينبغى التفاخر بأيها أو المزايـدة على احداها ، لأنها متكاملة ومتكاتفة وضرورية ويستطيع اعلام الاستعمار

الجديد أن يروج لبعض أثرياء العرب بأن فوائض الأموال العربية الضخمة لا تستطيع الأرض العربية استيعابها ، وأنه لفائدة أصحاب هذه الأموال ومصلحتهم أن يستثمروا مالا تستطيع الأرض العربية استيعابه فى أوربا وأمريكا ان مثل هذا المنطق يعود الى تغيير الاستعمار لأساليبه والى تثبيت القيم وصياغة العقول ولكن السؤال هو كيف تستطيع الأرض العربية استيعاب الأموال العربية ؟ وما هى الحواجز التى تقف أمام ذلك لنزيلها ؟

رابعا : أن يدافع عن خطة عربية شاملة للتنمية وأن يدعو الى ذلك ثم عليه أن يشرحها ويفسرها يوم تخرج الى حيز التنفيذ . وأن يدافع عنها وينقدها .

واذا كانت هذه العناصر تمثل ما يمكن أن نسميه الجانب البنائى فى دور رجل الاعلام العربى فى التنمية فهناك جانب دفاعى يتمثل فى مقاومة كل ما هو سلبى وما من شأنه أن يعوق التنمية العربية ، ونضرب لها أمثلة بما يلى :

● مقاومة ظاهرة الخصام الاعلامى العربى التى تبدى اعلام بعض الدول العربية فى بعض المواقف وكأنها الجارة الجاهلة عندما تخاصم جارتها فتتجاهل بعصبية كل ما يجرى من أمور الجارة ولا تذكره على لسانها : أضرب لكم مثلا بمؤتمرات الأدباء العرب . لقد عقد الأدباء العرب على المستوى القومى أحدى عشر مؤتمرا حتى عام (١٩٧٧) . واذا أتيح لباحث أن يتتبع ما نشر عن هذه المؤتمرات فى الصحف العربية وما أذيع عنها فى الاذاعات العربية يجد عجبا فكثيرا ما يتجاهل اعلام دولة ما مؤتمرا لأنه عقد فى عاصمة ليست العلاقات السياسية معها على ما يرام . علما بأن النشر حول هذه المؤتمرات القومية ضرورى للتنمية الثقافية القومية .

● مقاومة ظاهرة التعتيم الاعلامى للمواقف الناصعة العربية . أضرب لكم مثلا بالقرارات العراقية الخاصة بتشجيع عودة العقول العربية المهاجرة اليها . والقوانين التى تتسم بالوعى القومى والروح القومية كحق الصحفى العربى فى الانضمام الى نقابة الصحفيين العراقيين وحصوله على كافة الحقوق التى يحصل عليها المواطن العراقى . وأضرب لكم مثلا آخر بخطوات

التكامل بـــين مصر والسودان · لو تتبعنا هـــذين الموضوعين فى الصحف والاذاعات العـــربية ماذا نجد ؟ نلمس بوضوح التعتيم الاعلامى بـــرغم أن معالجة مثل هذه الموضوعات تمس القارىء العربى مباشرة ·

● مقاومة ظاهرة النفخ فى الدخان · قد يختلف الحكام لبعض الوقت فهل من الضرورى أن يتطوع عدد من رجال الاعلام الى نافخى دخان لتظـــل النار مشتعلة · أم من الأفضل والأصلح قوميـــا أن يضيقوا دائرة الخــلاف الى أضيق حـــد ممكن ·· !

● مقاومة ظاهرة ترسيخ العداوة والبغضاء بين الشعوب العربية ، والمتمثلة فى تكبير الأخطـــاء الفردية الصغيرة ، وطمس الجوانب الايجابيـــة الباهرة لعلاقات الأفراد والأسر والصداقات الكثيرة بين أبناء الشعوب العربية بعضها والبعض الآخر ·

ـ وفى الجانب المهنى يمكن لرجل الاعلام العربى أن يؤدى دورا فيمـــا يلى على سبيل المثـــال :

● حصر معوقات تدفق الاعلام بين البلدان العربية ومحاولة تضييقها، والقضاء عليها ولو تدريجيا ·

● انشاء مؤسسات اعلامية على المستوى القـــومى العربى : وكالة أنباء ـ صحف عالمية ـ الاسراع فى تنفيذ مشروع القمر الصناعى العربى ، وغـــير ذلك ·

● دراسة التشويه والتشويش والاظـــلام الاعلامى ومحاولة تضيق ذلك الى أقل حـــد ممكن ·

وبعـــد ·· ان الوضع الراهن المتخلف للعالم العربى لا يضعف الحاضر العربى وحسب ·· وانما ينـــذر بمستقبل أضعف ، فى ظل تدافع دولى نحو التقدم ، وفى ظـــل عالم الكيانات الكبيرة ، وليست خطى السلاحف جـــديرة بقفزات عصر يمشى الانسان فيـــه فوق سطح القمر · وهـــذه هى المسئولية الملقاة على عاتق رجال الفكر والاعلام فى الوطن العـــربى ، لأن السمع والبصر والفؤاد كان الانسان عنـــه مسئولا ·

فهـــــرس تفصـــــيلى

صفحة

مقـــــدمة ٥

تمهيـد : ماذا نقصد بالاعلام والتنمية ؟ ٨

لـماذا التنمية ؟ ص ٨ ، تقييم الاستراتيجيـة الدولية للتنميـة ص ١٠ ، مفهوم الدولة العصرية ص ١٣ . . . . . .

الفصـل الأول : التنمية الشـاملة ١٩

تعريف التنمية ص ١٩ ، التنمية الاقتصـادية ص ٢٢ ، التنمية الاجتماعية ص ٢٤ ، التنمية الثقافية ص ٢٦ ، معنى التخلف ص ٢٧

الفصـل الثانى : الاعلام دراسـة مقـارنة ٣٧

الاتصال الانسانى ص ٣٩ ، الفرق بين الاتصال المباشر والاتصال الجماهيرى ص ٤٠ ، عملية الاتصال ص ٤١ ، الفرق بين الاعـــلام والدعاية ، والتربية ، والثقافة ص ٤٣ . وسائل الاعلام : الصحف ص ٤٨ ، الاذاعة والتليفزيون ص ٥١ ، وكالات الأنبـاء ص ٥٥ ، وكالة الأنباء الفرنسية ص ٥٧ ، وكالة أنباء الشرق الأوسط ص ٥٩ ، المســرح والسينما ص ٦٢ ، الكتاب ص ٧٠ ، الخطبة ص ٧٤ ، النشرة ص ٧٥ ، شخصية وسيلة الاعلام ص ٧٦ ، جو الوسـيلة وجمهورها واقتصادياتها ص ٧٧ . . . .

الفصـل الثـالث : نظـريات التنمية ٨١

فكرة التطور والتقـدم عند الفلاسفة ص ٨٣ ، ما نقصده بنظريات التنمية ص ٨٤ ، فى المجال الاجتماعى ص ٨٤ ، فى المجال الاقتصادى ص ٨٧ ، فى المجال الثقافى ص ٨٨ ، نظرية التخلف بسبب البيئـة الجغرافية ص ٨٨ ، نظـرية التخلف بسبب البيئـة الاجتمـاعية ص ٩١ ، نظرية التخلف بسبب الجنس أو العقيدة ص ٩٥ ، نظرية التخلف بسبب الظروف الاستعمارية ص ٩٧ ، نظرية الدفعة القوية ص ٩٧ ، نظرية النمو المتوازن ص ٩٨ ، نظرية النمو غير المتوازن ص ٩٩ ، نظرية قارب النجاة ص ٩٩ ، نظرية التحرر الانسـانى ص ١٠١ ، أى النظريات أمثل ؟ ص ١٠٦ . . . . . .

صفحة

الفصـــل الرابع : نظريات الاعـــلام ١٠٩

تجارب الديمقراطية ص ١١١ ، أين يقف الاعلام من هـذه التجارب ص ١١٢ ، نظرية السلطة ص ١١٤ ، نظرية الحـــرية ص ١١٦ ، نظـرية المسئولية الاجتمـاعية ص ١١٧ ، النظـرية السوفيتيـة ص ١١٨ ، جدول سيبرت ص ١١٩ ، نظريات الاعلام المعـــاصرة ص ١٢١ ، النظرية الليبراليـة ص ١٢٢ ، النظـــرية الشموليـة ص ١٣٠ ، النظرية المختلطة ص ١٣٤ . . . .

الفصـــل الخامس : أبعـــاد التنميـــة ١٣٧

البعـد التاريخى ص ١٣٩ ، أفريقيـا ص ١٤٢ ، آسيا ص ١٤٤ ، أمريكا اللاتينية ص ١٤٥ ، الشعوب واختيار التنمية ص ١٥١ ، التجربة المصرية ص ١٥١ ، البعد البشرى للتنمية ص ١٦٥ ، مفهوم الحضارة ومفهوم التحديث ومفهـــوم التمرين ص ١٦٦ ، الوعى بالتنمية ص ١٦٧ ــ الجهد الذاتى للمجتمع ص ١٦٩ ، المشـــكلة السكانية ص ١٧٠ ، مشكلة الادارة المتخلفة والقوانين القـــديمة ص ١٧٤ ، مشكلة العمالة وهجرة العقول والأيدى العاملة ص ١٧٩ ، البعد الدولى للتنمية ص ١٨٢ ، اتساع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة ص ١٨٣ ، أزمة الطاقة ص ١٩٠ ، أزمة الغـــذاء العـــالمى ص ١٩٤ ، الأنفجار السكانى ص ١٩٧ . . . .

الفصـــل السادس : خطة الاعـــلام وخطة التنمية ٢١٣

الخطة والتخطيط ص ٢١٥ ، اعـــداد الخطـة ص ٢١٧ ، التخطيط الاعلامى ص ٢١٩ ، ما المقصود بالتخطيط الاعلامى ؟ ص ٢٢٠ ، من الذى يقوم بالتخطيط الاعلامى ؟ ص ٢٢٠ ، متى يبدأ الاعلام دوره ؟ ص ٢٢١ ــ الاعلام والمجتمع ص ٢٢٢ ، النظرة التاريخية لدور الاعلام ص ٢٢٥ ، التطور الاقتصادى وتطور الاعلام ص ٢٢٩ ، الفـــرد والاعلام ص ٢٣٠ ، اعلام الاستعمار والمجتمع الجديد ص ٢٣٣ ، خطة الاعلام فى التنمية الوطنية ص ٢٣٧ ، فهم الواقع ص ٢٣٧ ، تحـديد الأهداف ص ٢٣٨ ، اختيار الوسائل ص ٢٤٠ ، المتابعة والتقييم ص ٢٤١ ، الوجه المظلم للاعـــلام ص ٢٤٢ ، صعوبات تعترض الاعلام لتأدية دوره فى التنمية ص ٢٤٣ ، القسم الدفاعى ص ٢٥٢ ، التكامل والترابط بين الخطتين ص ٢٥٤ ، بحوث الاعلام والتنمية ص ٢٥٧ . . . .

صفحة

الفصـل السابع : استراتيجية عربية للتنمية ٢٦٣

معنى الاستراتيجية ص ٢٦٥ ، الاستراتيجية العـــربية للتنمية ص ٢٦٧ ، دوريات الاستطلاع ص ٢٦٨ ، التجـــارب التاريخية ص ٢٧٢ ، اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية وأهدافها ص ٢٧٤ . العـــرب وفرص التنمية ص ٢٧٨ ، ضرورة وحتمية الاستراتيجية العربية للتنمية ص ٢٧٩ ، عناصر النجـاح ومعوقاته ص ٢٨١ ، الانسان ص ٢٨١ ، المـال ص ٢٨٢ ، الثروة الطبيعية ص ٢٨٧ ، آفاق المستقبل ص ٢٨٨ ، ملاحق الفصل السابع ص ٢٩٣ ، الدخل الوطنى بالنسبة للفرد فى الوطن العربى ص ٢٩٣ ، أساسيات خطة عربية مشتركة للتنمية ص ٢٩٥ ، ميثاق الوحدة الثقافية العربية ص ٣٠٣ . . . .

خاتمـــــــة ٣١١

فهرس تفصيلى ٣١٦

أهم مصادر الكتاب ومراجعة ٣١٩

أهم مصادر الكتاب ومراجعه

أولا ـ كتب عربية ومعربة

- د٠ ابراهيم امام ـ الاعــلام والاتصال بالجماهير ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٥ ٠
- د٠ ابراهيم آبو لغد ـ التقويم فى برامج تنمية المجتمع ـ دار المعارف ـ ١٩٦٠ ٠
- أجاتسى زاكس ترجمة ـ محمد صبحى الاتربى ـ التجارة الخارجيــة والتنمية الاقتصادية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩ ٠
- د٠ أحمد بدر ـ الاتصــال بالجماهير والدعاية الدولية ـ دار القـلم ـ الكويت ـ ١٩٧٤ ٠
- د٠ الفــاروق زكى يونس ـ تنمية المجتمع فى الدول الناميــة ـ مكتبة القاهرة الحديثة ـ ١٩٦٧ ٠
- ألبرت اشفيتسر ـ ترجمة ـ د٠ عبد الرحمن بدوى ـ فلسفة الحضارة ـ المؤسسة المصرية العامة للتأميف والترجمة والطباعة والنشر ـ ١٩٦٣ ٠
- ألفريدج ـ ترجمة د٠ صليب بطرس ـ السوق العربية المشتركة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٥ ٠
- براجينا وآخرون ـ مشكلات التصنيع فى البلدان النامية ـ دار التقــدم موسكو ـ ١٩٧٤ ٠
- بتروورسلى ـ ترجمة ـ حسام الخطيب ـ العالم الثالث ـ الناشر وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومى ـ دمشق ـ ١٩٦٨ ٠
- بول باران ـ وليف لاكوست ـ الاقتصــاد السياسى للتخلف وأسباب التخلف الأساسية ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ١٩٧٠ ٠

- بول بوريل ـ ترجمة ـ أديب العاقل ـ ثورات النمو الثلاث ـ مطبعة وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٧٠ ٠
- ت ـ س٠ اليوت ـ ترجمة ـ د٠ شكرى عياد ـ نحو تعريف الثقافة ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ مطبعة مصر ٠
- توفيق الحكيم ـ طعام الفم والروح والعقل ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ ٠
- تشيلسو فورتادرو ـ ترجمة ـ د٠ أنور الصباغ ـ د٠ سهام الشريف ـ النمو والتخلف ـ الناشر ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى دمشق ١٩٧٢
- د٠ جيهان رشتى ـ الأسس العلمية لنظريات الاعلام ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٥ ٠
- د٠ جيهان رشتى ـ نظم الاتصال ـ الاعلام فى الدول النامية ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٢ ٠
- ج هالكرو نرجسون ـ ترجمة ـ عبد الرؤف عز الدين ـ ثورات أمريكا الاتينية ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ٠
- حربى محمد ـ النفط العربى وأزمة الطاقة فى العالم ـ مطابع دار الثورة ـ بغداد ـ ١٩٧٤ ٠
- د٠ خليل صابات ـ الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف ٠
- د٠ خليل صابات ـ وسائل الاعلام نشأتها وتطورها ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٧٦ ٠
- د٠ خليل صابات ـ الاعلان ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٦٩ ٠
- رود ولفوستافنهاغن ـ ترجمة ـ ناجى أبو خليل ـ الطبقات الاجتماعية فى المجتمعات الزراعية ـ دار الحقيقة للطباعة والنشر فى بيروت ـ الطبعة الأولى ـ نيسان ١٩٧٢ ٠
- رشنتون كولبورن ـ ترجمة ـ لمعى المطيعى ـ أصل المجتمعات المتحضرة ـ الدار القومية للطباعة والنشر ٠

- د· سلوى الخماش ــ المرأة العربية والمجتمع التقليدى المتخلف ــ مكتبة العالم الثالث ــ دار الحقيقة ــ بيروت ــ ١٩٧٣ ·

- سيد مرعى ــ لكى نربح المستقبل ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٧٥ ·

- د· سيد محمود الهوارى ــ الادارة ، الأصول والأسس العلمية ــ الطبعة الخامسة ــ مكتبة عين شمس ــ ١٩٧٣ ·

- شارل بتلهيم ــ ترجمة ــ د· اسماعيل صبرى عبد الله ــ التخطيط والتنمية ــ الطبعة الثانية ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٦٨ ·

- صلاح مصطفى الفوال ــ تنمية المجتمعات الصحراوية أسس نظرية ــ مكتبة القاهرة الحديثة ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٦٨ ·

- صلاح مصطفى الفوال ــ البداوة العربية والتنمية ــ مكتبة القاهرة الحديثة ·

- د· مصلاح الدين نامق ــ اقتصاديات السكان ــ المكتبة الاقتصادية ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٧٠ ·

- د· عبد اللطيف حمزة ــ الاعلام له تاريخه ومذاهبه ــ الطبعة الأولى ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٦٥ ·

- د· عبد اللطيف حمزة ــ أزمة الضمير الصحفى ــ دار الفكر العربى ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٦٠ ·

- د· على لطفى ــ التنمية الاقتصادية دراسة تحليلية ــ دار القرآن للطباعة والنشر ــ ١٩٧٥ ·

- د· عمرو محيى الدين ــ التخلف والتنمية ــ دار النهضة العربية ١٩٧٦·

- د· فؤاد مرسى ــ المشاركة كأسلوب من أساليب الاستعمار الجديد ــ دار الثقافة الجديدة ، قضايا اقتصادية ــ مارس ٧٥ ·

- غى دى بوشير ــ ترجمة ــ فؤاد دراجى المراد ــ مفاتيح لأجل العالم الثالث ــ مكتبة العالم الثالث ــ دار الحقيقة ــ بيروت ــ ١٩٧٤ ·

- د٠فتح الباب عبد الحليم سيد ـ د٠ابراهيم ميخائيل حفظ الله ـ وسائل التعليم والاعلام ـ عالم الكتب ـ فبراير ١٩٧٦ ٠
- كوامى نكروما ـ (تعريب خيرى حماد) ـ الاستعمار الجديد ـ دارالكتاب العربى للطباعة والنشر ٠
- كيم ايل سونج ـ حول مسألة التوحيد السلمى فى كوريا ـ (الترجمة العربية) دار الطليعة ـ بيروت ٠
- لستر بيرسون ـ اعداد ـ ابراهيم نافع ـ ماذا يجرى فى العالم الغنى والعالم الفقير ؟ شركاء فى التنمية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧١ ٠
- مالك بن نبى ـ ترجمة عبد الصبور شاهين ـ مشكلة الثقافة ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٥٩ ٠
- ماركوف ـ مشكلة التغذية وسياسة الامبريالية ـ دار التقدم ـ موسكو ـ ١٩٧٥ ٠
- ماريون كلوسون وآخرون ـ ترجمة ـ د٠ عبد الله العابدين ـ الامكانية الزراعية فى الشرق الأوسط ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٧٦ ٠
- مجموعة من المؤلفين ـ مشكلات التصنيع فى البلدان النامية ـ دار التقدم موسكو ـ ١٩٧٤ ٠
- مارشال ماكلوهان ـ ترجمة ـ د٠ خليل صابات ـ كيف نفهم وسائل الاتصال ـ النهضة العربية ـ نوفمبر ١٩٧٥ ٠
- محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس ـ الثقافة المصرية ـ دار الفكر ـ ١٩٥٥ ٠
- د٠ مختار التهامى ـ الصحافة والسلام العالمى ـ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ـ نشر الرسائل الجامعية ـ ١٩٦٤٠
- د٠ مختار التهامى ـ الاعلام والتحول الاشتراكى ـ الطبعة الأولى ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٦ ٠
- د٠ ملاك جرجس ـ سيكلوجية الشخصية المصرية ومعوقات التنمية ـ كتاب روز اليوسف ١٩٧٤ ٠

- ن ب ـ شميليوف ـ ترجمة ـ د٠ مطانيوس حبيب ـ شوكت يوسف ـ التنمية الاقتصادية فى العالم الثالث ـ دار التقـــدم العربى ـ دمشق ـ ١٩٧٤ ٠
- هـ آرنولد ـ ترجمة د٠ حسين عمـر ـ معونة الدول النامية دراسة مقارنة ـ مكتبة القاهرة الحديثة ٠
- وليام ل٠ ريفرز وآخرون ـ ترجمة ـ د٠ ابراهيم امام ـ وسائل الاعلام والمجتمع الحديث ـ دار المعرفة ـ مؤسسة فرانكلين ـ القاهرة ـ ١٩٧٥٠
- ولبورشرام ـ ترجمة ـ محمد فتحى ـ أجهزة الاعلام والتنمية الوطنية ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ ١٩٧٠ ٠

ثانيـا : بحوث ومحاضرات محاضر اجتماعات وخطب ومقـــــالات

- أحمد بهـــاء الدين ـ مطلوب دولة عصريـــة ـ مجلة المصور ـ بتاريخ ٢٨ـ٧ـ١٩٦٧ ، ١١ـ٨ـ١٩٦٧ ، ١٨ـ٨ـ١٩٦٧ ٠
- أحمـــد بهـاء الدين ـ أيام بلا تاريخ ـ جـريدة الأهــرام ـ بتاريخ ١٩٧٤/١٠/١١ ٠
- د٠ احسان هندى ـ كلمات فى الحضارة ـ مجلة العـربى ـ العدد ٢٢٤ ـ يوليو ١٩٧٧ ٠
- د٠ اسماعيل صبرى عبد الله ـ منتدى العالم الثالث ـ جريدة الأهرام ـ بتاريخ ١٩٧٥/٥/٢٥ ٠
- د٠ اسماعيل صبرى عبد الله ـ ملتقى الجزائر والنظام الاقتصادى العالمى الجديد ـ جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٥/٧/٢٧ ٠
- د٠ أحمـد كمال أبو المجد ـ من محضر اجتماع باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى فى ١٩٧٤/٧/٢ حول الاعلام والصحافة فى مصر ٠
- أنيس منصور ـ مواقف ـ جريدة الأخبار ـ بتاريخ ١٩٧٥/١/١٣ ٠
- رسالة الرئيس أنور السادات الى أعضـــاء المجلس التنفيذى لليونسكو الذى عقد بمبنى الجامعة العربية بالقاهرة يوم ١٩٧٥/١٠/١٣ ٠
- خطاب الرئيس جمـال عبد الناصر فى الدورة الخامسة عشر أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٩٦٠/٩/٢٧ ٠
- خطاب الرئيس جمـال عبد الناصر فى اليوبيل الذهبى لجامعة القاهرة ـ ٢١ ديسمبر سنة ١٩٥٨ ٠

- د٠ حامد السايح ـ معالم على طريق التنمية فى السبعينيات ـ محاضرة بمعهد الدراسات المصرية ـ العام الدراسى ـ ٦٩ ـ ١٩٧٠ ٠
- حسنى أمين وصفى ـ دور الاذاعة المسموعة فى التنميـــة القومية ـ فى الجمهورية العربية المتحــدة ـ رسالة ماجستير بكلية الآداب قســم الصـــحافة ٠
- رجب البنا ـ صرخة من المسلمين فى جزر القمر ـ جريدةالأهرام ـ بتاريخ ١٩٧٦/٤/١٦ ٠
- رمضان حسين ـ التخطيط الاعلامى بالدول النامية وارتباطه بالظـروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى هذه الدول ـ رسالة ماجسـتير بكلية الاعلام جامعة القاهرة عام ١٩٧٦ ٠
- د٠ سعد الدين ابراهيم ـ نحو نظرية سوسيولوجية للتنمية فى العـالم الثالث ـ بحث مقـــدم الى المؤتمر العلمى السنوى الثانى للاقتصاديين المصريين ـ القاهرة فيما بين ٢٤ الى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٧ الجمعيـــة المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع ٠
- د٠ شاهيناز محمد طلعت ـ دور وسائل الاعلام فى التنمية الاجتماعية فى مصر (دراسة تطبيقية على احـــدى القرى المصرية) رسالة دكتوراة ـ كلية الاعلام ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٧٦ ٠
- فيصـل حسنى ـ دور الاعلام فى الدول النامية ـ رسالة ماجستير بكلية الاقتصاد ـ بجامعة القاهرة ٠
- د٠ عبد العظيم رمضان ـ محاضرات فى تاريخ أفريقيا ٠
- د٠ على المرشدى ـ التخطيط ـ مجلة الطليعة ـ يونيو ١٩٦٥ ٠
- د٠ على عجوة ـ دور الاعلام فى تنظيم الأسرة بالريف المصرى ـ رســالة دكتوراه من قسم الصحافة بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٧٤ ٠
- قرار رئيس الجمهورية رقم ١٣٢٩ لسنة ١٩٦٠ ٠
- قرار رئيس الجمهورية بالقانون ٢٣٢ لسنة ١٩٦٠ ـ فى شـأن التخطيط القومى والمتابعــة ٠

- د. لويس عوض ـ ترتيب العالم ـ جريدة الأهرام بتاريخ ١٦/١٢/١٩٧٥ .
- محمد رضا ـ محاضرة فى دورة بغداد الاعلامية ـ ١٩٧٤ .
- محمد حسنين هيكل ـ بصراحة ـ الحسابات الاسرائيلية ـ جريدة الأهرام ـ العدد ٢٩٧٤٣ ـ بتاريخ ١٧/٥/١٩٦٨ .
- د. منى الحديدى ـ دراسة تحليلية لصورة المرأة المصرية فى الفيلم المصرى والآثار الاعلامية والاجتماعية المترتبة على ذلك ـ رسالة دكتوراة ـ كلية الاعلام ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٧٧ .
- النصوص الأساسية ـ تصريحات برنامج العمل من أجل التعاون الاقتصادى ٩ سبتمبر ١٩٧٣ ـ مؤتمر القمة الرابع لرؤساء دول وحكومات البلدان غير المنحازة ـ الجزائر .
- حديث الرئيس الجزائرى هوارى بومدين الى لطفى الخولى ـ جريدة الأهرام بتاريخ ١٨/١٠/١٩٧٤ .
- يوسف أدريس ـ من مفكرة ـ جريدة الأهرام ـ بتاريخ ٢٨/٥/١٩٧٦ .
- يوسف ادريس ـ هل أصبح كله يوك ؟ جريدة الأهرام ـ بتاريخ ٣١/١٠/١٩٧٥ .
- يوسف السباعى ـ العبور الثقافى ـ مجلة الثقافة ـ أكتوبر ١٩٧٥ .

ثالثـا : كتب وبحـوث أفرنجيـة

- A. H. W. Beck - les Telecommunications. Hechette, Paris 1967.
- Bissekri Faycal - Interaction du Developpement Economique et de Developpement des Mass-Media en Algerie — These pour le Doctorat de 3ème cycle en sciences de L'information-Université Paris 2 — 1976.
- Doninique Desouches — Information et developpement en Côte D'ivoire.
- Fernand Terrou - L'information — Presses Universitaires de Franco — Paris 1974.
- Godwince Ch—Syed A. Rahim—D. lawrence kincaid—Communication for Group Transformation in Development — East West Centre — U.S.A. — 1976.
- Henry Bernstein — Underdevelopment and Development — The third World today — Penguin Book — London 1976.
- James E. Combs and Michael W. Mansfield. Drama in life The use of communication in Society — Hastinge House Publishers, New York, 1976.
- J. M. Albert — Les Mecanismes du Sous — developpement — Les Editions Ouvrieres — Paris — 1976.
- Lerner, Daniel and Wilbur Schramm Communication and change in the Developing countries. Honolulu. The University Press of Hawai, 1972.
- Melvin L. Defleur — Sandra Ball — Rokeach — Theories of Masscommunhication — Third Faition — David Mckay Company, INC. New York — 1975.
- Peter Golding — The mass media — Longman — London - 1974.

- Schramm, Wilbur and Donald Roberts. The Process and Effects of Mass Communication, Urbana University of Illihois Press, 1971.
- Scharmm, Wilbur — Men, Messages, and Media a look at human Communication — Harrer and Raw, Publishers — New York 1973.
- Scharmm, Wilbur, Mass Communication urbana, University of Illinois Press, 1959.
- Scharmm, Wilbur Men, Messages and Media. New York: Harper and Row Publishers, 1973.
- Shanon, Claude and warren weaver. The Mathematical Theory of Communication, Urbana University of Illinois Press, 1949.
- Stuart Hood — The Mass Media — Macmillan — 1972.
- Walter Elkan — Developement Economics, Penguin — London 1973.
- Yves Prats — Decentralisation et developpement — Editions Cujas — 1973.

رابعا : أهم الدوريـــات

- السياسة الدولية (مصر) ٠
- الطليعـــة (مصر) ٠
- الدراسات الاعلامية (المركز العربي للدراسات الاعلامية) ٠
- النفط والتنميـــة (العــراق) ٠
- التعبئــة العــامة والاحصاء (مصر) ٠
- مجلة الوحدة الاقتصادية العربية (مجلس الوحدة الاقتصادية العربية)

كتب للمــؤلف

- الاعلام والتنمية (الطبعة الثانية) دار المعــارف ١٩٧٩
- ســجين الربــذة (مسرحيــة شــعرية) ١٩٧٩
- اقتصــاديات الاعــلام (الكتــاب الأول) ١٩٧٩
- ليــوناردو دافينش (ترجمــة) ١٩٦٨
- موعــد فى النجــوم (ديوان شــعر) ١٩٦٧
- بطــولات طــائرة ١٩٦٣
- كفــاح العمــال ١٩٦٢

رقم الايداع بدار الكتب المصرية

١٩٧٩/٣٨٧٦ م

الترقيم الدولى

٩٧٧ ـ ٢٤٧ ـ ٧٩٢ ـ ٠

مطبعــة دار نشر الثقـــافة
٢١ شارع كامل صــدقى بالفجـالة
ت : ٩١٦٠٧٦ ـ القاهرة

